الوصايا العشر

في اليهودية

دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام

دكتور/ رشاد عبد الله الشامي

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

الناشر



الوصايا العشر

فى اليهودية
دراسة مقارنة فى المسيحية والإسلام

دكتـــور
رشاد عبد الله الشامى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

الناشر



مقدمة

كان لعلماء المسلمين إعتبارا من القرن الرابع الهجرى فضل السبق فى شق الطريق أمام علم لم يكن لليهود أو المسيحيين معرفة به من قبل، وهو علم الملل والنحل، الذى استحدثوا فيه مناهج علمية لم تكن معروفة من قبل إعتمدت على المعرفة العميقة بالأديان الأخرى وشرائعها وفرقها ونحلها وعلى الاستنباط والاستقراء والمقارنة بين النصوص وعلى التباين والتضارب والتناقض فيها. وقد كان الذى دفع علماء المسلمين إلى الاهتمام بهذا المجال عاملين هما : **أولا**، أن بلاد المسلمين بعد الفتح العربى كان يسكنها أقوام وشعوب تدين بأديان مختلفة وتنتسب إلى مذاهب متفرقة، وكان من بين هذه الأقوام من أسلم ولكنه لم يتخلص من سلطان معتقداته السابقة، فنقل إلى الإسلام بعض تلك المعتقدات عن عمد أو عن غير عمد. وقد ولد هذا الاحتكاك بين المسلمين وأصحاب هذه العقائد رغبة فى نفوس علماء المسلمين فى الاطلاع على الأديان والمذاهب المنتشرة فى بلاد الإسلام، كاليهودية والمسيحية والمجوسية، وما تشعب منها من مذاهب وفرق. **ثانيا** ، أن بعض رجال تلك الأديان كان يتعمد الكيد للإسلام بما يبثه من آراء ملحدة وعقائد فاسدة، مما دفع علماء المسلمين لدراسة تلك الأديان كشرط أساسى للدفاع عن الإسلام ولنقد تلك الأديان والمذاهب.

وقد ظهرت فى مجال علم الأديان وتاريخها أسماء لعلماء مسلمين مازالت آثارهم وأعمالهم تدرس بعمق حتى الآن أمثال المقدسى والمسبحى وأبى الحسن الأشعرى والمسعودى وأبى المنصور البغدادى وأبى حزم الأندلسى والشهرستانى وأبى الريحان البيرونى والفخر الرازى والخزرجى وغيرهم.

وقد أصبح مجال البحث فى الأديان اعتبارا من عصر التنوير الأوروبى (فى القرن السابع عشر) يدور حول محورين

المحور الأول : وهو تاريخ الأديان ؛

والمحور الثاني : وهو علم الأديان المقارن (وهو إصطلاح استخدمه العالم الألماني ماكس موللر عام ١٨٦٧ م).

ويتناول تاريخ الأديان تطور المعتقدات التى طرأت على البشر، ويبحث فى نشأة الأديان وكيفية تطورها، ويكتفى عادة، بعرض الأحداث والتيارات الدينية إما بالنسبة لأديان العالم كله، أو بالنسبة لكل دين على حدة متناولا حياة صاحب الرسالة أو الدين والأسس العقيدية والطقوس والعبادات والتيارات الدينية التى انبثقت منها خلال فترة تطورها. أما تاريخ الأديان فيقدم هذه المادة العلمية إلى المشتغلين بعلم الأديان المقارن، حيث تعتبر مادة بحثهم، والأساس الذى يقوم به عملهم، إذ تنبثق من مادة تاريخ الأديان، مادة علم الأديان المقارن. ومعنى هذا أن تاريخ الأديان لا يحتاج إلى علم الأديان، أما علم الأديان المقارن فلا يمكن البحث فيه إلا على أساس تاريخ الأديان.

وفى هذا المجال فإن البحث فى مجال علم الأديان المقارن يستلزم بعض الشروط الأساسية لمن يبحث فيه أهمها :

(١) الحياد النسبى للتثبت من كليات وجزئيات البحث، بالرغم من أن الدين يحرم كل أنواع الحياد، وبالرغم من أن المشاعر والانفعالات فى الأديان تلعب دورا شرعيا قانونيا، ذلك لأن من يحب الحق يجب أن يكره الباطل، ولا يجوز له إطلاقا أن يرفع عقيدته الخاصة، ويكره العقائد الأخرى. وقد قال الله تعالى "**ولا تسبو الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم**" (الأنعام١٠٨).

(٢) استخدام المنهج العلمى استخداما صحيحا بعيدا عن الانفعال وعدم تحديد الهدف. ويتم ذلك عن طريق التعمق فى فهم الظواهر الدينية محل البحث أو نماذج التفكير الدينية المتباينة.

(٣) أن تكون لدى الباحث معلومات واسعة وشاملة عن الأديان محل البحث من حيث العقائد والشرائع والطقوس، ومن حيث المذاهب والطوائف الدينية وخاصة تلك التى لديها مذاهب باطنية تنطوى على تفسيرات صوفية.

(٤) عدم التسرع فى تحديد الصلة بين الظواهر الدينية قبل تبين نوع العلاقة بينها من حيث هى تشابه أو تماثل أو توافق فى الجزئيات دون الكليات، وخاصة إذا تطابقت الأسماء ذات الدلالة العقيدية أو العبادية.

(٥) عدم الاعتماد الكلى على شروح اللاهوتيين من رجال الدين لأن هدفهم الرئيسى دائما هو نصرة دينهم على الأديان الأخرى، ولكن يستحسن الاعتماد عليها إذا إتسمت ببيان حقيقة الدين.

(٦) الفهم العميق للأحداث التاريخية المتعلقة بظواهر نشأة وتطور الأديان لأنه من خلالها يمكن فهم حقيقة الدين ككل، أو حقيقة القوة الفكرية له عند أتباعه.

وهذا البحث الذى نقدمه للقارئ العربى عن الوصايا العشر، هو بحث فى ميدان علم الأديان المقارن بين اليهودية والمسيحية والإسلام، وهو ميدان تندر فيه الدراسات بالعربية[1] لأسباب من بينها إما عدم المعرفة باللغة العبرية كوسيلة أساسية للإطلاع على المصادر الدينية اليهودية فى أصولها العبرية، وإما للإحجام عن الخوض فى هذا المجال الشائك الذى قد يكتنف الخوض فيه تناول موضوعات حساسة بالنسبة لهذا الدين أو ذاك. وبالرغم من هذا فقد قررت الخوض فى هذا الميدان ووقع إختيارى على هذا الموضوع الذى يمس صلب العقيدة اليهودية وأركانها الرئيسية، وهو الوصايا العشر، ليكون الركيزة للدراسة المقارنة بين الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام.

---

(١) تجدر الإشارة هنا إلى دراسات د. محمد الهوارى فى مجال مقارنة الأديان عن : الختان وعن السبت والجمعة وعن الصوم فى الأديان الثلاثة، وهى دراسات حظيت بالتقدير لدى المتخصصين اليهود أنفسهم.

ويقوم منهج هذا البحث على التركيز على دراسة دينية تاريخية عقيدية للوصايا العشر فى اليهودية باعتبارها الركيزة الرئيسية لموضوع البحث، ثم التعرض للوصايا العشر أو نظائرها كما وردت فى الديانتين المسيحية والإسلامية، وبعد ذلك دراسة مقارنة للجوانب العقيدية والتشريعية فى الوصايا العشر من خلال الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام.

ونرجو بهذا الإسهام العلمى فى ميدان علم الأديان المقارن أن تكون هذه الدراسة الرائدة بمثابة بداية لمزيد من الدراسات فى هذا المجال وأن يفيد منها كل المهتمين بعلم الأديان المقارن فى العالم العربى والإسلامى.

والله الموفق،،،،،

دكتور

رشاد عبد الله الشامى

استاذ ورئيس قسم اللغة العبرية وأدابها

بكلية الآداب جامعة عين شمس

مصر الجديدة فى ١٩٩٣/١/١٠

المحتويات

	الصفحة
مقدمـــة	
الباب الأول	
الوصايا العشر فى الشريعة والتقاليد الإسرائيلية	٥ – ٩٥
الفصل الأول : نسخ الوصايا العشر وتقسيمها :	٧ – ٦٥
١ – اصطلاح الوصايا العشر	٩ – ١٣
٢ – قصة إعطاء الوصايا العشر وألواح العهد	١٣–٣٤
٣ – نسخ الوصايا العشر	٣٥–٤٢
٤ – تقسيم الوصايا العشر	٤٣–٤٩
٥ – زمن تأليف الوصايا العشر	٥٥–٥٤
٦ – نصوص وأوامر متشابهة للوصايا العشر في العهد القديم	٥٥–٦٥
الفصل الثانى : مكانة الوصايا العشر فى الشريعة والتقاليد الإسرائيلية :	٦٧–٩٥
١ – مكانة الوصايا العشر في الشريعة الإسرائيلية	٦٩–٧٨
٢ – مكانة الوصايا العشر في التقاليد الإسرائيلية	٧٩–٨١
٣ – مكانة ألواح العهد في التقاليد الإسرائيلية	٨٢–٨٧
قائمة المراجع والهوامش	٨٩–٩٥

الصفحة

الباب الثانى	
الوصايا العشر في المسيحية والإسلام	٩٨-١٣٠
الفصل الأول : الوصايا العشر في المسيحية	٩٩-١١٧
الفصل الأول : الوصايا العشر في الإسلام	١١٩-١٢٧
قائمة المراجع والهوامش	١٢٩-١٣٠
الباب الثالث	
تفسير الوصايا العشر - دراسة مقارنة	١٣١-٢٨٢
الوصية الأولى	١٣٣-١٥١
الوصية الثانية	١٥١-١٦٢
الوصية الثالثة	١٦٢-١٦٧
الوصية الرابعة	١٦٨-٢٠٩
الوصية الخامسة	٢١٠-٢١٨
الوصية السادسة	٢١٩-٢٤٠
الوصية السابعة	٢٤١-٢٦٣
الوصية الثامنة	٢٦٤-٢٦٨
الوصية التاسعة	٢٦٩-٢٧٠
الوصية العاشرة	٢٧١-٢٨٢
قائمة المراجع والهوامش	٢٨٣-٢٨٥
ملحق الصور	٢٩٣

الباب الأول

الوصايا العشر فى الشريعة والتقاليد الإسرائيلية


http://kotob.has.it

الفصـــل الأول

نسـخ الوصايا العـشـر وتقـسيمـهـا

١ - اصطلاح الوصايا العشر:

"عسيريت هاتسيفيم" (الوصايا العشر) أو "عسيريت هادبروت" (الكلمات العشر) هى أشهر مجموعة من القوانين اليهودية، وهى دستور الشريعة اليهودية، "وهى فى نظر بنى إسرائيل بمثابة الكنز الشامل لفلسفتهم وثقافتهم الروحية حيث إشتملت على كل القيم السامية"(١).

وقد ورد تعبير "الكلمات العشر" فى عدة مواضع من التوراه نجملها فيما يلى:

١- "فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر" (خروج ٣٤:٢٨).

٢ - "وأخبركم بعهده الذى أمركم أن تعملوا به الكلمات العشر وكتبه على لوحى حجر" (تثنية ٤:١٣).

٣ - "فكتب على اللوحين مثل الكتابه الأولى الكلمات العشر التى كلمكم بها الرب فى الجبل من وسط النار" (تثنية ١٠:٤).

ويستخدم تعبير "هذه الكلمات" فى موضوعين إشارة إلى "الكلمات العشر". ففى (سفر التثنية ٤:٢٢) يكرر موسى الإشارة إلى: "هذه الكلمات كلم بها الرب كل جماعتكم فى الجبل من وسط النار والسحاب والضباب وصوت عظيم ولم يزد...".

وفى (سفر الخروج ٢٠:١) : "ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا". وهكذا فإن تعبير "الكلمات العشر" يستخدم فى هذا الموضوعين بصورة لا لبس فيها. وفى لغة الحكماء حلت كلمة "دبروت" محل كلمة "دفاريم"(أقوال - كلمات - أشياء). وكلمة "دبروت" هى صورة الجمع من كلمة "دبير" وهى تساوى "دبور الرب" (كلمة الرب) وهو إصطلاح دينى حاخامى ينعكس فى "عسرتى دييريا" (الكلمات العشر) الأرامية الواردة فى تراجم فلسطين (هاترجوميم) التى حلت محل "عسرا بتجامينى" (الكلمات العشر) المستعمله فى ترجمة أونكلوس(٢).

وبالرغم من أن النسخ المختلفة "للكلمات العشر" تتضمن أكثر من عشر وصايا، إلا إنهم أطلقوا عليها "الكلمات العشر"، لإن الرقم عشرة كان عندهم ذو شأن، وإرتبط بعدة قضايا دينية يهودية نذكر منها:

١ - تجارب إبراهيم العشر: فقد ورد فى التلمود (آبوت ٥:٣) أن إبراهيم قد مر بعشرة تجارب صمد فيها جميعا وهى:

١ - لما رموه فى آتون النار فى سبيل وحدانية الله (ويلاحظ أن هذه التجربة لم ترد فى التوراه وجاءت فى التلمود، ووردت فى القرآن الكريم).

٢ - عندما أوصاه الرب بترك بلده وبيت أبيه والمضى إلى الأرض التى يريه فإمتثل لكلام الرب وسافر إلى أرض كنعان.

٣ - كان يعتقد أن البلاد التى هو ذاهب إليها (أرض كنعان) بلاد تدر لبناء وعسلا ولكنه وجد فيها جوعا شديدا.

٤ - عندما أرسل إليميلخ ملك جرار وأخذ سارة زوجته إمتثل ولم يعارض لإن يقينه وثقته بالله كانت عظيمة وعرف مقدما أنها لن تصاب بسوء.

٥ - حربه ضد إمرافيل (نمرود) وإنتصاره عليه هو والملوك الأربعة الجبابرة بالرغم من أنهم إنتصروا على خمسة ملوك، ولكنه بمفرد وأعوانه القليلين نازلهم وإنتصر عليهم بفضل إيمانه القوى.

٦ - خوضه لتجربة الختان رغما عن إنه كان شيخا طاعنا فى السن وله أعداء ولم يتوان عن تنفيذ أمر الله.

٧ - عندما قالت له سارة أطرد الجارية وإبنها إسماعيل ووافقه الله على ذلك بقوله "كل الذى تقوله سارة لك إسمع لقولها لأنه بإسحاق يدعى لك نسل"، إستسلم لطرد فلذة كبده مع علمه بإنه سيتعرض للهلاك والجوع والعطش، ولكنه أمر الله.

٨ - عندما أرسل فرعون مصر وأخذ زوجته سارة أيقن بأن الله سيخلصها.

٩ - عندمـــا قـــال له الله أن نسلك ســـيكون مـــذلولا فى بلاد الغـــربة وإنهم يستعبدونهم أربعمائة سنة.

١٠ - التجربة الكبرى التى وعده الله ألا يعرضه لغيرها، وهى التضحية بإبنه عندما قال له الرب "خذ ابنك وحيدك الذى تحبه" لتذبحه.

٢ - الأسباط العشرة (عسَّريت هَشْباطيم):

الإسم التقليدى لأبناء مملكة إسرائيل الشمالية الذين نفوا من هذه المملكة فى القـــرن الثـــامن ق.م (٧٢٢/٧٢١ق.م) على يد شلمنصـــر ملك الاشـــوريين. وحسب الأسطورة اليـهودية الشـعبـيـة فإنهم مـازالوا يعـيشـون حـيـاة الحرية والسعادة بروح الشريعة اليهودية (التوراه)، فيمـا وراء "جبال الظلام" (هارىً هاحـوشـيـخ) ونهـر سـمـبـاطيون، وهو نهـر أسطورى لا وجـود له يتـدفق، وفق الأسطورة، طوال أيام الإسبوع ويتوقف عن الجريان يوم السبت.

٣ - أيام التوبه العشرة (عسِيريتْ ييمى تيشوفا) :

الأيام العشـرة التى تبدأ باليوم الأول مـن رأس السنة العبرية وحـتـى عيد الغـفـران (يوم كِبـوريم)، وهـى تسـمـيـة مـجـازية لأنـهم يكثـرون خـلالـهـا من الإسـتـغـفـارات والتوسـلات للرب. ولكن هناك مـن اليـهـود من يهـتم بإكمـال هذه الفترة عشرة أيام.

٤ - الضربات العشر (عيسِر هامَكُوت) :

وهى الضـربات التى حلت بالمصـريين على يد إله العـبـرانيين "يهوه" لعدم سـمـاح فرعون مصـر لبنى اسرائيل بالخروج برفقـة مـوسى - عليـه السلام - وهى:

١ - ضربة الدم (خروج ٧ :٢٠ - ٢٤)

٢ - ضربة الضفادع (خروج ٨ :٥ - ٧)

٣ - ضربة القمل (خروج ٨ : ١٧).

٤ - ضربة الذباب (خروج ٨ : ٢٤).

٥ - ضربة المواشى (خروج ٨ : ٢٤)

٦ - ضربة الرماد والبثور (خروج ٩ : ١٠)

٧ - ضربة البرد (خروج ٩ : ٢٤ - ٢٦)

٨ - ضربة الجراد (خروج ١٠ : ٢٤ - ٢٥)

٩ - ضربة الاظلام (خروج ١٠ : ٢١ - ٢٢)

١٠ - ضربة الأبكار (خروج ١٢ : ٢٩ - ٣٠)

٥ - التذكارات العشر : وهى:

١ - الخروج من مصر (خروج ١٣ : ٣)

٢ - يوم السبت (خروج ٢٠ :٨)

٣ - الوقوف على جبل سيناء (تثنية ٤:٩ - ١٠)

٤ - نزول المن فى صحراء التية (تثنية ٨ : ٢-٣)

٥ - منح بنى اسرائيل القوة (تثنية ٨ : ١٨)

٦ - إغضاب الرب بعبادة العجل الذهبى (تثنية ٩ :٧)

٧ - الفعل الذى قامت به مريم النبية (تثنية ٢٤ : ٩)

٨ - العمل الذى قام به عماليق عند خروج

بنى إسرائيل من أرض مصر (تثنية ٢٥ : ١٧ - ١٩)

٩ - مؤامرة باراق ملك مؤاب وبماذا

أجابه بلعام بن بعور (مى ٦:٥)

١٠ - أورشليم - إن نسيتك يا أورشليم (مزمور ١٣٧:٥ - ٦)

٦ - دروب الخلق العشرة فى "القابالاه" :

فى حوالى عام ١٣٠٠م ظهر كتاب "القابالاه" (التصوف اليهودى)، الذى يسمى "هازوهر" (الضياء). ومما جاء فى هذا الكتاب أن عملية الخلق تمت بواسطة عشرة دروب هى "هاسفِروت" الذى يقسم إلى ثلاث مجموعات تتكون كل مجموعة من ثلاثة عناصر.

وأول هذه المجموعات: التاج والحكمة والفهم، والمجموعة الثانية هى الحب والقوة والجمال، والمجموعة الثالثة هى النصر والمجد والأساس، وعاشر الدروب هو الملكية ويعتبر كونا بمفرده.

٧- العدد العشرى لصلاة الجماعة فى اليهودية (مِنيان):

حيث لا تجوز صلاة الجماعة فى المعابد إلا بحضور عشرة من الذكور البالغين (الذين تعدوا سن الثالثة عشرة).

٢ - قصة إعطاء الوصايا العشر وألواح العهد:

أ - قصة إعطاء الوصايا العشر :

لا توجد فى التوراه قصة واحدة واضحة ومنطقية عن الطريقة التى تم بها إعطاء الوصايا العشر لموسى عليه السلام. ففى (سفر الخروج ١٩ : ٩) نقرأ. أن الرب قال لموسى فى جبل سيناء قبل إعطاء التوراه: "فقال الرب لموسى ها أنا آت إليك فى ظلام السحاب لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمنوا بك إلى الأبد".

ما الذى تشير إليه هذه الفقرة؟ لقد كتب ربى إبراهام بن عزرا عن هذه الفقرة ما يلى: "إن المكتوب هو إشارة إلى وقت الحضور فى جبل سيناء وتوجهه بكلمات العهد التى هى الوصايا العشر... وهم عندئذ سوف يؤمنون لأنه كان فى إسرائيل آنذاك كثيرون ممن قالوا إنه من غير الممكن أن يتحدث من ليس له

جسد مع من هو جسد ثم يظل على قيد الحياة، والدليل على ذلك: أننا رأيناه يتحدث فى هذا اليوم" (تثنية ٥:٢١).

وبالفعل فإننا نقرأ فى (الخروج ١٩:١٩) حوارا بين الرب وموسى، بينما كان جبل سيناء مغطى بالسحاب لأن الرب نزل عليه بالنار: "وصعد دخانه كدخان الآتون وإرتجف كل الجبل جدا، فكأن صوت البوق يزداد إشتدادا جدا وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت"، وقد فهمت هذه الفقرة أيضا على إنها إشارة إلى إعطاء الوصايا العشر، حسب أقوال "راشى" (ربى شلومو بريتسحاك):

"حينما كان موسى يتحدث ويسمع الوصايا لإسرائيل .. كان القدوس تبارك وتعالى يساعده عن طريق بث القوة فيه لكى يكون صوته عاليا ومسموعا".

ويربط ربى ميوحاس فى هذا الصدد بين ما وردفى (سفر الخروج ٩:١٩) و(الخروج ١٩:١٩). وهناك اعتقاد بأن الفقرة ١٩ من سفر الخروج لا تتحدث عن إعطاء الوصايا العشرة. إن "الرمبان" (ربى موشيه بن نحمان) يضيفها إلى ما ورد فى باقى السياق أى (الفقرات ٢٠ - ٢٤) والتى تشير إلى أن الرب نزل إلى رأس الجبل قبل إعطاء الشريعة، ودعا إليه موسى وتحدث مع بنى إسرائيل ليعلمهم ماذا يفعلون، وبنو إسرائيل يسمعون صوت الرب الذى يجيبه ويأمره، وهم لا يفهمون ماذا يقول له»، ويأمره بالوصايا الواردة بعد ذلك فى الإصحاح العشرين. وبعد ذلك نزل موسى إلى الشعب: "فانحدر موسى إلى الشعب وقال لهم" (الخروج ٢٥:١٩)، ثم بداية الاصحاح العشرين: "وتكلم الله بجميع هذه الكلمات" (الخروج ١:٢٠)، أى الكلمات العشر (الوصايا العشر)، ولكن إلى من تكلم الرب؟ إن الإجابة على هذا السؤال تقودنا إلى أن الله تكلم بهذه الكلمات إلى موسى. ففى سفر الخروج (١٨:٢٠ - ٢١) نقرأ :

"وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن ولما رأى الشعب ذلك ارتعدوا ووقفوا من بعيد. وقالوا لموسى تكلم أنت معنا فنسمع. ولا يتكلم الله معنا لئلا نموت. فقال موسى للشعب لا تخافوا لأن الله إنما جاء ليمتحنكم ولكى تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا. فوقف الشعب من

بعيد وأما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله". ويرى "الرمبان" أن خوف الشعب وطلبهم من موسى أن يتحدث هو مع الله بدلا منهم "لئلا يموتوا"، قد حدث بعد المقصوص فى الفقرة ١٨و١٩، لأنه لم يَرِد فى هاتين الفقرتين أنهم خافوا من التحدث الى الروح القدس "الشخيناه"، ولم يقولوا "لا يتحدث الرب معنا".

وقد ورد فى سفر التثنية أن الله طلب جميع الشعب إليه فى جبل حوريب ليسمع كلماته ولكى يتعلموا أن يخافوه طوال الأيام التى هم فيها أحياء على الأرض (التثنية ٤:١٠). وقد تحدث الرب معهم وجها لوجه فى الجبل من وسط النار: "وجها لوجه تكلم الرب معنا في الجبل من وسط النار" (تثنية ٥:٤)، ومع هذا وقف موسى بين الرب وبينهم ليخبرهم بكلام الرب، لأنهم خافوا من النار ولم يصعدوا الجبل (تثنية ٥:٥).

وبعد أن إستمعوا إلى الكلمات العشر، إستبد الخوف بالشعب: "هذا اليوم قد رأينا أن الله يكلم الإنسان ويحيا. وأما الآن فلماذا نموت: لأن هذه النار العظيمة تاكلنا. إن عدنا نسمع صوت الرب إلهنا أيضا نموت" التثنية ٥:٢٤ - ٢٥)، وطلبوا وساطة موسى بينهم وبين الرب: "تقدم أنت واسمع كل ما يقوله لك الرب الهنا وكلمنا بكل ما يكلمك به الرب إلهنا فنسمع ونعمل" (تثنية ٥:٢٧).

إن كل هذه المعطيات والتفاصيل ليست موحدة فى قصة متوالية ومنطقية. إننا نرى على سبيل المثال، أن بنى اسرائيل قد تراجعوا مرتين، وطلبوا فى هاتين المرتين وساطة موسى - قبل إعطاء الكلمات العشر (الخروج ٢٠) وبعد إعطاء الوصايا (التثنية ٥). إن التناقض الموجود بين ما هو وارد فى (التثنية ٥:٤): "وجها لوجه تكلم الرب معنا فى الجبل من وسط النار"، وبين ما هو اورد فى الفقرة التالية: "أنا كنت واقفا بين الرب وبينكم فى ذلك الوقت لكى أخبركم بكلام الرب"، يمكن أن يفسر حسب رأى "الرمبان"، بأنه "وجها لوجه" تحدث

الرب مع إسرائيل بالكلمات "أنا الرب إلهك" و"لا يكن لك"، التى يتحدث فيها الرب عن نفسه، بينما تتصل بقية الوصايا بالفقرة"كنت واقفا بين الرب وبينكم لكى أخبركم...".

وعلى أى الحالات، فإن من يقرأ هذه الفقرات التى تتحدث عن إعطاء الكلمات العشر، وبدون ممالأة، ينتهى إلى أنها تحوى فى داخلها الاحتمالات التالية:

١ - إن الله تحدث إلى موسى وسمعه شعب إسرائيل.

٢ - أن الله تحدث الى موسى وقام موسى بإخبار الشعب بكلمات الله.

٣ - أن الله تحدث إلى الشعب وجها لوجه.

والخط المشترك بين هذه الاحتمالات التى تكتنف قصة إعطاء الوصايا هو أن بنى اسرائيل قد تباهوا بالتجلى الألهى، وهو التجلى الذى تشير قصة أعطاء الوصايا فى مصادرها المخلتفة (الخروج - التثنية) إلى أنه كان يهدف إلى بث مخافة الرب فى نفوس بنى إسرائيل، وترسيخ إيمانهم بنبوة موسى وتصديقهم لوساطته بينهم وبين الرب (راجع الخروج ١٩:٩، ٢٠:١٩، والتثنية٥:٢١-٢٤).

ويرى مفسرو القرون الوسطى أن هذه الغاية، كانت هى الغاية الرئيسية من هذه الصورة التى أعطيت بها الوصايا العشر حيث يقول ربى موشيه بن ميمون فى ("مشنه توراه"، أسس التوراه ٨ :١):

"إن موسى سيدنا لم يكن شعب إسرائيل يؤمن به رغم المعجزات التى صنعها.. وقد أمنوا به فى حادثة جبل سيناء لأن عيوننا رأت ولم ير أحد غريب، وآذاننا سمعت ولم يسمع أحد غيرنا النيران والأصوات والآتون وهو يقترب الى الضباب والصوت يتحدث إليه ونحن نسمع موسى... موسى إذهب وقل لهم كذا وكذا. وهكذا فإنه يقول "وجها لوجه تحدث الرب معكم"، وجاء إنه ليس مع آبائنا قطع الرب هذا العهد. إن هذا المشهد كان هو الدليل على نبوته.. لقد ورد

"هاأنذا آتى اليك فى ضباب السحاب، حتى يسمع الشعب كلماتى معك ولكى يؤمنوا بك إلى الأبد". ومعنى هذا أنهم قبل ذلك لم يكونوا قد آمنوا به إيمانا راسخا للأبد" بل ايمانا كان يستدعى المراجعة والتفكير".

وبالإضافة إلى ما تقدم فإن هناك خلافا حول المكان الذى فيه ومنه أعطيت الكلمات العشر. إننا نجد تناقضا واضحا، فى هذا الصدد، بين ما ورد فى (سفر نحميا ٩:١٣): "ونزلت على جبل سيناء وكلمتهم من السماء..."، وبين ما ورد فى (سفر الخروج ١٩:٢٠): "ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل"، وكذلك ما جاء فى (التثنية ٤:٣٦): "من السماء أسمعك صوته لينذرك، وعلى الأرض آراك ناره العظيمة وسمعت كلامه من وسط النار".

ففى هذه الفقرات نجد تناقضا واضحا فيما يتصل بالمكان الذى تحدث منه الرب إلى موسى وإلى بنى إسرائيل : هل هو "جبل سيناء"، أم "من السماء"؟

وقد مهد موسى – عليه السلام – لتبليغ الوصايا العشر لبنى إسرائيل فى برية سيناء بسلسلة من الخطوات التى تكشف عن طابع العلاقة بين الوصايا وقدسيتها من ناحية، ومكانة هذه الوصايا فى الشريعة اليهودية من ناحية أخرى هى :

١ – **إختيار الرب لبنى إسرائيل** : "قد رأيتم ما صنعت بالمصريين، وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إلى. فالآن إن سمعتم بصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب فإن لى كل الأرض. وأنتم تكونون لى مملكة أحبار وشعبا مقدسا. هذه هى الكلمات التى تتكلم بها لبنى اسرائيل" (خروج ١٩:٤ – ٦).

• وهنا نجد أن التقاليد اليهودية تربط الخروج من مصر بحدث آخر على نفس المستوى من الأهمية، وهو تلقى الشريعة، وإختيار شعب إسرائيل

كشعب مختار من قبل يهوه رسالته هي العمل بوصايا الرب وشرائعه وعبادته وحده دون شريك.

٢ - **دعوة بني إسرائيل للتطهير:** "وقال الرب لموسى إذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغدا وليغسلوا ثيابهم. ويكونوا مستعدين لليوم الثالث. لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء" (خروج ١٩ - ١٠).

"وقال (موسى) للشعب كونوا مستعدين لليوم الثالث. لا تقربوا إمرأة" (خروج ١٩ - ١٥).

٣ - **التحذير من الاقتراب من الجبل:** "وتقيم للشعب حدودا من كل ناحية قائلا إحذروا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تمسوا طرفه، كلّ من يمس الجبل يقتل قتلا. لا تمسه يد بل يرجم رجما أو يرمى رميا. بهيمة كان أم إنسانا لا يعيش" (خروج ١٩:١٢-١٣).

٤ - **التمهيد بظواهر الطبيعة الغاضبة:** "وحدث في اليوم الثالث عند الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدا فارتعد كل الشعب الذي في المحلة. وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار. وصعد دخانه كدخان الآتون وارتجف كل الجبل جدا" (خروج ١٩: ١٦ - ١٨).

٥ - **نزول الرب على جبل سيناء على رأس الجبل**، ودعوته لموسى أن يصعد الجبل (خروج ١٩:٢٠).

٦ - **نزول موسى مرة أخرى بأمر الرب لإحضار هارون معه:** "فقال له الرب اذهب انحدر ثم اصعد أنت وهارون معك" (خروج ١٩:٢٤).

٧ ـ **تراجع الرب عما كان قد أمر به من قبل** من السماح للشعب بالصعود الى الجبل عند سماع صوت البوق: "أما عند صوت البوق

فهم يصعدون الجبل" (خروج١٩:١٩)، إلا أن الرب أمر مرة أخرى بعدم صعود الشعب والكهنة: "وأما الكهنة والشعب فلا يقتحموا ليصعدوا الى الرب لئلا يبطش بهم" (خروج١٩:٢٤).

٨ - **تخبل أعصاب القوم وسريان الرعب فى أوصالهم:** "وقالوا لموسى كلمنا أنت فنسمع ولا يكلمنا الله لئلا نموت. فقال موسى للشعب لا تخافوا فإن الله جاء يمتحنكم ولتكون مهابته أمام وجوهكم لئلا تخطئوا فوقف الشعب على بعد وتقدم موسى إلى الضباب الذى فيه الله" (خروج ٢٠:١٩-٢١).

وبعد هذه التمهيدات التى استمرت لثلاثة أيام قبل إعطاء الوصايا العشر لموسى "نزل موسى إلى الشعب وكلمهم" (خروج ١٩:٢٥)، بما أبلغه الله لكى ينقله إلى بنى إسرائيل: "ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا" (خروج٢٠-١). وهنا ترد النسخة الأولى من الوصايا العشر إعتبارا من الفقرة الثانية من الإصحاح العشرين لسفر الخروج إلى الفقرة السادسة والعشرين من نفس الإصحاح.

وقد جاء فى "فصول الآباء" (برقىْ آبوت)، إن موسى تلقى التوراة من سيناء، ويفسرون هذه الفقرة بأن المقصود هو تعلم التواضع من سيناء، لأنه لما أراد الله أن يعطى الكلمات العشر على جبل سيناء تقدمت جبال تابور وحرمون التى تفوق سيناء فى الإرتفاع وطلبت بأن تكون هى الأولى بهذا التكريم وتُعطى الكلمات العشر من فوقها، ولكن الله إختار جبل سيناء المتواضع الواطئ، واختار عبده موسى المتواضع أيضا، حتى يتعلم بنى إسرائيل من ذلك فضيلة التواضع(٣).

ب - قصة إعطاء لوحا العهد:

بالرغم من أن قصة الوصايا العشر والأحكام الإلهية فى (سفر الخروج الاصحاحات ١٩ - ٢٣) تشير، كما أوردنا من قبل، إلى أن الله "تكلم بجميع

هذه الكلمات"، أى أن موسى تلقى هذه الوصايا والأحكام شفاهة من الرب، إلا أننا نفاجأ إعتبارا من بداية الأصحاح الرابع والعشرين من سفر الخروج بقصة جديدة ومختلفة تماما تشير إلى أن الوصايا العشر كتبت بإصبع الرب على لوحين من الحجر، وهى كلمات العهد التى أمر الله إسرائيل أن يفعلها.

وقد عرف لوحا العهد بأكثر من تسمية، ففى سفر التثنية يستخدم تعبير "لوحى الحجر" (لوحوت هاإبين): "وأخبركم بعهده الذى أمركم أن تعملوا به الكلمات العشر وكتبه على لوحى الحجر" (التثنية ٤: ١٢ - ١٤)، "وأعطانى الرب لوحى الحجر المكتوبين بإصبع الله وعليهما مثل جميع الكلمات التى كلمكم بها الرب فى الجبل" (التثنية ٩: ٤ - ١٠)، ويستخدم كذلك تعبير "لوحا العهد" (لوحوت هابْريت) مع تعبير "لوحى الحجر" فى مواضع أخرى: "وفى نهاية الأربعين نهارا والأربعين ليلة لما أعطانى لوحى الحجر لوحى العهد" (التثنية ٩: ١١)، و"حين صعدت إلى الجبل لكى آخذ لوحى الحجر لوحى العهد" (التثنية ٩: ٩):

ويستخدم كذلك التعبير "اللوحين" فقط دون الإشارة إلى "الحجر" أو "العهد": "فأخذت اللوحين وطرحتهما من يدى وكسرتهما أمام أعينكم" (التثنية ٩: ١٧).

أما فى سفر الخروج فإن هذه الألواح تسمى:

١ - لوحا الحجر: "فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى تثبتها لتعليمهم" (الخروج ٢٤: ٢١).

٢ - لوحا الشهادة (لوحوت هاعيدوت): "ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحى الشهادة حجر مكتوبين بأصبع الله" (الخروج ٣١: ١٨)، "فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده" (الخروج٣٢: ١٥). وتعبير "لوحى الشهادة" هو تعبير غير واضح بما فيه الكفايه، وقد فسر الأولون من اليهود كلمة "عيدوت" العبرية، على إنها مشتقه من كلمة "عيد" العبرية بمعنى شاهد، وهو اعتقاد مرتبط بعقد

العهد الذى كان شائعا فى الشرق القديم، ولكن آخرين يرتكزون على التعبير الشائع المقابل له وهو "لوحوت هابريت" (لوحا العهد)، ويشتقون كلمة "عيدوت" العبرية" من الجذر "عَدِى"، المشتق من الاصطلاح الآرامى القديم "عَدِى" (صورة الجمع المضاف) والذى يعنى "عهد" (بريت)(٤).

وإذا عدنا إلى لوحة كتابة "لوحى العهد" فإن الإصحاح الرابع والعشرين من سفر الخروج يحكى هذه القصة على النحو التالى:

١ - الرب يأمر موسى بالصعود إليه هو وهارون وناراب وأبيهو وسبعون من شيوخ بنى اسرائيل ليسجدوا من بعيد، ويقترب موسى وحده من الرب (خروج٢٤:١-٢).

٢ - موسى يعود ويحدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام والشعب كله يجيبه بصوت واحد "كل الأقوال التى تكلم بها الرب نفعل"، وبعد ذلك يكتب موسى أقوال الرب "فكتب موسى جميع أقوال الرب"، وهى الكتابة التى تمخض عنها "كتاب العهد": "وأخذ كتاب العهد وقرأ فى مسامع الشعب" (الخروج٢٤:٧).

وهنا فى هذا المشهد نلاحظ ما يلى:

أ - أن موسى تلقى الوصايا والأحكام فى حضور هارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ بنى إسرائيل شفاهة من الرب، وتبليغها لبنى إسرائيل.

ب - إن موسى كتب الوصايا والأحكام فى "كتاب العهد" (سيفر هابريت)، وقرأه من جديد على مسامع بنى إسرائيل (٥)، وهو "كتاب العهد" الذى يتحول إلى "دَمْ هابريت": "هوذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم" (الخروج٢٤:٨).

٣ – موسى يصعد الى الجبل ومعه هارون وناراب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل "وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة" (خروج٢٤: ٩ – ١٠)، "وأكلوا وشربوا هناك" (خروج٢٤: ١١)دون أن يمسهم الرب بسوء بما يتناقض مع ما حدده من قبل من أن من سيراه سيبطش به.

٤ – أمر الرب موسى بالصعود للجبل ليعطيه لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبها لتعليمهم (خروج٢٤: ١٢)، وذهب موسى مصطحبا معه خادمه يشوع بن نون وصعد إلى جبل الله (خروج ٢٤: ١٣)، ولكن موسى هو الذي يصعد بمفرده ويترك الشيوخ ومعه هارون وحور، دون ذكر لناراب وأبيهو اللذين تركا لكي يحكموا بين الشعب.

٥ – صعد موسى الى الجبل وسط السحاب، بينما الرب قد تجلى على رأس الجبل أمام عيون بني إسرائيل في صورة نار آكلة (خروج٢٤: ١٦ – ١٨) ليقضي على الجبل أربعين نهارا وأربعين ليلة.

وعند هذا الحد نلمح أيضا خللا في سياق القصه في بعض تفاصيلها مثل:

١ – ماذا كان من أمر يشوع الذي صعد مع موسى؟

٢ – ماذا كان من أمر ناداب وأبيهو، وأين ذهبا؟

٣ – من هو حور الذي ظهر مع هارون بدلا من ناداب وأبيهو؟

وبعد ذلك في ثنايا الإصحاحات من ٢٥: ٣١ تفاصيل كثيرة ذكرها الرب لموسى تتضمن:

١ – صنع "تابوت الشهادة" (آرون هاعيدوت)، ومواصفاته ومقايسه، وعليه صور الملائكة المجنحة (الكروبيم) (الخروج ٢٥: ٢١ – ٢٢)، أو "تابوت العهد" (آرون هابريت) (التثنية١٠: ١ . ٥، يشوع ٣: ٦)، أو "تابوت عهد الرب" (آرون بريت هاشيم) (سفر العدد١٠: ٣٣، التثنية١٠: ٨). والهدف من هذا التابوت

هو وضع "لوحى العهد" فيه، وحينما كان بنو إسرائيل فى الصحراء كان التابوت يوضع فى "المسكن" (هَمِشْكان) أو فى "خيمة العهد" (أوهيل هابريْت) (الخروج ٣٠:٢٠-٢١، والعدد ١:٤٠، ٩:١٥، ١٧:٢٢)، وبعد ذلك فى شيلا (صموئيل الأول ٤:٣-٤)، وفى كريات يعاريم (صموئيل الأول ٧:١)، الى أن أصعده داود إلى أورشليم وعرضه فى الخيمة (صموئيل الثانى الإصحاح السادس)، وفى النهاية أدخله الكهنة الى مستقره فى هيكل سليمان، وكانت الإشارة الأخيرة للألواح فى قصة هذا الحدث: "لم يكن فى التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب حين عاهد الرب بنى إسرائيل عند خوجهم من أرض مصر" (الملوك الأول ٨:٩). وإذا كانت الملائكة المجنحة (الكروبيم) التى على التابوت هى كرسى الرب "الجالس على الكروبيم"، فإن التابوت نفسه يعتبر بمثابة "موطئ قدمى الهنا" (أخبار الأيام الأول ٢٨:٢). وإذا كان الأمر كذلك فإن دفن الألواح فى التابوت يقابل تلك العادة التى كانت شائعة فى مصر القديمة، حيث كانوا يحفظون الوثائق الهامة تحت صور الآلهة، كدليل على الالتزام الذى قبلوه على أنفسهم أصحاب الوثائق أمام الآلهة (ومن هنا يتأكد الاعتقاد بأن "لوحى الشهادة" هما اللوحان اللذان يدلان على العهد)[٦].

٢ - صنع مائدة يوضع عليه "خبز الوجوه" (ليحِم هابانيم) أو خبز التقدمة، وهو عبارة عن إثنتا عشرة فطيرة توضع، وفق التقاليد اليهودية، على المائدة الذهبية فى قدس الأقداس (الهيكل المقدس)، ويتم إستبدالها كل يوم سبت بفطائر جديدة وتسمى كذلك "الخبز الدائم" (ليحم هاتاميد)، و"الخبز المقدس" (ليحم هاقوديش)، ويتم توزيع هذا الخبز على الكهنة بعد رفعة من على المائدة (خروج٢٥:٢٣-٣٠).

٣ - صنع المنارة الذهبية أو الشمعدان ذو الشعب السبع (همنورا) بكافة مواصفاته ومقاييسه (خروج٢٥:٣١-٤٠).

٤ - صنع المسكن المقدس (مِشكان هاقوديش) بكافة مواصفاته ومقاييسه (الخروج الاصحاح ٢٦).

٥ - صنع المذبح ودار المسكن (هامِشكان) أو "خيمة العهد" (أوهل هابريت). وضرورة تقديم زيت الزيتون لإشعال الشمعدان (الخروج الإصحاح٢٧).

٦ - إختيار هارون وبنيه للكهانة وخدمة المسكن المقدس ووصف الملابس التى يجب أن يرتديها ومسح هارون وبنيه لممارسة الكهانة (الخروج الاصحاح٢٨).

٧ - طقوس تقديس وبنية ليمارسوا الكهانة وطريقة تقديم القرابين (الخروج الاصحاح٢٩).

٨ - طريقة صنع المذبح ومكانه فى خيمة الاجتماع أمام الحجاب الذى أمام "تابوت العهد" أو "تابوت الشهادة"، وقيمة الفدية المقرره على كل فرد من بنى إسرائيل (نصف الشيقل)، وصنع مرحضة الاغتسال حتى يغسل فيها هارون وبنيه أيديهم وأرجلهم عند دخولهم خيمة الاجتماع (الخروج الاصحاح ٣٠).

٩ - إختيار بصلئيل بن أورى ليكون الفنان المسئول عن اختراع مخترعات من الذهب والفضة ونقش حجارة الترصيع ونجارة الخشب (خروج الإصحاح ٣١).

قصة إعطاء الوصايا العشر فى القرآن الكريم:

وردت قصة إعطاء الوصايا العشر والألواح لموسى - عليه السلام - فى القرآن الكريم على النحو التالى:

"وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة، وقال موسى لأخية هارون أخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين. ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال ربى أرنى أنظر اليك، قال لن ترانى، ولكنى انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين. قال يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين. وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ، فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها، سأوريكم دار الفاسقين". (الأعراف١٤٢-١٤٥).

وتتضمن القصة القرآنية لذلك المشهد المحاور التالية:

١ - عمل موسى بوصية الله سبحانه وتعالى بالصعود إلى الجبل والمكوث فيه لأربعين ليلة: "وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة".

٢ - قبل ذهاب موسى لميقات ربه أمر أخاه هارون وهو ابن أمه وأبيه، ووزيره فى الدعوة، أن يكون خليفة على بنى إسرائيل، وأكد عليه النظر فى مصالحهم وشئونهم واليقظة فى أمرهم: "وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين".

٣ - ذهاب موسى لميقات ربه، أى فى الوقت الذى أمره بالمجئ فيه "ولما جاء موسى لميقاتنا"، كلمه ربه، أى كلمه من وراء حجاب، ولكن موسى سأل

الله رفع الحجاب ليراه "ربى أرنى انظر إليك" أى مكنى من رؤيتك أو تجلى لى فأنظر إليك وأراك، فقال الله تعالى لموسى "لن ترانى ولكن أنظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى"، ولأن الله سبحانه وتعالى "لاتدركه الأبصار"، وأراد الله أن يعلم موسى أنه طلب شيئا عظيما لا تتحمله الجبال فتجلى الله فى الجبل فصار دكا - أى غاص فى الأرض أو تفتت وخر موسى مغشيا عليه كما يخر من أخذته الصاعقة، وذلك لما هاله من صوت ماعدا الجبل حين صار دكا ثم أفاق من غشيته ليعلن توبته أمام الله: "فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين"، أى أنه أى موسى، آمن بعظمة الله وجلاله، وإنه لا يرى أحد الله إلا مات .

٤ - إصطفاء الله لموسى على الناس برسالاته، وهى أسفار التوراة"، وبكلامه تعالى بأن يوحى اليه بلا واسطة ملك، بل يسمعه ما يريد أن يبلغه إليه وأن يأخذ ما أعطاه من شرف الإصطفاء والكلام شاكرا الله تعالى على ما أعطى. وكتب الله ما يحتاج إليه بنو إسرائيل من بيان الحلال والحرام والمحاسن والقبائح فى ألواح اختلف المفسرون فى عددها بين عشرة واثنين، كما اختلفوا فى حقيقتها بين خشب وزبرجد وياقوت. وكان المكتوب فى هذه الألواح المواعظ والأحكام وتفصيل لكل شئ يهم بنى اسرائيل. وأمره الله تعالى أن يأمر بنى إسرائيل بأن يأخذوها بقوة، أى بعزم ونية صادقة، وأن يأخذوا بأحسنها، أى يضعوها على أحسن محاملها وأجل وجوهها، أو أن يسيروا على أحسن وأفضل ما رسم فيها، بأن يفعلوا ما هو أدعى إلى الزلفى من الله تعالى، فإذا مضى فيها على خصلتين تقربان إلى الله تعالى وأحداها تستدعى ثوابا أعظم، فعليهم أن يأخذوا بالأفضل وإن فى كل فضل - وأنه سيريهم دار الفاسقين: "قال يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن

من الشركرين. وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين".

وقد أشار القرآن الكريم إلى ما حدث بعد إعطاء بنى إسرائيل الميثاق، حيث يقول سبحانه وتعالى: "وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون، ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين"، (البقرة٦٣-٦٤). "وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه وقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون". (الأعراف١٧١).

وفى هاتين الآيتين، ذكر الله تعالى إنه رفع جبل الطور فوق بنى إسرائيل حتى صار كأنه ظلة (غمامة) وظنوا أنه وقع بهم وأيقنوا ذلك. وأمرهم أن يأخذوا ما أتاهم من الأحكام بقوة بأن يفعلوها دون تذمر أو توقف، وأن يحافظوا عليها أشد المحافظة بجد وعزم قوى على تحمل مشاق ما آتوه. ولكنهم تولوا بعد ذلك، أى أنهم بعد مشاهدة هذا الميثاق العظيم والأمر الجسيم نكثوا عهودهم ومواثيقهم" فلولا فضل الله عليكم ورحمته"، بأن تداركهم بالإرسال إليهم وإنزال الكتب عليهم "لكنتم من الخاسرين".

جـ - العجل الذهبى وكسر ألواح العهد :

تحتل قصة العجل الذهبى مرحله هامة من مراحل قصة تلقى الوصايا العشر مكتوبة بيد الرب على اللوحين الحجريين، لتكتمل بذلك حلقه من حلقات تذمر بنى أسرائيل المستمره ضد موسى وضد إلهه وكذلك حلقة من حلقات المواجهة العنيفة بين اسرائيل وموسى. وتبدأ قصة العجل الذهبى بتبرم بنى اسرائيل من غياب موسى لميقات ربه بالجبل ومطالبتهم هارون بصنع آلهة تسير أمامهم بدلا من يهوه الذى أخرجهم من أرض مصر :

"ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل إجتمع الشعب على

هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة كثير أمامنا. لأن هذا موسى الرجل الذى اصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه" (الخروج ٣٢:٦).

وهنا تظهر حاجة بنى إسرائيل إلى زعيم جديد، ومن ثم إلى إله جديد فطلبوا من هارون أن يصنع لهم إلها يتخففون به من وطأة عزلتهم الدينية. وسرعان ما لبى هارون طلبهم إما إبتهاجا بتلك الفرصة التى أتيحت له ليحل محل موسى فى زعامة قومه، وإما رضوخا لضغوط تلك الجماعة المارقة. وهنا طلب هارون من بنى إسرائيل أن يلقوا إليه بما لديهم من مقتنيات الذهب التى سلبوها من أهل مصر لدى خروجهم منها:

"فقال لهم هارون إنزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بازميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر" (الخروج٣٢:٢ – ٤).

ونلاحظ فى هذا التحول عدة أمور جديرة بالاعتبار:

١ – أن هارون صنع من الذهب عجلا شبيها بعجل أبيس المعبود المصرى القديم ، ومعنى هذا أن بنى إسرائيل أو الغالبية العظمى منهم كانت مازالت تعيش فى إسار التأثر بالديانات المصرية القديمة ولم تكن قد تخلصت منها بعد، أو إنها كانت مازالت تحن الى معبودات العبريين القدماء الذين كانوا يعبدون عجلا ذهبيا أو مذهبا، وكانوا يتخذون منه إلها ورمزا للقوة والإخصاب. وفى العهد القديم مواضع شتى نجد فيها موازنة بين إله العبرانيين يهوه والعجل الوحشى، ومن ذلك قول بلعام يصف يهوه ويذكر كيف أخرجه شعبه المختار حثيثا من أرض مصر: "الله أخرجه من مصر. له مثل سرعة الرئم" (العدد٢٣:٢٢) وكذلك (العدد٢٤:٨).

ب – أن بنى إسرائيل كانوا ومازالوا فى حيرة من أمرهم لا يؤمنون إيمانا راسخا بإله موسى الذى أخرجهم من أرض

مصر، ولذلك فإنهم إعتبروا أن العجل هو إلههم الذى أصعدهم من أرض مصر.

ومع نهاية الأربعين يوما والأربعين ليلة أخبر يهوه موسى بما كان من أمر الشعب الذى إلتف حول العجل الذهبى وقدم له فروض الطاعة، ووصفهم بإنهم "شعب صلب الرقبة" (الخروج٣٢:٩) وأراد أن يفنيهم ولكن موسى تضرع أمام الرب إلهه وطلب منه أن يرجع عن حمو غضبه وذكره بوعوده وعهوده مع إبراهيم وإسحق وإسرائيل الذين حلف لهم بنفسه بأن يكثر نسلهم كنجوم السماء وأن يعطى لهم كل هذه الأرض. وعندئذ "ندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه" (الخروج٣٢:٧ -١٤) وهنا ينسبون البداء إلى الرب، وهى من صفات من يهم بالشئ ثم يبدو له غيره، وهى صفة من صفات المخلوقات لا من صفات الله : "وبعد ذلك نزل موسى من الجبل ولوحا الشهادة فى يدة، لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين. واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين" (الخروج٣٢:١٥ - ١٦).

وعند هذا الحد من القصة نفاجأ بظهور يشوع بصحبة موسى عند نزوله من الجبل وقد اختلط عليه أمر الأصوات والجلبة التى تملأ المحلة فظنها قتالا يدور بين بنى إسرائيل: "وسمع يشوع صوت الشعب فى هتافه. فقال لموسى صوت قتال فى المحلة، فقال ليس صوت صياح النصر ولا صوت صياح الهزيمة. بل صوت غناء أنا سامع" (خروج٣٢:١٧ - ١٨). وبالرغم من أن القصة تشير إلى أن موسى كان على علم بما وقع من فساد الشعب وانحرافه عن عبادة يهوه ونسيانه لقائده ونبيه موسى، إلا أنه تصرف وكأنه فوجئ بالأمر برمته وأظهر حنقا شديدا: "فحمى غضب موسى ورمى اللوحين من يديه وكسرهما فى أسفل الجبل. ثم أخذ العجل الذى صنعوه فأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعما وذراه على وجه الماء وسقى بنى إسرائيل" (خروج٣٢:١٩ - ٢٠).

ولقد كانت الألواح بمثابة شهادة على التزام بنى إسرائيل بالمحافظة على الوصايا التى نحتت على الألواح وإقامتها. وقد وضعت هذه الألواح فى تابوت العهد، الذى رمز مع "الكروبيم" (ملائكة مجنحة من الذهب نحتت على جانبى تابوت العهد) إلى مسكن الرب. وقد إعتبرت "الكروبيم" بمثابة كرسى الرب والتابوت من أسفلها بمثابة موطئ أقدامه. وقد عرف من وثائق حيثية معاصرة لموسى، أن الشعوب إعتادت أن تضع شهادات العهد تحت أقدام الرب، أى أسفل التمثال، وذلك فى أديان العالم فى الزمن القديم.(٧).

وهذا التناظر الوظيفى فى عادات العهود فى تلك الأيام يفسر لنا سبب كسر موسى للألواح عندما رأى بنى إسرائيل يسجدون للعجل الذهبى، فنحن نعلم عن شعوب الشرق القديم، وبالأخص عن شعب ميزوبوتاميا، أن كسر الألواح معناه إلغاء الالتزام. والاصطلاح الكلاسيكى لهذا الأمر هو "تيبام حيبو" أى "كسر الألواح". وبناء على هذا يتضح لنا، أن موسى لم يقم بكسر الألواح ضعفا أو غضبا، بل بعد تدبر وتفكير فى الأمر منذ البداية. إن نقض الإلتزام الأول الوارد فى الوصايا العشر عن طريق صنع مثال منحوت قد أدى إلى تناثر الألواح التى نحت عليها الالتزام. وقد أدرك ربى أبراهام بن عزرا هذا الأمر بشكل صحيح حينما قال فى تفسيره لسفر الخروج (١٩:٣٢): "لقد كسر موسى الألواح التى كانت فى يديه من فرط الغيرة كما يمزق صك الشهادة ولذلك فقد مزق صك الشروط، وكان هذا الأمر على مشهد من كل بنى اسرائيل كما هو مكتوب: "وأكسرهما أمام عيونكم": (التثنية ١٧:٩)(٨).

وعندئذ تحدث المواجهة بين موسى وهارون الذى خان وكالته وأفسد رعيته، فاعتذر هارون بأنه لم يصنع العجل عن عمد وأنه لم يفعل شيئا سوى أنه جمع لذهب وطرحه فى النار فإذا هو عجل يكاد يسمع له خوار" (الخروج ٢٤:٣٢).

وهنا جمع موسى نوى قرابته من بنى لاوى وقال لهم "هكذا قال الرب إله إسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب الى باب فى

المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه. ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى. ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل" (الخروج ٣٢: ٢٧ - ٢٩). وهذه الواقعة يرى فيها بعض المفسرين إشارة إلى حرب أهلية وقعت بين موسى وأتباعه من اللاويين من ناحية، والمارقين من بنى إسرائيل عباد العجل الذهبى، من ناحية أخرى، لإجبارهم على العودة لعبادة يهوه إله إسرائيل.

إذن فنحن نعرف عند هذا الحد أن ألواح العهد التى كتب عليها الرب بيده الوصايا والشرائع قد كسرت فى هذا المشهد الذى يمثل فصلا من فصول قصة هذين اللوحين، ولكن الستار لم يسدل عند هذا الحد، وذلك لأن الرب قال لموسى : "إنحت لك لوحين من حجر مثل الأولين فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التى كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما" (الخروج٣٤: ١).

ومعنى هذا أن الرب وعد موسى وعدا قاطعا بأن يكتب له على اللوحين الجديدين صورة مما كان قد خطه بإصبعه على اللوحين اللذان كسرا. وبالفعل: "نحت لوحين من حجر كالأولين وبكر موسى فى الصباح وصعد إلى جبل سيناء كما أمره الرب. وأخذ فى يده لوحى الحجر" (الخروج٣٤: ٤).

ولكن الذى حدث هو أن يهوه أخلف وعده مع موسى وأمره بأن يكتب لنفسه الكلمات: "وقال الرب لموسى أكتب لنفسك هذه الكلمات لأننى بحسب هذه الكلمات قطعت عهدا معك ومع إسرائيل. وكان هناك عند الرب أربعين نهارا وأربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماءً. فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر" (خروج٣٤: ٢٧-٢٨). وهنا نجد أنفسنا أمام صيغة أخرى من الوصايا يطلق عليها تعبير "هذه الكلمات"، ويطلق عليها كذلك "كلمات العهد الكلمات العشر" يعتقد أنها الصيغة الأقدم، من تلك الواردة فى (الخروج الاصحاح العشرون)، وفى (التثنية الاصحاح الخامس). وهذ الوصايا ترد فى

(سفر الخروج ٣٤:١١-٢٦)، وهي ليست الوصايا العشر المعروفة، بل ربما وصايا أمر بها آدم الأول، وأبناء إسرائيل في مصر وفي مارا، حسب تفسير "التنائيم". وهذه الوصايا هي:

١ - منع قطع عهد مع الكنعانيين: "إحترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض التي أنت آت اليها لئلا يصيروا فخا في وسطك..."

"إحترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض، فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لألهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم..."

٢ - منع السجود لغير يهوه ومنع صنع آلهة مسبوكة:

"لا تسجد لإله آخر لأن الرب إسمه غيور "إله غيور هو"، لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة".

٣ - شريعة عيد الفصح: "تحفظ عيد الفطير.."

٤ - فاتح الرحم: "لي كل فاتح رحم"

٥ - شريعة السبت: "ستة أيام تعمل وأما اليوم السابع فتستريح فيه"

٦ - عيد الأسابيع: "وتصنع لنفسك عيد الأسابيع"

٧ - عيد الحصاد: "في الفلاحة وفي الحصاد تستريح"

٨ - الحج "ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله إسرائيل"

٩ - ذبيح عيد الفصح: "لا تذبح على خمير دم ذبيحتي. ولا تُبت إلى الغد ذبيحة عيد الفصح".

١٠ - أبكار الأرض: "أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الرب إلهك".

١١ - عدم طبخ الجدى بلبن أمه: "لا تطبخ جديا بلبن أمه".

والذى كتب تلك الوصايا، التي يصعب تحديد عددها (كما هو من الصعب كما سنرى فيما بعد، تحديد عدد الوصايا الواردة فى سفر الخروج الاصحاح ٢٠) هو موسى، وإذا كان الامر كذلك فنحن أمام سلسلة أخرى من الوصايا يطلق عليها "الكلمات العشر"! ولكن حيث أنه من الصعب القول بأن تعبيرا واحدا يمكن أن يطلق على صيغ مختلفة من الوصايا، فيبدو، أن خاتمة الفقرة ٢٨ تدور حول أقوال الرب فى الفقرة الأولى: "وتكتب على الألواح الكلمات التى كانت على الألواح الأولى" حيث أنه فيما بين الفقرات من الأولى وحتى الثامنة والعشرين نجد تفصيلا آخر تماما عن شروط العهد (الفقرات ١٠ - ٢٧)، وهى فقرات لا ينطبق عليها تعبير "الكلمات العشر". والعلاقة بين هاتين السلسلتين، وبينهما معا مع "كتاب العهد" الوارد فى سفر الخروج٢٤:٧، الذى على "كل أقواله" عقد عهد سيناء، هى علاقة معقدة. وفيما يبدو، فإنه قد حفظت فى التقاليد القديمة عدة شهادات أطلق عليها "كلمات العهد"، وقد سعى مؤلف التوراه إلى دمجها جميعا فى قصة إعطاء الشريعة، ولكنه لم يستطع، (أو لم يرغب)، أن يثير خلافا حول المشاكل التى وقعت بسبب وجهة نظره المحافظة، التى سيطر عليها الإجلال لتلك التقاليد.

وهناك إعتقاد يسود إلى حد ما فى أبحاث العهد القديم (المقرا) يقول أن الوصايا الواردة فى (سفر الخروج٣٤:١٠ - ٢٧) تتضمن سلسلة من عشر وصايا (أو أكثر قليلا)، وأن هذه السلسة، التنى تسمى فى هذه الأبحاث "الكلمات العشر العبادية" (وفقا للمضمون الذى يتناول العلاقات فيما بين بنى اسرائيل وإلههم فحسب) هى سلسلة أقدم من ناحية مستوى تطورها الايمانى أو العقائدى عن "الكلمات العشر" الشائعة (التى يطلق عليها للتفرقة، "الكلمات العشر التقليدية")، والإفتراض هو، أن عقيدة إسرائيل قد مرت بتطور هائل، حيث كانت ترتكز فى بدايتها على شرائع العبادة، ثم أصبحت بعد ذلك (فى النبوة الكلاسيكية) تركز على الأخلاق، وقد أشار النقد الذى وجه إلى وجهة

النظر هذه، من بين ما وجهه من إنتقادات، إلى غياب التوحيد الذى يميز الوصايا التقليدية من الكلمات العشر التقليدية: إن التقدير الإخلاقى المبلور فيها ليس موجودا فى أدب "المقرا" السابق للأنبياء فحسب، بل كذلك فى أدب الشعوب القديمة التى هى خارج "المقرا"(٩).

والملاحظ بطبيعة الحال هو وجود إختلاف بين هذه الصيغة من الوصايا العشر، وبين الصيغة الواردة فى سفر الخروج الإصحاح العشرون، أو فى سفر التثنية الإصحاح الخامس. والغريب فى الأمر أن قصة العجل الذهبى وكسر اللوحين وإعادة كتابتها ترد فى سفر التثنية بشكل مختلف، وخاصة فيما يتصل بأمر كتابة الرب للألواح الجديدة بيده كألواح بديلة لتلك التى كسرت. فالقصة فى سفر التثنية تشير إلى أن الوصايا العشر سلمت لموسى مرة أخرى مكتوبة بيد الرب على لوحين جديدين نحتهما موسى بيده:

"فكتب على اللوحين مثل الكتابة الأولى الكلمات العشر التى كلمكم بها الرب فى الجبل من وسط النار فى يوم الاجتماع وأعطانى الرب إياها. ثم انصرفت ونزلت من الجبل ووضعت اللوحين فى التابوت الذى صنعت فكانا هناك كما أمرنى الرب" (التثنية١٠: ٤-٥).

وبالرغم من أن التوراة لا تذكر أن هذين اللوحين حطما كاللوحين الأولين، إلا أن التاريخ لم يحفظ لهما أى ذكر ولم يعثر عليهما ولا على "تابوت العهد".

٣ - نسخ الوصايا العشر وتقسيمها:

توجد الوصايا العشر فى التوراة فى أكثر من نسخة. فهناك النسخة التى وردت فى (سفر الخروج٢٠:٢-٧)، وهى أكثر اتصالا بالعادات والتشريع، وهناك نسخة أخرى وردت فى (سفر التثنية ٥:٦-٢١)، وتوجد نسخة ثالثة وردت فى (سفر الخروج (٣٤:١٠-٢٦)، وهى أكثر اتصالا بالدين والعقيدة. والنسختان الأولى والثانية وهما أشهر الصيغ متشابهان إلا فى تفاصيل قليلة، بالرغم من إنهما موصى بهما من مصدر واحد هو يهوه، إله اليهود فى تلك المرحلة، إلى شخص واحد هو موسى. وفيما عدا هذه النسخ، الموجودة فى نسخة "الماسورة"(١٠) الخاصة بالتوراه (الخروج ٢٠:٢-١٧، والتثنية ٥:٦-٢١) فإن هناك نسخا أخرى تختلف عنهما بعض الشئ فى التوراة السامرية، تتميز بالميل إلى التقليل من الفروق الواقعة فى نسخ الخروج والتثنية.

وفيما يلى سوف نورد لنصوص نسخ الوصايا العشر فى كل من سفرى الخروج والتثنية:

سفر الخروج (٢٠ : ٢ - ١٧)	سفر التثنية (٥ : ٦ - ٢١)
أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامى. لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا أى صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن وتعبدهن، لأنى أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى، وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياى.	أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامى. لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا أى صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن وتعبدهن، لأنى أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياى.

سفر الخروج (٢٠ : ٢ – ١٧)

لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا. لأن الرب لا يبرئ من نطق بإسمه باطلا.

أنكر يوم السبت لتقدسه. ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك. وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع عملا ما أنت وإبنك وإبنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك. لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه.

أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك.

لاتقتل.

لاتزن.

لاتسرق.

لا تشهد على قريبك شهادة زور.

لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك.

سفر التثنية (٥ : ٦ – ٢١)

لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا. لأن الرب لا يبرئ من نطق بإسمه باطلا.

إحفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك. ستة أيام تعمل وتصنع كل أعمالك. واليوم السابع سبت للرب إلهك لا تعمل فيه عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذى فى أبوابك لكى يستريح عبدك وأمتك مثلك. واذكر إنك كنت عبدا فى أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة. لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت.

أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب إلهك لكى تطول أيامك ولكن يكون لك خير على الأرض التى يعطيك الرب إلهك.

لاتقتل.

لاتزن.

لا تسرق.

لا تشهد على قريبك شهادة زور.

لا تشته إمرأة قريبك، ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك.

نسخة الوصايا بين "الماسورة" و"التوراة" السامرية

نسخة التوراه فى سفرى الخروج والتثنية	نسخة التوراة السامرية فى سفرى الخروج والتثنية
سفر الخروج : أذكر يوم السبت سفر التثنية : إحفظ يوم السبت	إحفظ يوم السبت
سفر الخروج : لا تشته بيت قريبك سفر التثنية : ولا تشته زوجة قريبك	لا تشته بيت قريبك
سفر الخروج: لا تشته امرأة قريبك (فعل لا تشته هو "تَحَمود")	ولا تشته زوجة قريبك (فعل لا تشته هو "تَحَمود")
سفر التثنية : ولا تشته بيت قريبك (فعل لا تشته هو "تِتْأفيه")	
سفر الخروج : وعبده وأمته وثوره وحماره	حقله وعبده وأمته وثوره وحماره
سفر التثنية: حقله وعبده وأمته وثوره وحماره	أربعة "لا"
سفر الخروج: بعد "لا تقتل" خمس لاءات"	
سفر التثنية : خمسة "ولا"	والخامسة "لا"

والفارق الرئيسى بين نسخة "الماسورة" (التقاليد اليهودية) والنسخة السامرية هو إن الوصية التى تعتبر العاشرة من حيث الترتيب العددى (بالنسبة لهم الوصية الأولى هى "لا يكن") وتتضمن وصايا نشر الوصايا العشر، وبناء مذبح فى جبل جرزيم، وهو الجبل المقدس لدى السامريين بدلا من جبل سيناء، ونص هذه الوصية هو:

"وإذا جاء بك الرب إلهك إلى أرض الكنعانى التى أنت داخل إليها لترثها(١١)، فتقيم لك حجارة كبيرة وتكلسها بالكلس وتكتب على الأحجار كل

كلمات هذه التوراة (١٢)، ويكون حين عبوركم لنهر الأردن أن تقيموا هذه الحجارة التى آمركم بها اليوم فى جبل جرزيم (وردت بالعبرية كلمة واحدة هكذا "هَرْجِرْزِيم")(١٣)، وتبنى هناك مذبحا للرب إلهك مذبحا من حجارة(١٤).

وهذه الوصية، تكشف مبدأ إيمان السامريين بقداسة جبل جرزيم، من ناحية، وتكشف من ناحية أخرى، عن الرأى الذى ذاع لأول مرة فى الأدب اليهودى - الهللينى من أن الوصايا العشر تشتمل على "كل كلمات الشريعة". وقد عثر على نسخة أخرى من الوصايا العشر فى بردية ناش، وهى بردية مصرية يعتقد أن تاريخها يعود إلى الفترة الواقعة بين القرن الثانى ق.م والقرن الأول الميلادى، وحيث أن "إسمع يا إسرائيل" (الشماع) قد جاءت بعد الوصايا، فإنه من المحتمل أن نص هذه الوصايا فى بردية ناش يعكس إستعمالا عباديا. ونسخة الوصايا العشر فى بردية ناش قريبة من تلك الواردة فى الترجمة السبعينية فى سفر الخروج، ومن المحتمل، أن يكون هذا النص البردى قد نقل عن نسخة عبرية تشبه الترجمة اليونانية(١٤).

ومن الواضح أن هناك اتجاها بالنسبة لنسخ الوصايا العشر التى ليست من"الماسورة" يذهب لمقارنة الصيغ الواردة فى سفر الخروج مع صيغ سفر التثنية وخلطها. كذلك فإن تفصيل ممتلكات الإنسان فى وصية السبت تشبه ذلك التفصيل الوارد فى وصية "لاتشته" (لوتَحموِد/لوتِتاَفيه) فى النسخ التى ليست من "الماسورة". وهذا الاستنتاج يميل إلى أسبقية نسخة "الماسورة" بالنسبة لسائر تقاليد النسخ ويرى إنها مرتبطة بها.

وتختلف الصيغة الثالثة من الوصايا العشر الواردة فى سفر الخروج (٣٤:١١-٢٦) عن الصيغتين الأولى والثانية شكلا ومضمونا. وفيما يلى هذه الصيغة:

"إحفظ ما أنا موصيك اليوم. ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانين والحيثيين والفريزيين والحويين واليبوسيين ، إحترز من أن تقطع عهداً مع سكان

الأرض التى أنت آت إليها لئلا يصيروا فخا فى وسطك. بل تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم، فإنك لا تسجد لإله آخر. لأن الرب اسمه غيور. اله غيور هو. إحترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض فيزنون وراء آلهتكم ويذبحون لآلهتكم فتدعى وتأكل من ذبيحتم وتأخذ من بناتهم لبنيك فتزنى بناتهم وراء الهتمهم ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن. لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة. تحفظ عيد الفطير (الفصح) سبعة أيام تأكل فطيرا كما أمرتك فى وقت شهر أبيب، لأنك فى شهر أبيب خرجت من مصر. لى كل فاتح رحم، وكل ما يولد ذكرا من مواشيك بكرا من ثور شاه، وأما بكر الحمار فتفديه بشاه، وإن لم تفده تكسر عنقه. كل بكر من بنيك تفديه ولا يظهر أمامى فارغين. ستة أيام تعمل، وأما اليوم السابع فتستريح فيه. فى الفلاحة وفى الحصاد تستريح. وتصنع لنفسك عيد الأسابيع أبكار حصاد الحنطة وعيد الجمع فى آخر السنة. ثلاث مرات فى السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله إسرائيل فإنى أطرد الأمم من أمامك وأوسع تخومك ولا يشتهى أحد أرضك حين تصعد لتظهر أمام الرب إلهك ثلاث مرات فى السنه. لا تذبح على خمير دم ذبيحتى ولا تبت إلى الغد ذبيحة عيد الفصح. أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الرب إلهك. لا تطبخ جديا بلبن أمه".

ويتحدث الجزء الأول من الصيغة الثالثة عن علاقة الشعب اليهودى بالكنعانيين حيث يحذرهم يهوه من أن يقطعوا عهدا معهم "لئلا يصيروا فخا فى وسطك"، ومن أن يتزوجوا من بناتهم، أما الجزء الثانى فهو خاص بالأعياد وطقوس الاحتفال بها، وإن كانت هناك إشارة إلى الأرض - والشعب: "فإنى أطرد الأمم من أمامك وأوسع تخومك"، ففى هذا مرة أخرى ربط الطقس الدينى (الاحتفال بالأعياد) والأحداث التاريخية (توسيع التخوم). هذا ويعتقد الحاخامات أن الوصايا العشر عرضت على كل الشعوب فأبوا أن يحملوها وحملها الشعب

اليهودى وحده، ولذلك فهو شعب متميز مختار مقدس وبالتالى مفضل عن جميع الشعوب.

ومعظم الاختلافات بين صيغ سفر التثنيه وصيغ سفر الخروج فى نسخة "الماسورة" لابد من ربطها بسياق سفر التثنية، والنظر إليها باعتبارها ثانوية بالنسبة لصيغ سفر الخروج. ويمكن تناول هذه الاختلافات على النحو التالى:

١ - **إن مغزى شريعة السبت فى سفر الخروج**، هو أن الله خلق السماء والأرض والبحر فى ستة أيام، وهو مغزى مرتبط ارتباط وثيقا بلغة بداية الوصية ("أذكر.... لتقدسه"). بينما نجد أن مغزى تقديس السبت فى صيغة سفر التثنية هو: ("أذكر إنك كنت عبدا فى أرض مصر...")، وهذا المغزى مرتبط ببداية الوصايا العشر فى كلا النسختين (الخروج والتثنية):

"أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية"، وهى مقدمة ستتناول مغزاها عند تفسير الوصايا. و"ذكرى الخروج من مصر" هذه تلحق بتذكارات مشابهة موجودة على إمتداد التشريعات الواردة فى سفر التثنية(١٥).

وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك تبريرا ذو وجه إنسانى لهذه الشريعة، هو: "لكى يستريح عبدك وأمتك مثلك"، وهو ما يتفق مع الإتجاه الاخلاقى الذى ميز سفر التثنية عن سفر الخروج باعتبار أنه يعكس وجهة نظر الأنبياء أكثر من وجهة نظر الكهنة.

٢ - **فى وصية "أكرم أباك وأمك"**، نجد فى صيغة سفر التثنية زيادة عن صيغة سفر الخروج هى: "كما أوصاك الرب إلهك" و"لكى يكون لك خير"، والعبارة الأخيرة بالعبرية هى: "أولماعان ييطف ليخا"، ويرى بعض المفسرين أن الهدف من هذه الاضافة فى صيغة سفر التثنية، أن الوصايا العشر فى صيغة سفر الخروج لم يرد فيها حرف الطاء على الإطلاق، ولذلك ارتأى الرب هذه الإضافة التى تتضمن إحدى كلماتها حرف الطاء وهى كلمة

"ييطيف" (يكون بخير)، حتى تكون كل حروف الأبجدية ممثلة في الوصايا دون تفرقة. ويرى البعض في تبرير هذه الإضافة رأيا مثيرا للغاية، وهو أن الألواح الثانية التي كتبت عليه الوصايا. بعد أن كسر موسى الألواح الأولى في ثورة غضبه، كانت أكبر من الأولى، لأنها تضمنت هذه الإضافة "لكي يكون لك خير"(١٦).

٣ - **إضافة "الثور والحمار" إلى قائمة الممتلكات الواردة في صيغة** سفر التثنية التي تتناول شريعة "لاتشته"، وهو ما يبدو بمثابة استرسال لنفس القائمة الواردة في شريعة السبت، والتي ورد فيها "الثور والحمار" زيادة عن القائمة الواردة في شريعة السبت في سفر الخروج.

٤ - **في وصية "لاتشته"** يبدأ سفر الخروج بسرد كل ما يشتمل عليه البيت:

"إمرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره"، دون الإشارة إلى الحقل، مما يسفر على أن هذه الوصية تعكس حياة البداوة والتنقل. بينما نجد أن هذه الوصية في سفر التثنية قد اشتملت على "الحقل" وهو ما يفسر على أن هذه الصيغة في هذه النسخة تعكس حياة الاستقرار والزراعة، مما يؤكد أن نسخة سفر التثنية متأخرة عن نسخة سفر الخروج.

٥ - **إستخدام العبارة العبرية "لوتِتْأفيه" بمعنى لاتشته، في** صيغة سفر التثنية بدلا من "لوتَحْمود" المستعملة في صيغة الوصايا الواردة في سفر الخروج.

٦ - **إختلاف ترتيب الأشياء التي تحرم الوصية الأخيرة اشتهاؤها** في الصيغتين الواردتين في كل من سفر الخروج وسفر التثنية. ففي سفر الخروج ورد الترتيب على النحو التالي:

"لا تشته امرأة قريبك ولا عبده وأمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما

لقريبك". أما فى سفر التثنية فقد ورد الترتيب على النحو التالى:

"لا تشته امرأة قريبك" (وهنا استخدم الفعل "حَمَدَ" "لوتَحَمود") ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولاحماره ولا كل ما لقريبك" (أستخدم هنا الفعل "هتأفيه" "لوتتأفيه")

ويرى بعض المفسرين أن هذا الاختلاف فى الترتيب بين الصيغتين إنما حدث لأن موسى رتب موضوعات الاشتهاء فى سفر الخروج وفقا لغرائز الشباب، التى تشتهى المرأة أولا، وبعد ذلك البيت، وبعد ذلك العبد والأمة، وبعد ذلك الحقول والكروم، أما فى سفر التثنية فقد رتبها القدوس تبارك وتعالى، وفق نزعات الحكماء والعاقلين الذين يشتهون أولا البيت، وبعد ذلك المرأة، وبعد ذلك العبد والأمة، وبعد ذلك الثور والحمار(١٧).

٧ - يرد النصف الأخير من الوصايا العشر فى نسخة سفر التثنية وهى الوصايا المرتبطة بعلاقة الإنسان برفيقه بينما تربط واو العطف بين كل وصية وأخرى، وهو الأمر الذى يرى فيه البعض تعبيرا عن أن كل هذه الوصايا مرتبطة فى الالتزام بها بما يعنى أن تجاوز أى وصية منها إنما يعتبر نقضا لكافة الوصايا، فنحن نقرأ:

"لا تقتل ولا تزن ولا تسرق ولا تشهد على قريبك شهادة زور ولا تشته إمرأة قريبك... ولا كل ما لقريبك" (التثنية ٥:١٧-٢١)، بينما نجد فى سفر الخروج أن كل وصية قائمة بذاتها وغير مرتبطة بالوصية التالية بأداة العطف التى تعنى الربط العملى بين هذه الوصايا.

٤ - تقسيم الوصايا العشر :

بالرغم من أن نسخ الوصايا العشر الواردة فى كل من سفر الخروج والتثنية ترد فى ست عشرة فقرة، إلا أن اصطلاح "الكلمات العشرة" أو "الوصايا العشر" قد أطلق عليها، نظرا لأن الرقم عشرة، كما أشرت من قبل، له شأن عندهم فيما يتصل بالعديد من القضايا الدينية فى اليهودية.

إن مارتن بوبر على سبيل المثال يبين كيف إنه يمكن إحصاء اثنتا عشرة وصية، كما إنه يمكن إحصاء ما هو أكثر(١٨).

ومن أجل الوصول إلى الرقم عشرة فلابد من ضم الجمل إلى مجموعات. وحيث إن هذا الأمر يمكن أن يتم بصور مختلفة، فقد أصبحت هناك مناهج مختلفة فى تقسيم الوصايا العشر.

والنقاط الرئيسية التى هى محل خلاف فى تقسيم الوصايا العشر هى:

أ - هل الفقرة الثانية "أنا الرب إلهك" هى وصية قائمة بذاتها، أم مقدمة للوصايا.

ب - هل الوصايا "لا يكن لك ... لا تصنع لك ... لا تسجد ..." (٣-٦)، تشكل وصية واحدة، أم وصايا منفصلة .

جـ - هل الوصيتين الأخيرتين "لا تشته" (١٧) يعتبران كوصية واحدة أم وصيتان. وبالفعل فقد أصبح هناك بمرور الزمن ثلاثة مناهج رئيسية فى تقسيم الوصايا العشر وهى :

أ - التقسيم الشائع بين اليهود.

ب - تقسيم فيلون وكلابين، الذى فيه "لا تصنع لك" هى الوصية الثانية.

جـ - تقسيم أوجسطين والكاثوليك من بعده، الذى فيه "لا تحلف" هو الوصية الثانية، و"لا تشته" تنقسم الى وصيتين.

وبالنسبه للتقسيم اليهودى الشائع فإن لكل من التلمود والمدراشيم تقليد موحد فى هذا الشأن، من مدراش التنائيم وحتى المدراشيم المتأخرة. ويكفى أن

نورد أقدمها، وهو "همخيلتا" (مسيختا دبحوريش):

"كيف أعطيت الوصايا العشر؟ خمس على هذا اللوح وخمس على اللوح الآخر.

يكتب : أنا الرب إلهك، وفي مقابلها : لا تقتل ..

يكتب : لا يكن لك، وفي مقابلها : لا تزن..

يكتب : لا تحلف باسم الرب الهك باطلا، وفي مقابلها : لا تسرق..

يكتب : أذكر يوم السبت لتقدسه، وفي مقابلها : لا تشهد ..

يكتب : إحترم أباك وأمك، وفي مقابلها : لا تشته ..

وفيما عدا هذا التقسيم، قسم حكماء التلمود هذا الجزء "الباراشا"، بصورة أخرى، وفصلوا بين ما قيل مباشرة من الرب لشعب اسرائيل، وبين ما قيل من الرب لموسى ومنه إلى شعب اسرائيل. وأصل هذا الأمر، على ما يبدو هو ضمائر المتكلم (أنا، أخرجتك، وجهى، أنا، كارهينى، محبّى وصاياى) التى ترد فى الوصايا الأولى، فى مقابل ضمائر الغائب التى ترد فى السياق بعد ذلك (يبرئ، إسمه، إصنع، ... الخ).

وعلى هذا الأساس فإن حكماء التلمود يقسمون الوصايا إلى عشر كلمات ويقسمونها كذلك الى مجموعتين، ويعتبر التقسيم الثانى بمثابة تقسيم ثانوى بالنسبة للأول.

والتقسيم الآخر لكل من فيلون ويوسيفوس، يرى، حسبما يبدو، أن "أنا" تعتبر مقدمة، وأن "لا يكن لك آلهة" هى الوصية الأولى، وعلى هذا لاأساس تكون "لا تصنع لك" هى الوصية الثانية(١٩).

وقد أورد فيلون السكندرى فى كتابه "عن الوصايا العشر "(الوصية ١٢فصاعدا)، وكذلك يوسف بن متتيا هو فى كتابه "قدمونيوت" (٣:٥)، وكتابه "البنود" (هسْعيفيم)، ص٩١-٩٢ نسخة للوصايا العشر على النحو التالى:

١ - أنا الرب إلهك، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى.

٢ - لا تصنع لك تمثالا.

٣ - لا تحلف باسم الرب الهك باطلا.

٤ - أذكر يوم السبت.

٥ - إحترم أباك وأمك.

٦ - لا تقتل .

٧ - لا تزن (جعل فيلون "لا تزن" هنا بدلا من "لا تسرق" على غرار الترجمة السبعينية.).

٨ - لا تسرق.

٩ - لا تشهد على قريبك شهادة زور.

١٠ - لا تشته (٢٠).

ويرى م.ى.إفرات،أن تقسيم فيلون هو التقسيم المنعكس فى نطق النبر الطبرى، بينما التقسيم المتبع بين اليهود فإنه وفقا للنطق البابلى(٢١). وكما هو معروف فإن تقسيم الوصايا العشر يخضع لقضية معقده هى قضية التقسيم وفقا للنبر، حيث يوجد تقليدين يهوديين مختلفين فى هذا المجال: منبور الآخر وهو البابلى، ومنبور الأول وهو الفلسطينيى أو الطبرى.

ويرى موشيه وينفيلد أن تقسيم فيلون لا توجد فيه وحدة فى الإيقاع، وإنه يمكن بالفعل تقسيم الوصايا من حيث طولها إلى ثلاث مجموعات من الوصايا:

١ - وصايا ذات أربع كلمات وأكثر (الأولى والثانية والثالثة والتاسعة).

٢ - وصايا ذات ثلاث كلمات (الرابعة والخامسة).

٣ - وصايا ذات كلمتين (السادسة والسابعة والثامنة والعاشرة)(٢٢).

وبطبيعة الحال فإن مثل هذا التقسيم مركب بصورة اصطناعية، وذلك لأن طول الجملة وإيقاعها، كما هو معروف، مرتبط ارتباطا مباشرا بمضمونها، وهناك موضوعات لا يمكن التعبير عنها فى كلمتين. ولكن ما يمكن استخلاصه

من هذا التقسيم، هو تميزه بلغته الموجزة فى التعبير عن الوصايا، والتزامه بالرقم عشرة، وتقسيم الوصايا عبر مجموعتين: الوصايا التى ما بين الإنسان والله، والوصايا التى ما بين الإنسان وقريبه، وهو الأمر الذى يجعل من مسألة كتابة هذه الوصايا على الألواح أمرا هينا، كما يجعل حفظها شفهيا أمرا ميسورا.

وقد سار على هذا المنهج كل من الكاثوليك والبروتستانت - بينما اتبعت الكنيسة اليونانية والانجيلية التقسيم المشابه لتقسيم فيلون.

وفى النهاية يجب الا ننسى ذلك المنهج، الذى لا يبحث عن الوصايا العشر فى نص سفر التثنية، بل فى الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج (١٤-٢٦)، حيث ذهب إلى هذا الاعتقاد، حسبما يبدو، أديب يونانى من القرن الخامس الميلادى، وكذلك جوته، وإعتقد نفس هذا الأمر كذلك فلها وزن الذى تبعه باحثون آخرون فى هذا الاتجاه(٢٣).

أما من حيث تقسيم الوصايا العشر إلى فقرات فإنه يوجد إتجاهين:

١ - يرى الإتجاه الأول أن كل وصية هى وحدة قائمة بذاتها، وعلى هذا الأساس تقسم الوصايا إلى عشر وصايا على النحو التالى:

١ - أنا الرب إلهك ... عبيدا.

٢ - لا يكن لك آلهة ... ولحافظى وصاياى.

٣ - لا تنطق باسم الرب إلهك.

٤ - أذكر يوم السبت.

٥ - إحترم أباك وأمك.

٦ - لا تقتل.

٧ - لا تزن.

٨ - لا تسرق

٩ - لا تشهد

١٠ - لا تشته، لا تشته.

وينطبق هذا لاتجاه على تقسيم نسخة الوصايا الواردة، بالتحديد، فى سفر الخروج.

أما الاتجاه الثانى فيرى إن الفقرات قصيرة، ويقسم الوصية الواحدة إلى عقدة فقرات على النحو التالى:

١ - أنا الرب إلهك.

٢ - لا يكن لك آلهة.

٣ - لا تصنع.

٤ - لا تسجد.

٥ - واصنع معروفا.

٦ - لا تحلف باسم الرب.

٧ - اذكر يوم السبت.

٨ - ستة أيام تصنع.

٩ - واليوم السابع

١٠ - لأنه فى سته أيام

١١ - إحترم أباك وأمك

١٢ - لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد.

١٣ - لا تشته، لا تشته.

وينطبق هذا الاتجاه، بالتحديد، على تقسيم نسخة الوصايا فى سفر التثنية(٢٣).

وهناك وجهات نظر أخرى حول تقسيم الوصايا العشر ترتبط أساسا بقضية النبر، كما أشرنا من قبل، وتختلف فى تقسيمات الوصايا وفقا لما هو "منبور الأول" أو "منبور الآخر"(٢٤).

وقد شعر القدماء من اليهود، بأن للوصايا العشر بناء ونظام له مغزى:

"الوصايا الخمس الأحسن ... المجموعة الأولى التى تبدأ بالرب، الأب - وخالق كل شئ، وتنتهى بالوالدين، اللذين بتقليدهما لطبيعته يلدون المخلوقات

الخاصة. والوصايا الخمس الأخرى تشمل كل الممنوعات. إن الوصايا الخمس الأول تتناوب "ما هو بين الإنسان والخالق" (مقدمة ربى ابراهام بن عزرا للتفسير المختصر)، وتتناول الوصايا الخمس الأخرى ما هو بين الإنسان ورفيقه. ويمكن القول كذلك، إن المجموعة الأولى تحدد قيما اسرائيلية خاصة، ولذلك فإن كل تفاصيلها مبررة استنادا إلى اله اسرائيل، وهو الأمر الذى لا ينطبق على المجموعة الثانية، التى تقرر فيما متفق عليها، وليست فى حاجة إلى تبرير.

وفيما يتصل بهذا الخصوص، فإن إضافة إحترام الوالدين الى الوصايا الخمس الأول، يشير إلى قيمة مميزة لصلاحية الوالدين، وهى الصلاحية التى تتأكد وتعتمد على بركة الرب لمحترمى الوالدين، وإحلال عقاب الموت لمن يخالف ذلك (الخروج٢١:١٥، ١٧).

والتمييز بين هاتين المجموعتين يتضح فى الصياغة المعقولة، المنسوبة إلى أدريانوس سحيك طامى:

"إن هذه الوصايا الخمس الأول التى أعطاها القدوس تبارك وتعالى لإسرائيل إسمه موجود فيها ... والوصايا الخمس الأخيرة التى أعطاها لأمم العالم لا يوجد فيها إسمه".

وقد ورد فى الوصايا العشر، إنها كانت منقوشة على لوحين من الحجر (الخروج٣١:١٨ والتثنية٩:١٠): "لوحان مكتوبان على جانبيهما" (الخروج٣٢:١٥)، وقد كانت ألواح الكتابة المستطيلة المصنوعة من الخشب والعاج معروفة من ميزوبتاميا، وتضم إثنان أو ثلاثة ألواح متلاصقة. ولكن لم يكن من الشائع كتابة خمس وصايا على جانب وخمسة أخرى على الجانب الآخر (كل واحدة فى مواجهة الأخرى من الجانبين)، دون أن يؤخذ فى الحسبان عدم التوازن الكمى، الذى ينطوى عليه تقسيم كهذا. ويرتبط هذا التقسيم بتفسير توراتى عتيق يشير إلى تنسيق الوصايا المتقابلة فى كل من المجموعتين الخماسيتين:

الرب على هذا اللوح والرب على اللوح الآخر، يكتب "أنا الرب الهك"، وفى مقابلها "لا تقتل"، ... ويكتب "لا يكن لك"، وفى مقابلها "لا تزن"، ويقصد بذلك أن كل من يعبد الها آخر يحكم عليه وكأنه زنى ... ويكتب "لا تحلف باسم الرب الهك باطلا"، وفى مقابلها "لا تسرق"، ويقصد بذلك إن كل من يسرق فقد أقسم باطلا ... ويكتب "أذكر يوم السبت لتقدسه"، وفى مقابله "لا تشهد شهادة زور"، ويقصد بذلك أن كل من يدنس يوم السبت فإنما يشهد أمام من يقول ذلك أإن الله لم يخلق العالم فى ستة أيام ولم يسترح فى اليوم السابع ... ويكتب "احترم أباك وأمك"، وفى مقابلها "لا تشته"، ويقصد بذلك أن كل من يشته سوف ينجب إبنا يهين أباه وأمه ويحترم من هو ليس بأب له ..

وهذا التفسير، بإبرازه تداخل الوصايا المتقابله، إنما يرمز إلى العلاقة المتبادلة بين الوصايا التى بين الإنسان والله وتلك التى بين الإنسان ورفيقه، وبتبادل نقطة المخرج لكل قول من المجموعتين لما يقابلها يتم تأكيد التساوى فى القيمة بين المجموعتين، وبناء على هذا، فإن ترتيب الوصايا يشير إلى سلم واضح فى القيم هو: إن الموضوعات التى بين الإنسان والله تسبق الموضوعات التى بين الإنسان ورفيقه، كما أن هناك داخل كل مجموعة ترتيب يراعى الأولويات: واجب عبادة الرب وحده يسبق واجب احترام اسمه، وكليهما يسبقان إحترام اليوم المقدس، وثلاثتهما يسبقون احترام الوالدين. وهكذا يتضح وجود سلم أولويات فى الوصايا الخمس الاخلاقية: إن قيمة الحياة تسبق قيمة العلاقة الشخصية (فى نسخة التوراه التقليدية "الماسورة")، وكليهما يسبقان قيمة الممتلكات، وقيمة الشهادة الحقة مستعبدة لثلاثتهما، وأخيرا جاء منع الاشتهاء كسياج للمحافظة على القيم العليا التى سبقته(٢٥).

٥ - زمن تأليف الوصايا العشر:

سعى النقاد استنادا الى افتراض أن الوصايا العشر شكلت منذ البداية سلسلة موحدة من الوصايا العشر من حيث الصورة والأسلوب - على غرار قائمة اللعنات الواردة فى سفر التثنية (٢٧:١٥-٢٦): "ملعون الإنسان الذى.."، أو قائمة الأعمال السامية الواردة فى المزمور الخامس عشر - إلى استعادة صورة الوصايا القديمة.

وحيث أن فقرات التبرير موجودة فى الوصايا الأولى فقط، والفارق بين تبرير وصية السبت فى سفر الخروج وتبريرها فى سفر التثنية يلقى بظلال من الشك على أصالتهما معا، وحيث إنه فى فقرات التبرير قد حدث تغيير دائم من التحدث باسم الرب الى التحدث عنه. وحيث إنه فى التحرك من وصايا "لا تفعل" إلى وصايا "إفعل" يوجد تناقض مع افتراض وحدة الإسلوب، فقد إقترح النقاد الأخيرون إعادة لصياغة الوصايا فى صورة قصيرة وقاطعة، نقدم منها النموذجين التاليين.

الصياغة الأولى	الصياغة الثانية
١ - لا تسجد لإله آخر	١ - لا تكن لك آلهة أخرى.
٢ - لا تصنع لك تمثالا	٢ - لا تصنع لك تمثالا.
٣ - لا تحلف باسم الرب باطلا	٣- لا تحلف باسم الرب الهك باطلا.
٤ - لا تصنع عملا فى يوم السبت	٤ - لا تحط من قدر يوم السبت.
٥ - لا تهن أباك وأمك.	٥ - لا تسب أباك وأمك.
٦ - لا تزن بزوجة قريبك.	٦ - لا تقتل قريبك.
٧ - لا تسفك دم قريبك	٧ - لا تزن بزوجة قريبك
٨ - لا تسرق رجلا من أقربائك	٨ - لا تسرق كل ما لقريبك
٩ - لا تشهد على قريبك شهادة زور	٩ - لا تشهد على قريبك شهادة زور
١٠ - لا تشته بيت قريبك (٢٦).	١٠ - لا تشته بيت قريبك(٢٧).

وقد إستند معظم الباحثين فى محاولة تحديد زمن تأليف الوصايا العشر إلى عملية اختلاف التبرير الخاصة بوصية السبت فى كل من سفرى الخروج والتثنية.

وحيث أن التبرير فى سفر الخروج مرتبط بالخلق، حسبما نرى ذلك فى التقاليد الكهنوتية (التكوين٢:١-٣ ، ٣١:١٧)، فقد ذهب بعض الباحثين من مدرسة فلهاوزن، وممن يؤخرون سفر اللاويين، إلى الإفتراض بأن نسخة الوصايا العشر الواردة فى سفر الخروج الإصحاح العشرين، هى نسخة متأخرة عن نسخة التثنية الإصحاح الخامس، ولكن ك. بود أشار إلى أن نسخة الخروج تعكس تقاليد ماسورية قديمة، ولكنه بسبب تمسكه بمنهج فلهاوزن قلب الجرة على فوهتها. وقال، إن سفر اللاويين المتأخر قد تأثر فى تبرير وصية السبت بالوصايا العشر(٢٨).

إذن فإن مسألة زمن تأليف الوصايا العشر تنقسم إلى اتجاهين:

أ- زمن تأليف صورتها الحالية، مع "الإضافات" التى تتصل اتصالاً وثيقًا بأجزاء أخرى من التوراه (مثل تبرير وصية السبت فى نسخة سفر الخروج، المرتبط بقصة الخلق المنسوبة إلى المصدر الكهنوتى التكوين ١-٢)، أو بالتبريرات الخاصة بسفر التثنية، الموجودة فى نسخة الوصايا العشر فى سفر التثنية.

ب - زمن تأليف الصيغة الأصلية التى أعيد بناؤها أو صياغتها، والتى تخلو من الاتجاهات الأدبية الخاصة بمصادر التوراه.

والرد على الاتجاه الأول يرتبط بالتحديد التاريخى لزمن تدوين المصادر التوراتيه، وليس المقصود، على كل حال، بذلك زمنا قديما، أما بالنسبة للإتجاه الثانى فإنهم يميلون حاليا الى جعله أسبق، لأنه لا توجد فى الصيغة المختصرة ما يستوجب التأخير. إن الأمر بعبادة الله وحده وعدم وجود تماثيل للرب، هى قضية تعود إلى أيام الإيمان المقرائى، ولا يمكن مقارنتها بغيرها، وعلى سبيل

المثال فإن وجهة نظر السبت على اعتبار أنه يوم راحة، قد وردت فى أجزاء من قصة المن (الخروج١٦) المنسوبة الى المصادر القديمة اليهودية الإلوهيمية.

وبالنسبة للمستوى الاخلاقى للوصايا التى تتطرق إلى العلاقة بين الإنسان وقريبه، فإن هذا المستوى ينعكس فى الأدب الدينى الخارجى السابق حتى على عصر موسى. ونقدم مثالا على ذلك من أحد "إعلانات براءة" الميت - وهو نوع من التأليف، يرجع إلى المملكة لمصرية الحديثة (القرن الخامس عشر قبل الميلاد). إن الميت يتوجه إلى قضاته الإلهيين بإعلان خاص عن كل حالة. وفيما يلى السطور العشرة الأول:

١ - لم أصنع شرا.

٢ - لم أسرق.

٣ - لم أشته.

٤ - لم أقتل انسانا.

٥ - لم أسلب.

٦ - لم أدمر فضيلة.

٧ - لم أصنع خديعة

٨ - لم أسرق أملاك الآلهة.

٩ - لم أتحدث بالكذب.

١٠ - لم أخطف طعاما.

١١ - لم أزن (٢٩).

وأخلاق الانبياء لا تنعكس بالطبع فى الوصايا العشر، وهو ما يجعل من أمر تأخير الوصايا العشر إلى زمن النبوة الكلاسيكية أمرا حتميا، وذلك لأن جعل الأسبقية للواجبات تجاه الرب والموازنة بينها وبين الواجبات تجاه الانسان ليست من الأمور المميزة لبشارة الانبياء، التى تجعل الاسبقية والأولوية للواجبات تجاه الإنسان وتقلل من وزن الواجبات تجاه الرب. ومن القضايا التى

تناولها الأنبياء ووركزوا عليها من الناحية الأخلاقية وليست موجودة فى الوصايا العشر: إنقاذ المظلوم من ظالمه، ومساعدة المساكين، وما شابه ذلك. وبناءً على ذلك، فإننا يمكننا القول بأن كل من المضمون الدينى والإخلاقى للوصايا العشر لا يشيران إلى فترة متأخرة ويبعدان إمكانية نسبتها الى عصر ولادة الأمة الإسرائيلية. ومن هنا يتضح، أن المضمون الموسع للوصايا الخمس الأولى، والتى تحدد قيما مميزة لبنى اسرائيل (العلاقة بين الاقامة فى فلسطين وبين إحترام الأب والأم بصفة عامة)، هذا المضمون يحمل طابع المصادر التوراتيه التى لم تتبلور قبل عصر الملكية فى بنى اسرائيل (المصدر الكهنوتى، وسفر التثنية). ولكن الآثار الأدبية للوصايا العشر فى سائر العهد القديم تميل إلى تأكيد قدم أصلها أو بذرتها الأولى على الأقل. وعلى هذا المنوال فنحن نسمع أصداء الوصايا العشر فى أقوال النبى هوشع٤:٢ "لعن وكذب وقتل وسرقة وفسق"، وكذلك فى هوشع ١٢:١٠:

"وأنا الرب إلهك من أرض مصر".

وأيضا فى هوشع ١٣:٤:

"وأنا الرب إلهك من أرض مصر".

ومرة أخرى فى إرميا ٧:٨:

"أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذبا وتبخرون للبعل وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها".

ويسمع صدى آخر واضح فى المزمور ٨١:٨-١١ (وهو مزمور من الصعب تحديد تاريخه):

"إسمع يا شعبى فاحذرك، يا إسرائيل إن سمعت لى

لا يكن فيك اله غريب. ولا تسجد لإله أجنبى

أنا الرب إلهك الذى أصعدك من أرض مصر"(٣٠)

وعلى ضوء ما تقدم يمكن استخلاص ما يلى:

١ - إن هذه الوصايا بالشكل الذى وصلتنا به لا يمكن أن ترجع إلى عصر موسى، فقد علم موسى بنى إسرائيل وصايا تناقلتها الأجيال وعدلوا فيها، ومن هنا ذلك الاختلاف فى نسخ الوصايا فى سفرى الخروج والتثنية.

٢ - وضوح وجهة نظر الكهنة فى الوصايا أكثر من وجهة نظر أنبياء إسرائيل، بدليل أن المبادئ الخلقية فى الوصايا هى إلتزام دينى للرب أكثر منه إلتزام اجتماعى أخلاقى.

٣ - تشابه المصطلحات الفنية والصياغة القانونية للوصايا مع الصياغة القانونية لقوانين الأمم التى عاش بينها اليهود كالبابليين، وخاصة الوصايا اللازمة لتنظيم المجتمع مثل تحريم القتل والزنا والسرقة.

٦- نصوص وأوامر مشابهة للوصايا العشر فى العهد القديم:

إن من يطالع أسفار التوراة الخمسة يدرك على الفور إنه ما من وصية من الوصايا العشر ومن وصايا "لا تفعل" التى تتضمنها الوصايا العشر - فيما عدا وصية "لا تشته" - لم ترد بصورة مشابهة فى مكان آخر من التوراة: فمنع عبادة الآلهة(٣١)، والقسم الكاذب(٣٢)، والمحافظة على يوم السبت(٣٣)، واحترام الأب والأم(٣٤)، وتحريم القتل(٣٥)، والزنى(٣٦)، والسرقة(٣٧)، والشهادة المزورة(٣٨) - كل هذه الوصايا تكررت فى كافة القوانين والشرائع المختلفة التى فى الاسفار الخمسة للتوراه. وعلي سبيل المثال، فإن مجموعة القوانين القديمة، المعروفة باسم "كتاب العهد" والقريبة من الوصايا العشر، تبدأ بحكم عبادة الآلهة: "لا تصنعوا معى آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب" (الخروج٢٠:٢٣)، وفى نفس المجموعة، وفى سياقها نجد تقريبا كل سائر الوصايا التى نصت عليها الوصايا العشر: "المحافظة على السبت" (الخروج٢٣:"٢١)، واحترام الوالدين بأسلوب النفس (الخروج٢١:١٥-١٧)، والقتل (الخروج٢١-١٢)، وسرقة النفوس (يرى بعض حكماء اليهود وكذلك بعض المفسرين المحدثين أن "لا تسرق" فى الوصايا العشرة الموجهة لسرقة النفوس(سنهدرين٨٦:٧١)وسرقة الممتلكات(الخروج٢١:١٦-٣٧، والخروج٢٢:١-٣)، وشهادة الزور (٢٣:١)(٣٩).

وسوف أركز فى هذا الفصل على مجموعة النصوص التى تتشابه فى مجمل ما ورد فيها مع أوامر مشابهة لتلك التى تضمنتها الوصايا العشر. ومن أبرز تلك النصوص "البْراشاه" (قسم من التوارة تتم قراءته كل يوم سبت) التى تحمل عنوان "قِدُوشيم تِهْيون" (تكونون قديسين)، والواردة فى الإصحاح التاسع عشر من سفر اللاويين، والتى تعتبر "البْراشاه" الوحيدة فى شريعة اللاويين، التى يوجد فيها دمج للوصايا الدينية والأخلاقية المشابهة لتلك الواردة فى الوصايا العشر. ان سائر

"البراشيوت" فى شريعة اللاويين ليست شاملة مثل هذه الوصايا حيث أن كل واحدة منها تتناول حكما معينا .

ويجب الاعتراف بأن الشئ الذى يجمع القوانين فى هذه "البراشاه" هو فكرة القداسة، بالإضافة إلى أنه من الواضح أن الوصايا العشر هى الأساس الذى ترتكز عليه هذه "البراشاه"، وقد استدل حكماء التلمود من الفقرة الأولى فى الإصحاح التاسع عشر من سفر اللاويين والتى تقول "كلم كل جماعة بنى إسرائيل"، إن هذه "البراشاه" قد قيلت فى جموع من بنى اسرائيل، والجدير بالذكر، أن موقف جبل سيناء يطلق عليه "يوم الاجتماع" (يوم هاقَهَال)(٤٠).

وبالفعل فإن هذه "البراشاه" تبدأ بالتنويه إلى الوصايا الخامسة والرابعة والثانية من الوصايا العشر: "تهابون كل إنسان أمه وأباه وتحفظون سبوتى. أنا الرب إلهكم" (اللاويين١٩:٣:٤)، وهذا التناول كما هو واضح، تناول عكسى من حيث ترتيب الوصايا العشر، وفقا لعادة الاقتباسات من نصوص أخرى. إن صاحب "البراشاه" يبدأ بالوصية الخامسة (احترام الأب والأم)، وينتقل الى الوصية الرابعة (المحافظة على يوم السبت)، ويختم بالوصية الثانية (الوثنية). كذلك فإنه فى داخل الفقرة يقوم بقلب ترتيب عناصرها، حيث نجده يقدم المفعول به على الفاعل، فبدلا من أن يقول "تهابون أمه وأباه"، يقول "أمه وأباه تهابون"، (وهذا الترتيب يتضح بالطبع فى النص العبرى وليس العربى)، ونفس الشئ بالنسبه لوصية السبت حيث يقول "سبوتى تحفظون" بدلا من "تحفظون سبوتي"، وبالاضافه الى ذلك فإنه فى وصية الأب والأم يجعل الاسبقية للأم بدلا من الأب، فيقول: "أمه وأباه"، على عكس الوارد فى نص الوصايا العشر التى تجعل الاسبقية للأب: "اكرم أباك وأمك".

وهذه الموضوعات الثلاثة تتكرر مع تغييرات بسيطة قبل نهاية الإصحاح "سبوتى تحفظون ومقدسى تهابون. أنا الرب. لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم. أنا الرب إلهكم. من أمام الاشيب تقوم وتحترم وجه

الشيخ وتخشى الهك. أنا الرب" (الفقرات ٣٠-٣٦). كذلك فإن اثنين من هذه الموضوعات (الآلهة والسبت) يختمان سفر اللاويين الاصحاح ٢٦:١-٢: "لا تصنعوا لكم أوثان ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتا أو نصبا ولا تجعلوا فى أرضكم حجرا مصورا لتسجدوا له. لأنى أنا الرب الهكم. سبوتى تحفظون ومقدسى تهابون أنا الرب"، وهو ما يشير الى مركزية الموضوع فى وعى المؤلف(٤١). وفى سياق الاصحاح نجد تحريمات للسرقة، والشهادة الزور والحلف باطلا: "لا تسرقوا ولا تكذبوا ولا تغدروا أحدكم بصاحبه ولا تحلفوا باسمى للكذب فتدنس اسم الهك. أنا الرب" (الفقرات ١١-١٢).

وقد وجد حكماء التلمود فى هذا الاصحاح أيضا إشارات الى تحريم القتل: "لا تقف على دم قريبك" (الفقرة ١٧)، وكذلك النهى عن الزنا: "لا تدنس إبنتك بتعريضها للزنى" (الفقرة ٢٩)، ومن المحتمل كذلك أن يكون تحريم الزنا قد تضمنته قوانين الهجين أو تداخل السلالات، والأمَة المخطوبة، والغرلة: "لاتنز بهائمك صنفين وحقلك لا تزرع صنفين ولا يكن عليك ثوب مصنف من صنفين. وإذا اضطجع رجل مع إمرأة اضطجاع زرع وهى أمَة مخطوبة لرجل ولم تفد فداء ولا أعطيت حريتها فليكن تأديب ... ومتى دخلتم الأرض وغرستم كل شجرة للطعام تحسبون ثمرها غرلتها. ثلاث سنين تكون لكم غلفاء..." (الفقرات ١٩-٢٥). ففى (سفر التثنية ٢٢:٩) فصاعدا يوجد نص تحذيرى بشأن تحريم تداخل السلالات ثم أحكام الزنا، وهو الأمر الذى من شأنه أن يفسر الترابط فى الموضوعات بين تداخل السلالات والاضطجاع مع الأمَة المخطوبة فى هذه "البراشاه". ويبدو أن حكم الغرلة قد ارتبط بهذه الأحكام عن طريق التداعى والترابط الذى كان متبعا فى ترتيب القوانين فى الشرق القديم. وإذا كان الافتراض الخاص بشأن العلاقة بين الجور فى الوزن والقياس و"لاتشته"، هو افتراض صحيح، فإن هذه البراشاه" تكون قد ختمت بنهاية مشابهة لتلك التى انتهت بها الوصايا العشر.

ومن الجدير بالذكر، أن نضيف، إنه على غرار الوصايا العشر التى تبدأ بعرض ذاتى من الرب، لتمنح الوصايا مصداقية وقوة، فإن الأوامر الواردة فى اللاويين الاصحاح التاسع عشر "الفقرة الثانية تبدأ بعبارة "أنا الرب إلهكم"، وهى الصيغة التى تختم بها كافة القوانين والأوامر الواردة فى هذ الإصحاح.

وعلى ضوء ما تقدم فإنه يبدو أن الإصحاح التاسع عشر من سفر اللاويين قد جاء لملأ حلقة ناقصة فى الأدب الكهنوتى فى التوراه، وعلى عكس قانون "مشناتوراه"، الذى يكرر "البراشاه" الخاصة بالوصايا العشر الواردة فى سفر الخروج، فإننا لا نجد الوصايا العشر فى القانون الكهنوتى، بالرغم من أن هذا القانون يعلن صراحة، إنه يبلغ الأحكام والقوانين التى أعطيت "بين الرب وبنى اسرائيل فى جبل سيناء" (اللاويين٢٦:٤٦). ولعدم وجود صلة بالوصايا العشر فى هذا القانون، فإنه يمكن إستنتاج أن شيئا رئيسيا قد كان ناقصا للسفر، ولذلك فقد جاء سفر اللاويين لكى يكمل هذا الشئ الناقص ويصوغ ما هو بمثابة وصايا عشر فى صياغة معدة وموسعة من قبل مؤلفه.

وبالإضافة إلى كل ما سبق لابد من تأكيد إن هذا الإصحاح الكهنوتى هو بمثابة تنويعه لموضوع الوصايا العشر، ولكنه لم يحل محلها. فهو من الناحية الموضوعية يختلف عن لغة الوصايا العشر تماما. وكما سبق أن قلنا، فإن من بين الجوانب التى ميزت الوصايا العشر هو إنه يمكن فرضها بمثابة واجب على كل فرد دون أي ارتباط بأى موقف أو ظروف أيا كانت، وليس الأمر كذلك بالنسبة لما ورد فى سفر اللاويين الاصحاح التاسع عشر، ففيما عدا القوانين التى لها مقابل فى الوصايا العشر، نجد أن سائر الأحكام فى هذه "البراشاه" مرهونة بشروط معينة مرتبطة بمن بتعلق به الأمر: فبالنسبة لحكم الأشياء المتعفنة، نجده ينطبق على كل من يقدم ذبيحة سلامة (الفقرات٥-٧)، وبالنسبة لحكم هبات الفقراء، نجد إنه ملزم فقط لأصحاب الضياع والأراضى (الفقرات٨-١٠)، والتحذير بشأن الجور فى القضاء، نجد إنه موجه للقاضى

فحسب (الفقرات١٥-١٦)، وبالنسبة لقوانين تداخل السلالات أو تهجينها، نجد إنها موجهة لأصحاب الحقول والكروم... الخ (الفقرة١٩)، ونفس الأمر بالنسبة لحكم الأمَة المخطوبة (الفقرات٢٠-٢٢) وحكم الغرلة (الفقرات٢٣-٢٥)، وسائر الوصايا المرتبطة بالعادات الوثنية وما شابهها (الفقرات٢٥-٢٩) نجد أنها هى الأخرى وردت مع تفصيل لظروفها، ومن هنا فإنها تخرج عن نطاق "الأمر المطلق" الذى يميز الوصايا العشر، كما أشرنا من قبل. والفقرة التى تتحدث عن الكراهية فى القلب وحب الأخ (الفقرات١٧-١٨) هى بمثابة وعظ وتوجه إلى الضمير. وحسبما أشرنا من قبل، فإن هذا الإتجاه لا مجال له فى الوصايا العشر، التى تحدد مبادئ مطلقة ومجردة، ونضيف فى النهاية، إنه على عكس الوصايا العشر التى لا تشتمل على أى قوانين متصلة بالعبادة، فإن نص الاصحاح التاسع عشر من سفر اللاويين يتضمن قوانين عبادية (الفقرات٥-٨-٢١-٢٢ ، ٢٤-٢٥)، ولذلك فإنه لا يجوز وضع هذه "البراشاه" على مستوى واحد مع الوصايا العشر.

وبالرغم من أن كثيرين من الباحثين قد إنشغلوا بقضية النصوص المقرائية (المقرا هو الإسم العبرى للعهد القديم) المشابهة للوصايا العشر، وبالرغم من أنهم توصلوا إلى نتيجة واحدة وهى إنه لا يوجد من بين هذه النصوص ما يتميز بما تميزت به نصوص الوصايا العشر إلا إننا سنستعرض أهم هذه النصوص المقرائية لنتعرف عليها:

١ - سفر التثنية٢٧:١-٢٥، حيث نجد أمامنا مجموعتين من التحذيرات، يبدأ كل واحد منها بكلمة "ملعون" وهى حسب مضمونها (الوثنية، والمضاجعة، والقتل، واحتقار الوالدين) تتناول إلى حد ما الوصايا الواردة فى الوصايا العشر، ولكن بالرغم من ذلك فإن هذه المجموعة تختلف عن الوصايا العشر فى غايتها، وصورتها وطابعها. إن هذه التحذيرات لا تشكل واجبات ملقاة على كافة الجمهور، بل هى قاصرة على من يقومون بإرتكاب

جرائم فى السر، وهو العامل المشترك لكل الإصحاح. إن الحديث فى هذا الإصحاح يدور حول الآثمين الذين يرتكبون الآثام فى السر أو بصورة يصعب على إنسان آخر أن يكتشفها، مثل: كشف العورات (الفقرات٢٠-٢٣)، ونقل التخوم ووضع العقبات فى طريق الأعمى (الفقرات١٧-١٨)، والإستخفاف بالوالدين وأكل حق الغريب واليتيم والأرملة وأخذ الرشوة (الفقرات١٩ . ٢٥). وحتى الإثمين الخطرين، اللذين لا يمكن وفقا لمضمونهما إخفاءهما وهما الوثينة والقتل (الفقرات١٥ . ٢٤) قيل عنهما صراحة إنهما يفعلان سرا ولا يمكن للمحكمة أن تطول من فعلهما. إذن فالمقصود مما هو وارد فى هذا الإصحاح الإشارة إلى طقس يتم من أجل تطهير الجماعة من الآثام والجرائم التى لا يوجد للجماعة سيطرة عليها، ولذلك فإنهم يحولون عملية العقاب إلى صلاحية الرب، عن طريق فرض لعنة على الآثم والمتخفى بإخراجه من الجماعة، فيحولون بذلك دون حلول عقوبة جماعية على الجماعة بأسرها. وهذا الطقس من ناحية الوعى الدينى يتلاءم مع الطقوس التى كانت سائدة فى العصور القديمة، حيث كانت الجماعة تحمل نير المسئولية الدينية الجماعية، وكان وجود الآثم فى وسطها من شأنه أن يعرض الجماعة بأسرها لخطر العقاب الجماعى (المثال على ذلك قصة يونس الذى قذف به إلى البحر للحيلولة دون غرق السفينة التى كان يستقلها للذهاب إلى ترشيش).

إذن ففى هذا النص لا توجد وصايا أو أوامر مطلقة غير مرهونة بشروط على غرار الوصايا العشر، حيث لا توجد إشارة لظروف الفعل ولا تفاصيل العقاب. بل على العكس، ففى هذا النص التثنوى نجد أن الأثم وارد تفصيلا ومعه عقابه: "ملعون". وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه التحذيرات موجهة لأصحاب الضياع والحقول (الفقرة١٧)، وللقضاة (الفقرة١٩ . ٢٥)، على عكس ما هو

موجود فى الوصايا العشر، حيث نجد أن الوصايا موجهة لكل واحد من الجماعة، ولا داعى للقول بأن هناك اختلافا كبيرا بين هذه التحذيرات والوصايا العشر المصاغة على طريقة: إصنع ولا تصنع، نجد أن الصيغة فى هذا النص مصاغة بصورة اسم الفاعل "ملعون" فى البداية ثم بعد ذلك العقوبة.

٢ - توجد مجوعة واجبات دينية أخلاقية يمكن مضاهاتها بالوصايا العشر فى سفر حزقيال الإصحاح الثامن عشر من الفقرة الخامسة فصاعدا.
فالحديث هنا يدور عن البار الذى يفعل الحق والعدل: "لم يأكل على الجبال، ولم يرفع عينيه إلى أصنام بيت إسرائيل، ولم ينجس امرأة قريبة ولم يقرب امرأة طامثا، ولم يظلم إنسانا بل رد للمديون رهنه ولم يغتصب اغتصابا بل بذل خبزه للجوعان وكسا العريان ثوبا ولم يعط بالربا ولم يأخذ مرابحة وكف يده عن الجور وأجرى العدل بين الإنسان والإنسان".

وبالرغم من إنه فى بعض تفاصيل معينة يوجد فى أقوال حزقيال تطابق مع الوصايا العشر (الوثنية، وكشف العورات، واغتصاب الحق)، فإن علينا أن نذكر أن هناك جوانب أخرى ذات معايير أخلاقية مثل: بذل الخبز للجوعان والملابس للمحتاجين، وهى أمور لا مثيل لها فى قوانين التوراة. كذلك أيضا فإن النهى عن الربا وكف اليد عن الظلم وإقامة العدل هى أمور موجهة لأصحاب الأملاك وللقضاء وليست لكل إنسان، وهو ما يختلف عن الوصايا العشر، التى تتميز، كما كررنا من قبل، بالتوجه لكل شخص دون شرط.

وبالإضافة إلى الموضوعات الإخلاقية توجد أيضا فى نص حزقيال موضوعات متصلة بالعبادة والنجاسة والطهارة، مثل الأكل على الجبال، والاضطجاع مع المرأة الطامث، وهى أمور لا وجود لها فى الوصايا العشر، وقائمة حزقيال تتميز بمقدمة وخاتمة، فيهما ما هو مثابة وصف لمكانة من يمتنع عن ارتكاب هذه الآثام "البار الذى يفعل الحق والعدل" (الفقرة ٥) "هو بار حياة يحيا" (الفقرة ٩). والحديث هنا يدور عن معايير الرجل البار، الذى لم يمتنع عن

الأعمال الشريرة - فحسب، بل سلَك الفرائض وحفِظ الأحكام ويحسن الى الفقراء، ولابد من إضافة إنه لم ترد إشارة على الإطلاق الى القتل، وهو الأمر الذى يشير إلى أن الحديث فى هذا الإصحاح من سفر حزقيال لا يدور حول الواجبات الإنسانية الأساسية مثلما هو الأمر بالنسبة للوصايا العشر. وفى هذا الخصوص تشبه هذه القائمة التى فى هذا النص قوائم المعايير الأخلاقية الدينية الواردة فى المزامير ١٥ ، ٢٤، التى سنتناولها فيما بعد. كذلك فإ هذه القائمة تختلف من حيث الصياغة عن الوصايا العشر، حيث نجد أن الأمور هنا مفصلة ومحددة، على عكس الوصايا العشر، التى صيغت صياغة مطلقة دون تفصيل.

وهناك قائمة مشابهة لهذه موجودة أيضا فى سفر حزقيال الإصحاح الثانى والعشرين الفقرات من ٦-١٢، حيث وردت بعض الأمور التى تضمنها الوصايا العشر، أكثر مما هو الأمر فى حزقيال ١٨ مثل: تدنيس السبت واحترام الأب والأم (الفقرات٧-٨)، ومنع سفك الدماء وكشف العورات (الفقرات٩-١١)، وبالإضافة إلى ذلك أيضا الرشوة والربا والمرابحة وسلب الأقرباء (الفقرات٧ ، ١٢)، وأمور تتعلق بالعبادة والنجاسة والطهارة (الفقرة١٠). وبالفعل فإنه يوجد تطابق كبير مع هذا النص والنص الذى تناولناه من قبل فيس فر اللاويين١٩ . ففى بداية القائمة نجد اشارة إلى احترام الوالدين (الفقرة٧)، على غرار مقدمة نص سفر اللاويين (١٩: ٣). وبعد أقوال التوبيخ عن ظلم الغريب واضطهاد اليتيم والأرملة (قارن اللاويين ١٩: ٣٣-٣٤)، نقرأ "ازدريت أقداسى ونجست سبوتى" (الفقرة٨)، وهو تجاوز للأمر الوارد فى اللاويين ١٩: ٣٠ "سبوتى تحفظون ومقدسى تهابون". وينطبق ما قيل من تحفظات بشأن النصوص السابقة وتطابقها مع الوصايا العشر على هذا النص من حيث خصوصية الحالات التى يتناولها والتى تمس أشخاصا بعينهم فى ظروف بعينها، بالإضافة إلى تناوله لموضوعات تتصل بالطقوس والعبادة، والإختلاف من حيث الصياغة والإسلوب وغايات التوجه(٤٢).

٣ - وجد موفينيكل علاقة بين الوصايا العشر والمزمور١٥ والمزمور٢٤ فى فى المزامير، واشعيا ٣٣:١٤-١٥، والتى يدعوها "طقوس الدخول" (ليتورجيوت كنيسا). ففى هذه المزامير يشترط من أجل الدخول إلى بيت الرب والإقامة عمل الوصايا الإخلاقية، مثل: طهارة اليد، وعدم الوشاية باللسان، وعدم تعيير الأقارب، وعدم الحلف للضر، وعدم التعامل بالربا، وعدم أخذ الرشوة، وإحترام الذين يخافون الرب، وهذه القوائم تبدأ بالسؤال "من يصعد إلى جبل الرب" (المزامير٢٤:٣)، و"من يسكن فى خيمتك" (المزمور١٥)، و"من منا يسكن فى نار آكلة" (اشعيا ٣٣:١٤)، ولذلك يرى موفينيكل فى هذه الانتاجات إنعكاسا لطقوس الدخول إلى الهيكل المقدس. وفى فترات متأخرة أخرى أهملت، فى رأيه، هذه المطالب الأخلاقية من العبادة بتأثير النبوة، وهكذا تم شق الطريق من أجل مجموعة الوصايا العشر التى بين أيدينا(٤٣). ولكن، ليست هناك أى مصداقية لمقارنة هذه الانتاجات بالوصايا العشر، لأن هذه الانتاجات لا تثير إلا مطالب أخلاقية لبقة، بينما نجد أن القتل والزنا والسرقة، الموجودة فى الوصايا العشر، لا يرد ذكرها على الاطلاق، وكذلك فإنها على عكس الوصايا العشر، التى تتضمن وصايا دينية قومية، فإن هذه الانتاجات ذات بعد عالمى خالص، كذلك فإنه من الواضح أن ما هو وارد فى هذه المزامير إنما يعنى "بالبار"، الذى يستحق أن يقيم فى خيمة الرب، ولا يعنى بالانسان العادى. وهناك مطالب مشابهة تم العثور عليها فى عضادات (مزوزوت) بأبواب الهياكل المقدسة فى مصر، وهو الأمر الذى يوضح لنا تلك الأسئلة التى تبدأ بها قوائم "المقرا": "من يسكن" و"من يصعد" ...الخ. إذن فإن المقصود بهذه القوائم هو المطالب الأخلاقية على غرار الوصايا العشر أو تلك المشابهة لها فى سفر اللاويين الاصحاح التاسع عشر وسفر حزقيال الاصحاح الثانى والعشرين. كذلك فإن الصيغ الإسلوبية فى هذه النصوص مختلفة

تماما عن الصيغ الأسلوبية فى الوصايا العشر وأيضا عن تلك الواردة فى أسفار اللاويين وحزقيال[٤٤].

٤ - شاعت كذلك مقارنة الوصايا الواردة فى الوصايا العشر "بالاعتراف الإنكارى" الوارد فى الفصل١٢٥ من "كتاب الموتى" المصرى[٤٥]، ومجموعة التعويذات الميزوبوتامية "شوربو"[٤٦]. ولكن هذه الإنتاجات تختلف سواء من ناحية الصورة أو المضمون عن الوصايا العشر. فمن ناحية الصورة نجد إن "كتاب الموتى" المصرى هو بمثابة إعتراف من الميت لدى دخوله إلى العالم الآخر، بينما "شوربو" هو مجموعة من التعاويذ، التى تخلص المريض من أى شر محتمل، وتؤدى بذلك إلى شفائه.

ومن ناحية الفارق فى المضمون، نجد أن الآثام الواردة فى "كتاب الموتى" تتضمن خطايا مثل: القتل، والزنا، والاغتصاب من ناحية، وخطايا أبسط مثل الغش فى الموازين والمقاييس، والوشاية والإضرار بالغير - من ناحية أخرى. وبالإضافة الى هذه توجد خطايا من تلك التى تدخل فى إطار العبادة، مثل: سب الإله، والتقاعس عن عبادة الإلهة، وتدنيس المقدسات والقرابين. وعلى غرارهذا نجد أن الخطايا الواردة فى سلسلة التعويذات "شوربو" تتضمن القتل، والزنى، والسرقة، والحلف الباطل، والغش، والنفاق، والظلم، والغش فى الموازين والمقاييس، وإقامة التخوم، وعدم كساء العارى. وهنا أيضا كذلك توجد مجموعة خطايا من تلك تمس إحترام العبادة، مثل: أكل المحرم من الطعام، وتدنيس المقدسات. والإضطجاع مع المرأة الطامث وغيرها. ولا داعى للقول، بأن المقصود هنا هو رفع أى ذنب محتمل، ولا يوجد أى تشابه هنا بين تلك المجموعة والوصايا العشر.

إن ما يميز الوصايا العشر عن سائر المجموعات التى تطرقنا إليها سابقا هو أن الوصايا العشر الإسرائيلية، هى عبارة عن مجموعة واجبات أساسية

قصيرة وموجزة، موجهة لمن يعتنق الديانة الاسرائيلية، ومرتبطة كذلك بعهد خاص مع رب إسرائيل. وهذه الوصايا باطارها هذا تشبه صلاة "الشماع" التى هى عبارة عن تصريح مركب من فقرة واحدة سهلة الحفظ والترديد، وتتضمن خلاصة الفكرة التوحيدية، وتعتبر بمثابة علامة تمييز خارجى لمن يؤمنون بالإله الواحد، وليس من قبيل الصدفة أن "الشماع" والوصايا العشر كانت تتلى فى كل صباح فى الهيكل.

وكما أن المبدأ التوحيدى المتجسد فى "الشماع" قد تم التعبير عنه فى تفاصيل قانونية كثيرة فى التوراة، فإن المبادئ الدينية والأخلاقية التى فى الوصايا العشر قد تجلت، هى الأخرى، فى قوانين مختلفة فى التوراه، وإذا كانت قد تمت محاولات لمضاهاة بعض القوانين التوراتية لتلك التى فى الوصايا العشر، فإننا يمكن أن نحدد أن هذه القوانين كانت بمثابة تفسير لها، وكما رأينا، فإن باحثين يهود كثيرين أمثال فيلون ومن بعده سعديا جاؤون، قد حاولوا إرساء مرساة كل وصايا التوراة فى الوصايا العشر(٤٧).

الفصــل الثانى

١ - مكانة الوصايا العشر وألواح العهد فى الشريعة والتقاليد الإسرائيلية:

مما لا شك فيه أن مكانة الوصايا العشر قد تجلت بشكل ملموس وطقسى فى عالم اليهودية، وأصبح لوحا العهد والوصايا العشر المنحوتة عليها رمزا يحظى بالتعبير الفنى فى المعابد وشاعت كذلك عادة قراءة الوصايا العشر بين معظم اليهود فى معظم الأماكن أثناء "العميدا" (جزء من الصلاة اليهودية يتلى وقوفا)، وأعتبر القسم بالوصايا العشر فى أزمنة وأماكن مختلفة قسما عظيما له قيمة خاصة.

والآن نطرح السؤال التالى: ما الذى تفردت به الوصايا العشر، ولماذا حظيت بأن تصبح درة التاج فى العلاقة بين إله اسرائيل وبنى إسرائيل؟ ولماذا حظيت هذه المجموعة من الوصايا لأن تبلغ لبنى إسرائيل مباشرة بواسطة الرب (الخروج٢٠:١ . ١٥-١٧، والتثنية ١٢:٤ . ١٢ . ١٤:٥ . ١٢)، وأن تكتب بإصبع الرب على الألواح الحجرية التى وضعت فى تابوت العهد (الخروج٣١:٨، ١٦:٣٢ . ١:٣٤ . ٢٧، والتثنية٤:١٣، و٥:١٨ . ١٠:١-٤)؟

إن "مدراش ربا" الذى يفسر سفر التكوين يلقى ضوءا هاما فيما يتصل بأولوية الوصايا العشر على أسفاره التوراة، لأن الوصايا العشر تبدأ بحرف الألف "آنى" (أنا). بينما تبدأ أسفار التوراة بحرف الباء "بريشيت" (فى البدء): "لقد ضاق حرف الألف بهذا فلماذا لم تبدأ به أسفار موسى الخمسة، فأوضح له الرب أن العالم قد خلق من أجل الشريعة، ولهذا فإن حرف الألف هو أول حرف فى الوصايا العشر".

وبالإضافة إلى ما سبق، يجب أن نحدد أن تجلى الرب على جبل سيناء أمام عيون كل بنى اسرائيل، كان هو قمة الأعمال العجيبة المقصوصة فى العهد القديم كله، كما يعتبر مركز كل الأشياء التى يحملها هذا الكتاب ويرشد إليها

فى تلك الوصايا العشر التى أعطاها يهوه لبنى إسرائيل فى هذا المشهد من مشاهد التجلى الإلهى على جبل سيناء، وهى الوصايا التى تجلى الرب بسببها على الجبل. وقد قال موسى نفسه مخاطبا شعب إسرائيل: "من اليوم الذى خلق الله فيه الإنسان على الأرض ومن أقصاه السماء إلى أقصائها هل جرى مثل هذا الأمر العظيم أو هل سمع نظيره هل سمع شعب صوت الله يتكلم من وسط النار كما سمعت أنت وعاش" (التثنية٤:٣٢-٣٣).

إن يهوه لم يتجل أمام كل بنى اسرائيل إلا لكى يعطيهم التوراة ووصاياه، ولكى يعرفوا الرب ويخافوا منه، ويعملوا بوصاياه. ولكن من يقرأ هذه "البراشاه" فى التوراة لا يستطيع فى البداية أن يفهم لماذا كان التجلى الغريب ضرورة، ولماذا قيلت الوصايا العشر بواسطة الرب بجلاله وقدره لبنى اسرائيل فى هذا الموقف الخاص، وما الذى إنفردت به الوصايا العشر عن كل أقوال الرب التى نقلها عنه موسى والأنبياء وفسرت فى التوراة وغيرها من الأسفار المقرائية. إن معظم هذه الوصايا كانت تعمل بها كل الشعوب فى الشرق الأدنى القديم دون أن تسمعها من فم الرب على جبل سيناء، وكان الجميع يفهمون أنه لا يمكن لجماعة أن تعيش دون وصايا مثل إحترم أباك وأمك، ولا تقتل، ولا تزن، ولا تسرق، ولا تشهد شهادة زور ضد قريبك، ولا تشته. والتوراة مليئة بالعديد من الأوامر ولم يكن بنو اسرائيل ليأتمروا بها ما لم يؤمروا بها فى التوراة، ولم ترد فى الوصايا العشر بواسطة الرب بجلال قدره، لقد وردت فى الوصايا العشر وصايا كان من الممكن لبنى اسرائيل أن يفعلوها ويقيموها من ذات - أنفسهم، ولم ترد فيها كذلك وصايا يمكن للإنسان أن يدركها بنفسه، مثل كيف يُعبد الرب، وما هى القرابين التى ينبغى عليه أن يضحى بها، وما هى المواعيد التى يجب فيها أن يحافظ على هذه الطقوس وكيف يحافظ عليها، وما شابه ذلك من الوصايا التى أختص بها يهوه بنى إسرائيل. وليس هذا فحسب، بل أن الوصايا التى وردت فى الوصايا العشر، قد قيلت مرة أخرى بواسطة موسى

بطريقة مختلفة فى أوقات وظروف أخرى وبعضها كان قد أعطى لموسى من الرب ونفذ قبل إعطاء التوراة فى جبل سيناء.

ومما يثير الدهشة، بالإضافة إلى ما تقدم ذكره، هو تلك الطريقة التى أبلغت بها الوصايا العشر. إنها لم تبلغ بطريقة الأمر بالفعل والإلزام، بل أبلغت بطريقة النهى. فلم يرد فى الوصايا "لتحب الرب إلهك بكل قلبك وبكل نفسك وبكل قوتك" (التثنية٦:٥)، بل "لا يكن لك آلهة أخرى أمامى"، ولم يرد فيها "تحب قريبك كنفسك" (اللاويين١٩:١٨)، بل "لا تقتل، لا تزن، لا تسرق ... لا تشته".

كذلك فإن هذه الوصايا العشر لم تحظ بمكانة متفردة أو بمغزى خاص فى نظر الأجيال التالية. إن الإشارات الخاصة بها فى "المقرا" نادرة. وفى أجيال "التنائيم" و"الأمورائيم" كان موقف جبل سيناء هو دائما موقف إعطاء التوراة وليس إعطاء الوصايا العشر، وفسر موقف جبل سيناء، بأنه مع كل وصية أعطيت على جبل سيناء أعطيت كل تفاصيلها وتفاسيرها ودقائقها وكل الوصايا القريبة منها، بمعنى أنه مع الوصايا العشر تم إعطاء التوراة كلها. وقد كتب ربى موشية المفسر فى "بريشيت رباتاى": "إن الوصايا العشر التى تحدث بها القدوس تبارك وتعالى فى سيناء تضمنت كل التوراة، أى ستمائة وثلاثة عشرة وصية". وليس فقط أن الوصايا العشر لم تتميز فى حد ذاتها بمكانة فريدة وأعتبرت على إنها تتضمن التوراة كلها، بل أن "البراشاه" التى ترد فيها الوصايا العشر هى الأخرى لم تحتل مكانة فريدة ولم تسبغ عليها مكانة خاصة.

ومن أجل فهم المغزى الخاص الذى إنفردت به الوصايا العشر وضرورة التجلى الإلهى الفريد فى نوعه ليهوه على جبل سيناء أمام الملأ من بنى اسرائيل لكى يعطى الوصايا العشر، والتأثير الذى أثرت به الوصايا العشر على الأجيال التالية، ينبغى أن نفسر معنى ومضمون هذه الوصايا كما فهمها

حكماء التلمود من اليهود الذين أوضحوا فى كتاباتهم مغزى الأهمية التى تنفرد بها هذه الوصايا.

إن يهوه قبل أن يتجلى على جبل سيناء مهد لهذا التجلى ببعض الظواهر: "وحدث فى اليوم الثالث لما كان الصباح إنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدا فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة وأخرج موسى الشعب لملاقاة الله، فوقفوا أسفل الجبل، وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وصعد دخانه كدخان الآتون وارتجف كل الجبل جدا. فكان صوت البوق يزداد إشتدادا جدا وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت" (الخروج ١٩:١٦-١٩).

وليست هذه الصورة هى الصورة المادية التى يتجلى بها الرب للناس، فإنه حينما تجلى لإليا هو النبى، ورد ما يلى: "وإذا بالرب عابر وريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور أمام الرب ولم يكن الرب فى الريح، وبعد الريح زلزلة ولم يكن الرب فى الزلزلة وبعد الزلزلة نار ولم يكن الرب فى النار. وبعد النار صوت منخفض خفيف" (الملوك الأول١٩:١١-١٢). وبشكل عام فإن صورة تجلى الرب للأنبياء كانت تتم على ذلك النحو الذى ورد فى النص التالى: "إن كان منكم نبى لرب فبالرؤيا التى ستعلن له فى الحلم أكلمه" (العدد١٢:١٦). كذلك فإنه فى موقف جبل سيناء نجد أن الرب قد تجلى من خلال الصمت: "قال ربى أبهو عن ربى يوحانان: "عندما أعطى القدوس تبارك وتعالى التوراة لم يغرد عصفور، ولم يحلق طائر، ولم يخر ثور، ولم تطر الطيور، ولم تقل الأفاعى قدوس قدوس، ولم يتحرك البحر، ولم تتحدث المخلوقات بل صمت العالم وخرس وعندئذ خرج الصوت: "أنا الرب إلهك..." (شيموت ربًا الجزء٢٩:٩). إذن، فإن النار، والسحاب، والضباب وصوت البرق لم يكونوا إلا بمثابة تمهيد لقلوب السامعين لذلك الحدث العظيم على جبل سيناء، بينما خصصت الأيام الثلاثة التى سبقت إعطاء التوراة للاستعدادات من أجل هذ

الموقف. وحيث أن النار والسحاب والصوت ليست من الأمور التى تحدث من حين لآخر، ولإنها أمور تثير الدهشة فإنها تلقى بالرهبة والخشوع فى قلوب السامعين فيصبحون فى هذه اللحظة جاهزين لتلقى الوصايا العشر والعمل بها وفهم الأعجوبة التى تنطوى عليها. ويشهد على هذا المغزى ذلك النص: "فلما سمعتم الصوت من وسط الظلام والجبل يشتعل بالنار تقدمتم الى جميع رؤساء أسباطكم وشيوخكم. وقلتم هو ذا الرب إلهنا قد أرانا مجده وعظمته وسمعنا صوته من وسط النار. هذا اليوم قد رأينا أن الله يكلم الإنسان ويحيا. وأما الآن فلماذا نموت. لأن هذه النار العظيمة تأكلنا ... تقدم أنت واسمع كل ما يقوله لك الرب إلهنا وكلنا بكل ما يكلمك به الرب الهنا فنسمع ونعمل". وقد أجاب الرب قائلا: "قد أحسنوا فى كل ما تكلموا. يا ليت قلبهم كان هكذا فيهم حتى يتقونى ويحفظوا وصاياى كل الأيام" (التثنية٥: ٢٠-٢٦). (٤٨).

وبالإضافة إلى ما تقدم حول تحديد فرادة الوصايا العشر بموقف التجلى الإلهى للملأ من بنى إسرائيل، نتساءل، هل كان مرد قراءة هذه الوصايا العشر، هو قدم تلك المجموعة. إن الإجابة على السؤال تقودنا إلى التأكيد على أن هذه المجموعة من الوصايا سواء من ناحية المضمون أو من ناحية الأسلوب لا يوجد أى دليل على إنها أقدم من القوانين والشرائع الأخرى الموجودة فى التوراة.

إن هذه الوصايا كانت موجودة منذ القدم، قبل موسى، وقبل لوحى الشريعة، بأجيال طويلة، وإنما أعطيت لموسى كوصية مكتوبة، لأن الوصايا قبله لم تكن فى شريعة مكتوبة:

١ - إن وصية "لا تقتل" مثلا، ليست وصية جديدة، وإلا فلماذا عاقب الرب قايين عندما قتل أخاه هابيل، ولماذا كان "ذنب قايين أعظم من أن يحتمل" (تكوين ٤:١٣).

إذن لقد كان من المعروف أن القتل خطيئة، ولكن هذه الوصية كانت مكتوبة فى الضمير قبل أن تكتب على لوحى الحجر.

٢ – وكذلك وصية "لا تزن" هى الأخرى قديمة، إن يوسف الصديق الذى سبق موسى بمئات السنين عندما طلبت منه إمرأة فوطيفار أن يضطجع معها، رفض ذلك وقال لها: "كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله" (تكوين٣٩:٩). إذن فقد كان يوسف يعرف أن الزنا شر عظيم، وبسبب ذلك الشر العظيم أغرق الله الأرض بالطوفان، وأنزل نارا من السماء فحرقت سدوم (تكوين ٢٦ وتكوين٩). ولما إضطجع شكيم مع دينة إبنة يعقوب، غضب بنو يعقوب "لأنه صنع قباحة". ولإنه "نجس دينة"، وإنتقموا لذلك الشر وقتلوا كل بيت شكيم "لأنهم نجسوا أختهم" (تكوين٣٤:٥-٢٧).

٣ – ووصية "لا تسرق" كانت هى الأخرى معروفة، وبسببها تعاتب لابان ويعقوب، ودافع يعقوب عن نفسه لينفى عن ذاته شبهة تلك الخطيئة عندما إتهمه لابان قائلا: "لماذا سرقت آلهتى" (يقصد أصنامه) (تكوين٣١:٣٠-٣٩).

٤ – وصية "لا تشته" كانت أيضا معروفة، ويتضح ذلك من قول أيوب "عهدا قطعت لعينى، فكيف أتطلع فى عذراء" (أيوب٣١:١).

٥ – ووصية حفظ السبت هى الأخرى ظهرت فى الوصايا الخاصة بجمع المن (الخروج١٦:٣-٢٩). ومعروف أن حفظ السبت قديم يرجع إلى أيام الخليقة عندما إستراح الله فى اليوم السابع (تكوين٢:٢).(٤٩).

وبالإضافة إلى هذا فإن الوصايا القصيرة: لا تقتل، ولاتزن، لا تسرق، لا تشكل إستثناءا، لأنه توجد نصوص مشابهة لها فى أمكان أخرى من التوراة (اللاويين ١٩:١١-١٣) وغيرها. كذلك فإنه لا توجد فرادة فى تنوع مضمون

الوصايا العشر، لإنه توجد مجموعات متنوعة أخرى فى سفر اللاويين الإصحاح التاسع عشر وكذلك فى سفر التثنية. وكما أنه لا توجد أدلة على قدم مجموعة الوصايا العشر، فإنه لا توجد أدلة أيضا على تأخرها، كما أن الإدعاء بالمضمون الأخلاقى - النبوى للوصايا العشر قد عفى عليه الدهر هو الآخر. لقد تميز الموقف الإلهى الخاص أثناء إعطاء الكلمات العشر بأهمية كبيرة، ويحتفل اليهود بهذا المشهد الدينى التاريخى فى كل عام، فى عيد الأسابيع (هاشْبوعوت)، وهو عيد إعطاء التوراة (حَجْ ماتان هاتوراة)، فهل كان اليهود يحتفلون بهذا العيد فى العصور القديمة؟ وما هى مكانة الوصايا العشر فى العبادة اليهودية؟ إن كتاب "المشنا" يشير إلى أنه فى فترة الهيكل الثانى كان اليهود يقرأون فى المعبد الوصايا العشر مع "الشماع"، ولولا الأحداث التى مرت باليهود لكانوا قد استمروا على عادة قراءة الوصايا العشر يوميا، وقد عثر بالفعل فى نسخ الصلاة التى وجدت فى "الجنيزا" على الوصايا العشر، ومازال اليهودالأتقياء معتادون حتى اليوم على قراءة الوصايا العشر فى كل يوم، بعد الإنتهاء من الصلاة.

وسوف نبدأ الحديث عن مكانة الوصايا العشر فى الشريعة اليهودية بتناول الخطوط الخاصة والمميزة لمجموعة هذه الوصايا الواردة فى الكلمات العشر:

١ - على عكس القوانين اليهودية المختلفة، التى يشترط لتطبيقها شروط شخصية أو اجتماعية، مثل: الأضحيات، المرهونة بالتزامات الفرد (النذر أو الذنب وما شابه ذلك). أو الجماعة (إقامة القداس)، أو الأحكام الأخرى، النابعة كنتيجة لأحداث معينة، مثل أحكام النجاسة والطهارة، "والشميطاه" (السنة السابعة من دورة الخمسين سنة والتى تترك فيها الأرض دون زراعة)، واليوبيل (السنة الخمسين من الدورة)، والقانون المدنى والأحكام الشخصية، وهبات الكهنة، وماشابه ذلك - نجد أن الوصايا العشر ملزمة

للجميع، ملزمة لكل فرد من بنى إسرائيل دونما أى إرتباط بموقف أو بظروف أو شروط أيا كانت. إن كل فرد من بنى اسرائيل يقبل على نفسه الا يعبد آلهة أخرى دون الله، والا يحلف كذبا، وأن يحافظ على يوم السبت، وأن يحترم الوالدين، وألا يقتل، وألا يزن، وألا يسرق، وألا يشهد زور وألا يشته ما عند الغير.

٢ - صيغت الوصايا العشر فى أساسها بصيغة النهى، وحتى الوصيتين اللتين صيغتا بصيغة الالزام وهما: المحافظة على السبت واحترام الأب والأم، فإنهما موجهتان فى حقيقة الأمر إلى عدم الفعل. إن المحافظة على يوم السبت تفسر صراحة بطريقة "لا تفعل": "ستة أيام تعمل .. واليوم السابع راحة .. لا تصنع عملا" (الخروج٢٠:٩-١٠). وكذلك فإن الوصية التى تنص على إحترام الأب والأم هدفها الأساسى هو منع المساس بالوالدين أو إحتقارهما، وهذا حسبما يفهم من القوانين المختلفة، فى أماكن أخرى من التوراة، تناولت هذا الموضوع، الضرب (الخروج٢١:١٥)، والشتم والإهانة (الخروج٢١:١٧، واللاويين٢٠:٩ والتثنية٢٧:١٦)، والتمرد وعدم الطاعة (التثنية٢١:١٧-٢١). وكذلك فإنه فى سفر اللاويين الإصحاح التاسع عشر، والذى يوجد فيه تناول للوصايا العشر نجد أن هذه الوصية مصاغة بطريقة النهى: "تهابون كل إنسان أمه وأباه" (اللاويين١٩:٣).

وهذه الصياغة بطريقة النهى ترجع إلى طابع مجموعة الوصايا، التى لم تأت إلا لتحدد شروط أساسية، تجعل من السهل إستيعابها بالنسبة لوعى بنى اسرائيل، وهى شروط أبلغت لبنى اسرائيل عن طريق النبى، الذى أخبرهم للمرة الأولى ما هى إرادة الرب وما هى كلمته. وفى هذه الشروط تحددت بصراحة ما هى الأمور التى ينبغى على كل من ينتمى إلى جماعة بنى إسرائيل المختارة من إله بنى إسرائيل أن يمتنع عنها.

وهناك ظاهرة مشابهة موجودة فى مجموعة الوصايا، التى أمر يوناداب بن ركاب كبير بيت الركابيين بها أبناءه، حيث نجد إنها قد صيغت بطريقة النهى: "لاتشربوا خمرا .. ولا تبنوا بيتا ولا تزرعوا زرعا ولا تغرسوا كرما ... لكى تحيوا أياما كثيرة على وجه الأرض التى أنتم متغربون فيها" (إرمياء ٣٥:٦-٧). كذلك فإنه فى عقائد العالم الهللنيتسى، توجد مجموعة من الممنوعات، أبلغت من الإله إلى مؤسس المعبد المقدس، وكان كل مكن يدخل المعبد يلتزم بالقسم بألا يتجاوزها.

٣ - صيغت الوصايا الواردة فى الوصايا العشر بصورة موجزة وتتجه مباشرة إلى موضوع الوصية، كما أنها تتضمن عددا ذو مغزى هو الرقم عشرة. وقد حدثت فى صيغة الوصايا، على مر العصور، بعض التوسعات وإعادة الصياغة فى نص الوصايا العشرة، وهو الأمر الذى يتضح بصورة جلية، كما أشرنا من قبل، فى تبرير وصية المحافظة على يوم السبت، حيث يختلف هذا التبرير كلية فى نص الخروج عنه فى نص التثنية، بالإضافة إلى أن أجزاء أخرى من الوصايا، خلاف هذا التبرير، يشعر معها القارئ بالفعل" أن نص الوصايا قد خضع لعملية توسيع وإعادة صياغة.

٤ - الوصايا العشر هى بمثابة "وصايا نوعية"، مجالها عالمى، يتجاوز الزمن، وغير مرتبط بظروف معينة أو بخلفية ما أيًا كانت، وهذه الوصايا غير مرهونة بعقوبة، ولا تفصيل ولا توصيف، ولذلك فإنها لا تحتوى من الناحية القانونية على ما يريح المشرع أو المواطن.

إن الفرد يستطيع أن يسأل ما هى السرقة التى تتحدث عنها الوصايا العشر، وما هو حكم السارق، وكذلك نفس الأمر بالنسبة لسائر التجاوزات الأخرى. ولكن هذا السؤال غير نسبى، وذلك لأن هذه الوصايا لم يكن الهدف من ورائها تحديد شريعة قاطعة، وغايتها الأساسية هى صياغة ظروف تلزم

أولئك الذين ينتمون إلى بنى إسرائيل، بحيث أن من لا يلتزم بها يخرج نفسه من جماعة المؤمنين. بشريعة بنى اسرائيل. لقد أعطيت وحددت الشرائع والعقوبات بعد ذلك لبنى اسرائيل فى مجموعات قانونية مختلفة حفلت بها التوراة فى أجزاء مختلفة منها، ولكن هذه الأمور ليست من إهتمام تلك المجموعة من الوصايا العشر، التى تحدذد فقط الواجبات التى فرضها اله بنى اسرائيل على المؤمنين به. وربما كان هذا السبب فى أن هذه الواجبات سميت "الكلمات العشر" وليس "الوصايا العشر"، كما أن إصطلاح "الكلمات" ضرب بجذوره هو الآخر فى أدب حكماء بنى إسرائيل التلموديين، إستنادا إلى صيغة الجمع من كلمة "دبير" الذى يعنى التجلى النبوى، حسبما يمكن الاستدلال على ذلك مما ورد فى سفر إرميا ٥:١٣ "والأنبياء يصيرون ريحا والكلمة ليست فيهم". وعلى ضوء هذا يمكن أن نستخلص أن الكلمات لم تدرك باعتبارها وصايا وقوانين أخرى فى التوراة، بل أوامر تجسد مطلبا الهيا، تتضمن ثمة تجليا إلهيا، يختلف عن سائر القوانين التى تتضمن أحكاما تنطوى على العقاب بواسطة المحكمة.

٥ - صيغت الوصايا فى نسخ الوصايا العشر بضمير المخاطب، بما يعنى إنها موجهة لكل فرد من بنى اسرائيل. وقد أدرك فيلون السكندرى هذه الخاصية فذكر أن التوجهات الموجهة للجماعة يمكن أن يتملص منها الفرد، لأن الجماعة يمكن أن تشكل بالنسبة للفرد ما هو بمثابة غطاء، وهو الأمر الذى ينطوى عليه التوجه للفرد، وهكذا فإن فيلون يبرز من خلال هذه الملاحظة علاقة أنا - أنت، وهى العلاقة التى أثيرت أهميتها فى الجيل الأخير فى إنتاجات مارتن بوبر. وقد حقق م. بوبر بالفعل الفكرة بالنسبة للوصايا العشر، ولكنه لم يستغل الفرضية الأساسية للبحث المقرائى بشأن مصدر وطابع الإسلوب الكهنوتى فى التشريعات الواردة فى التوراة. وقد عمق التمييز الذى قام به أ. ألت بين الأسلوب الدينى الكهنوتى والأسلوب التحريفى فى تشريعات التوراة من فهم أسلوب

القانون المقرائى، وأوقف الباحثين على فرادة الأسلوب الكنهوتى، وبالذات على فرادة صياغة الأوامر بطريقة إفعل ولا تفعل فى القانون المقرائى. وعلى عكس الأسلوب، الذى يميز قوانين الشرق الأدنى القديم وكذلك القانون الحديث، فإن صورة التوجه على صورة إفعل ولا تفعل هى صورة غريبة بالنسبة للمجال القانونى، وقد إتضح الآن، إنها ترجع إلى ذلك المشهد الذى يقف فيه الملك فى حفل عقد العهد مع مواطنيه ليفرض عليهم الواجبات. وبالفعل فإن الوصايا العشر قد فهمت على إنها إلتزامات لملك يفرض الأوامر، ويظهر بشخصه أمام مواطنيه.

٦ – بالإضافة إلى ما تقدم لابد من الإشارة إلى أن الوصايا العشر لا تتضمن مبادئ أخلاقية مجردة على غرار تلك الموجودة فى قوانين مختلفة، مثل: "وأحب لجارك كما تحب لنفسك " (اللاويين ١٩:١٧)، و"أحبوا الغريب" (التثنية ١٠:١٩، واللاويين ١٩:٣٤)، و"العدل العدل تتبع" (التثنية ١٦:٢٠)، ولذلك فإنه ليس هناك ما يبرر على الإطلاق ذلك الزعم القائل بأن الوصايا العشر هى قمة الأخلاق الإسرائيلية(٥٠).

٧ – تفتقر الوصايا العشر إلى الطابع الإنسانى الشامل وتختص فى عدد من النواهى على اليهودى فقط، ولا تتعداه لمن هو غير يهودى. فمثلا، وصايا النهى عن القتل والزنا والسرقة وشهادة الزور، وإشتهاء ما للغير، كل هذه الوصايا قاصرة على اليهود، وكذلك فإن تطبيق حد مخالفة الوصية لا يطبق على اليهودى إذا كانت المخالفة مع غير اليهودى، لأنه مسموح له بأن يضر الغير، فى حين أن غير اليهودى يجب أن يعاقبوا إذا ارتكبوا نفس الخطيئة فى حق اليهودى وفق ما نصت عليه الشريعة اليهودية، وفى ذلك قول التلمود:

"إذا سرق أولاد نوح شيئا ولو كان تافها فإنهم يستحقون الموت لأنهم خالفوا الوصية، أما اليهودى فمسموح له أن يضر الغير"(٥١).

٢ - مكانة الوصايا العشر فى التقاليد الإسرائيلية:

إذا حاولنا إستعادة تطور تقاليد الوصايا العشر، فإن سير هذا التطور يمكن أن يكون على النحو التالى:

١ - تم تلقى الوصايا العشر فى فجر التاريخ الإسرائيلى فى صحراء سيناء فى صياغتها القصيرة والأصلية كوثيقة أساسية لبنى إسرائيل، وهى الوصايا التى نحتت أو كتبت على اللوحين اللذين أطلق عليها بعد ذلك "ألواح العهد" أو "ألواح الشهادة". وقد أستخدمت الألواح بمثابة شهادة على إلتزام بنى إسرائيل بالمحافظة على الوصايا التى نحتت عليهما وإقامتها.

٢ - يمكن الافتراض بأن بنى إسرائيل قد قرأوا الكلمات العشر فى الهياكل المقدسة، وفى أعياد تجديد العهد وفى كل مرة كانوا يلتزمون فيها من جديد بالإذعان لكل ما ورد فيها، وهذا إستنادا لما يمكن إستخلاصه من تلك العادة التى كانت شائعة فى الشرق القديم بتجديد العهود كل سنة. وتشير (المزامير٥٦-٧١) بالفعل إلى إحتفالات من هذا النوع، وكانت هذه الإحتفالات تجرى عادة فى عيد الأسابيع، وهو عيد أعطاء التوراة (حَجْ ماتان هاتوراه).

٣ - كان بنو إسرائيل فى فترة الهيكل الثانى يقرأون الكلمات العشر فى الهيكل فى كل يوم مع صلاة "الشِماع" قبل تقديم قربان التقدمة (هاتاميد) الخاص بصلاة الصباح "شحاريت" (مشناتاميد ٥:١)، وقد إشتملت بردية ناش التى عثر عليها فى مصر على الوصايا العشر ومن بعدها "بْراشَتْ شْماع" (فصل الشماع)، كلاهما فى نص واحد مما يشير إلى صيغة واحدة للصلاة(٥١). وفى الصلاوات التى عثر عليها فى قمران عثر كذلك على الوصايا العشر إلى جوار "الشِماع"، وإستنادا إلى شهادة هايرونيموس، فإن هذه العادة قد شاعت فى بابل إلى فترة متأخرة(٥٢).

وقد قدم يوسف بن متتياهو شهادة بشأن طريقة قراءة الوصايا العشر ذكر فيها: "ليس من المسموح لنا أن نقولها بوضوح كلمة بكلمة"، ويبدو أنه يقصد بذلك القول، بأنه ممنوع النطق بها بوضوح حينما يكون القارئ في ظروف غير ملائمة لقداستها(٥٣).

إذن لقد شكلت ألواح العهد والوصايا العشر التي عليها ما هو بمثابة شريعة أساسية ملزمة لطائفة بني إسرائيل. وبعد أن إختفت الألواح وأخفي تابوت العهد توفقت العلاقة بين الوصايا العشر والرموز الملموسة، التي كانت مرتبطة بها من قبل، ولكن في الإجتماعات الإحتفالية وفي صلاة الصباح في كل صباح إعتادوا أن يقرأوا في الوصايا العشر في الهيكل، وكان الحاضرون يقبلونها على أنفسهم "بالعهد" و"بالقسم".

٥ - كان العيد الذين يجعلون فيه ذكرى مشهد جبل سيناء ملموسا ويبدو وكأنه تلقي جديد للتوراة، عن طريق القسم، هو "عيد الأسابيع"، وينعكس وصف هذا الحفل في المزامير ٥٠ و٨١. وكانوا يطلقن على هذا العيد في فترة الهيكل الثاني "عَتْسيريت"، وأطلق عليه كذلك "العيد" (هيحاج) على لسان يوسف بن متتياهو. وقد فسر مغزى هذه التسمية، بأن "الأسابيع" كان يوم إجتماع، أو بلغة "المقرا" "يوم الجمهور"، الذي يميز اليوم الذي اجتمع فيه بنو إسرائيل لتلقي كلمة الرب، على النحو الذي عبر عنه في "الكلمات العشر" (التثنية ٩:١٠، و٤:١٠، (١٥:١٧). وفي عيد "عَتْسيريت" كانوا يمثلون، حسبما يبدو، في حفل خاص المشهد الرائع لموقف جبل سيناء ويقبلون على أنفسهم من جديد بالعهد وبالقسم الوصايا العشر.

وقد ورد في سفر الخروج ١:١٩، أن بني إسرائيل وصلوا إلى صحراء سيناء في الشهر الثالث، ويحكي الإصحاح بعد ذلك عن الإستعداد لموقف التجلي الإلهي أو الوحي. وإستنادا إلى موبينكل، فإن احتفالات التقديس والنفخ في البوق، الموصوفة في هذا الإصحاح، تعكس مراحل الحفل الذي كان شائعا في أحتفالات تجديد العهد. والإستعدادات لموقف جبل سيناء هي بالفعل استعدادات

للقاء الإلهى، والذى يتجسد فى كل احتفال يقام فى الهيكل، وعلى غرار التقديس، وغسل الملابس والانعزال عن المرأة، استعدادا لموقف الوحى، والتى وردت فى سفر الخروج ١٩:١٠ - ١٥، نجد فى سفر التكوين ٣٥:١-٣، أنه قبل الصعود إلى بيت إيل أمر يعقوب أهل بيته بالتطهر واستبدال الثياب (الخروج ٢:١٩).

إن إقامة حدود حول الجبل وإبعاد الشعب عن المكان المقدس للغاية، حسبما هو وارد فى (سفر الخروج١٩:١٢ - ١٣، ٢١-٢٤)، تتميز هى الأخرى بالسياجات التى كانت متبعة بالنسبة للاقتراب من المكان المقدس (٥٤)، وكان النفخ فى البوق هو الآخر مميزا للموقف الذى كان يقومون خلاله بالقسم والالتزام(٥٥)، وبالفعل فإنه فى العهد الذى أعطى لآسا (أحد ملوك يهودا ٩١٥- ٨٧٥ ق.م) والذى حدثت وقائعه فى الشهر الثالث (أخبار الأيام الثانى ١٥:١٤)، نجد أنهم نفخوا فى البوق وأقسموا للرب بصوت عظيم، ومن هنا فإن عادة أن يكون القسم مصحوبا بالنفخ فى البوق، يرجع أصلها إلى "المقرا".

وكما أن "عيد الفصح" و"عيد الفطير" قد جاء ا ليعيدا مشهد حدث الخروج من مصر، وكما أن "عيد المظال" قد قرر ليعيد ذكرى المظال التى جلس تحتها بنو إسرائيل فى الصحراء (اللاويين ٢٣:٤٢-٤٣)، فإن "عيد الأسابيع" قد جاء ليشير إلى موقف الوحى فى جبل سيناء.

وقد حفظت ذكرى موقف "عيد الأسابيع" حتى أيامنا هذه فى العادات المختلفة المرتبطة بهذا العيد، مثل الأحكام المنطوية على الأيام الثلاثة بتحديد حدود الجبل، وصلاة ليلة الأسابيع التى هى بمثابة "ليل شيموريم" قبل موقف إعطاء التوراة، الذى حدث فى غداة هذا اليوم، وقراءة الكلمات العشر عن الإستعدادات الخاصة بها: مثل قراءاة المقدمات، بمثابة مقدمة لقراءة التوراة، وكذلك تلاوة "التحذيرات"، القائمة على الوصايا العشر، وكذلك أيضا قراءة الوصايا العشر وفقا لمنبور الآخر، والخاص بهذا اليوم(٥٦).

٣ - مكانة ألواح العهد فى التقاليد الإسرائيلية:

من يدخل اليوم إلى أحد المعابد اليهودية، سواء فى القدس، أو فى أى مدينة أخرى من مدن التواجد اليهودى فى العالم، فمن المؤكد أنه سيرى على التابوت المقدس لوحا العهد وقد كتبت عليها الوصايا العشر فى صيغة مختصرة، ويرى أن صورة الألواح وصيغة الوصايا ثابتة ومتساوية فى كل الأماكن. كذلك فإن صورة اللوحين تكاد تكون شائعة جدا على الأدوات المقدسة المختلفة، وعلى كتب الصلوات "السدوريم"، وعلى كتب التوراة، وحتى على رموز الجمعيات والمؤسسات. وذلك كرمز على قدسية الأدوات أو الكتاب، ويهوديتها ورغبة فى التصنيف الخاص للجمعية أو المؤسسة. وهذان اللوحان صورتهما عبارة عن مستطيلين رأسيين ملتصق كل منهما بالآخر، وطولهما أكبر من عرضهما، والضلع العلوى لكل منهما ليس مستقيما، بل مستديرا ومحدودا. وبالنسبة للوصايا فإنها تقسم خمسة على اللوح الأول وخمسة على اللوح الآخر على النحو التالى: الوصايا القصيرة (الخامسة والسادسة، والسابعة) تكتب كما هى بنصها، بينما لا يكتب من الوصايا الأخرى إلا الكلمتين الأوليتين منهما، وعندما تصنع الألواح مصغرة جدا، تكتب بدلا من الوصايا نفسها الحروف أ، ب، جـ .. الخ وفقا لترتيبها الرقمى. ولن نخطئ إذا قلنا، أن هذه الصورة قد أصبحت رمزا لليهودية، وعلى الأخص اليهودية بمفهومها الدينى.

والأن نطرح السؤال التالى: مذ متى كانت ألواح العهد تستعمل كزخرفة للتابوت المقدس، بحيث يستحيل أن يوضع بدونهما، وبحيث أصبحت رمزا لعقيدة إسرائيل؟ وسؤال آخر هو: منذ متى اعتادوا أن يحددوا الألواح على تلك الصورة الثابتة و"المقدسة" الخاصة بالإطارين المستطيلين الملتصقين، بحيث يكون طرفهما العلوى مستديرا؟ إن البحث يشير إلى إنه حتى العصور الوسطى لم يكن اليهود قد وضعوا الألواح، لا كرمز ولا حتى مجرد صورة. وبالنسبة للعصور القديمة يمكن الإستشهاد بشهادة جودنيف الذى لا يرد ذكر الألواح

على الإطلاق فى كتابه "الرموز اليهودية فى العصرين اليونانى والرومانى" (سْماليم يْهوديم بِتْفوفات يافان فيرومى). لقد كانت الرموز الشائعة فى تلك العصور هى "همنوراه" (الشمعدان)، و"همحتاه" (الجاروف)، و"آرون هاقّوديش" (التابوت المقدس)، و"همجيلا" (لفيفة البردى)، و"هلولاب" (سعفة النخيل" و"هاإيتروج" (الاترج)، و"هَشُوفار" (البوق) - أى تلك الأشياء التى كانت تحت نظر اليهود كأدوات للشريعة، أو أشياء من تلك التى ظلت ذكراها حية فى أذهانهم منذ أيام الهيكل. ولكن ألواح العهد، من ذا الذى رآها؟ ألم يكن التابوت موجودا فى الهيكل الثانى، وحتى فى الهيكل الأول كانت الألواح محفوظة داخل التابوت، ولكن أحدا لم يكن ليجرؤ على أن يغذى أعينه منها. وأكثر من هذا، إذا كان محظورا صنع أى من الأدوات المقدسة على مثل هيئتها، فإنه يمكن الافتراض بإنه لم يخطر على بال أحد أيا كان أن يصنع ما هو على غرار الألواح، التى كانت قداستها تعلو على قداسة أى شئ آخر، وبالإضافة الى ذلك فإنه إذا كان حكماء اليهود قد ألغوا عادة قراءة الوصايا مع الجزء الخاص "بالشماع" فى صلاة الصباح "الشحاريت" (وأيضًا كذلك كتابتها فى "التفيلين" التى تتضمن شهادة التوحيد وقصة خروج بنى إسرائيل) فإنهم بالطبع لم يكونوا على استعداد للموافقة على مزيد من الإبراز للوصايا بحيث تكتب على الألواح.

ويجب أن نشير، إلى أنه توجد سلسلة من المخطوطات المقرائية اليهودية، كتبت فى أسبانيا وترجع إلى القرن الثالث عشر، وتبدأ بصفحتين تحتويان على وصف للأدوات المقدسة، ومن بينها تابوت العهد والألواح التى فيه. وقد أورد بصلال سيسل روث، قائمة من تسعة عشر مخطوطا كهذه(٥٧)، ومن بينها مخطوطات "للمقرا" من توليد وتعود إلى عام١٢٧٧م،ومخطوطا "للمقرا" يعود إلى عام ١٢٩٩م من بيرفنيان، ومخطوطا من مكتبة إستينسا، ومخطوطا من المكتبة الامبروزيانية، وتعود كلها الى القرن الرابع عشر، وهذه الصورة تعرض الألواح بداخل تابوت العهد على صورة لوحين مستطيلين، وعليها نسخة موجزة

لخمس وصايا. ويحصى روث فى داخل هذه القائمة كذلك نسخة للعهد القديم من مجموعة بركوفيتش فى لينتجراد، كتبت حسبما يبدو فى مصر فى عام ٩٢٩م: وتوجد هنا كذلك صفحة مصورة تبين ألواح العهد بين سائر أدوات الهيكل المقدس، على صورة مستطيلين داخل تابوت العهد، وفى رأى روث، أن هذا الكتاب "هو نموذج من القرن العاشر لمجموعة الزخارف التى عثر عليها فى أسبانيا وبروفنس وترجع إلى القرن الثلث عشر فصاعدا، وهو بذلك يجعل هذه التقاليد متقدمة بثلاثة قرون بالنسبة للشهادات الأوربية الأقدم"(٥٩)، ويعتقد روث كذلك أن هذا المخطوط هو الحلقة الرابطة بين التقاليد الأوربية للعصور الوسطى مع المخطوطات المزخرفة الفلسطينية الأقدم، التى ضاعت. وقد عثر على أحد النماذج الواضحة والفاخرة لهذه التقاليد فى الصفحة الثانية والثلاثين من "هاجادا سارييفو" تعرض إعادة خيالية للهيكل، فى وسطه تابوت العهد، الذى يرتكز على ثلاثة أرجل (وليس على أربعة)، وعليه أجنحة "الكروبيم"، وقد رفع الجانب الأمامى للتابوت، بحيث يمكن رؤية الألواح التى فيه والوصايا التى عليه.

وهكذا يمكن تأكيد، إنه فى كل الصور التى ذكرناها هنا، لا تمثل ألواح العهد إلا شيئا واحدا من بين أدوات الهيكل، ولا تحتل مكانة الرمز.

وحينما نجد أن ألواح العهد المستطيلة لا ترد فى مخطوطات يهودية ضمن أدوات الهيكل، بل ترد فى وصف إعطاء التوراة، "كما فى (محزور) روتشيلد، فإننا نسأل إلى أى مدى أثرت هنا العقيدة المسيحية؟ وإلى أى مدى كذلك أثرت التقاليد السفاردية؟ إننا نشاهد فى مشهد "إعطاء التوراة" (ماتان توراة) الذى فى "كتاب الصلوات الثلاثى" (مَحَزور مِشولاش)، موسى وهو يمسك فى يديه الألواح الملتصقة كل منها بالآخر والموضوعة داخل إطار على غرار "الديفيتخون المسيحى"(٥٩)، ولكنها مستطيلة ومكتوب عليها بإيجاز الوصايا كما هى فى تقاليد المخطوطات السفاردية. كذلك فإنه فى توراة من رجنسبرج وفى الجـــزء

العلوى من صورة "إعطاء التوراة"، نجد موسى وهو يتلقى لوحين مستطيلين مكتوبين، ولكنهما فى الجزء الأسفل من الصورة ملتصقان كل منهما بالآخر، مرة أخرى وفق طريقة "الديفتيخون".

وإستنادا إلى "البرايتا الخاصة بصناعة همشْكان" أو"برايتا دى مْلاخات هامشْكانْ (المقصود بالبرايتا أقوال التنائيم "التى لم تدخل ضمن المشنا" بعد جمعها وتصنيفها، والكلمة آرامية معناها "خارجى"، وقد جمعت فيما عرف باسم "توسفتا". أما "المشكان" فهو المركز المؤقت بعبادة الرب منذ عصر موسى حتى هيكل سليمان وكانت تقع فى وسطه خيمة العهد التى يوضع فى وسطها تابوت العهد مع الألواح)، وإستنادا إلى التلمود البابلى، كانت صورة اللوحين مربعة "طولها ستة وعرضها ستة وسمكها ثلاثة"، على غير الصورة المعتادة. أما التلمود الأورشليمى، فإنه يبدو مختلفا ويعطى للألواح صورة المستطيل: "طولها ستة بوصات وعرضها ثلاث"، ويعتقد إيش شالوم بالفعل أن هناك كلمتين حذفتا من التلمود الأورشليمى، ويقترح تعديل صيغتها لتتلاءم مع البابلى: "طولها ست بوصات وعرضها (ستة وسمكها) ثلاثة. وعلى أى حال فإن التفاصيل الواردة فى التلمود وفى "المدراش" (تفسير كل ماورد فى العهد القديم) حول مادة الألواح وحول طريقة كتابة الكلمات (الوصايا) عليها هى تفاصيل مثيرة للدهشة للغاية، حيث من الواضح أنها ليست إلا أقوال أسطورية. ولا يجوز الاعتقاد، قياسًا على ما و رد فى أماكن أخرى، أن حكماء اليهود يتحدثون عن شىء أو عن حدث قديم ، بينما هم يقصدون بالفعل موضوعًا حقيقيًا قريب إليهم، وفى أقوال "الجاؤنيم" (الزعماء الروحانيين لليهود فى المجتمع اليهودى فى بابل إعتبارا من القرن السادس إلى الحادى عشر الميلادى) نجد كذلك، إن حجم اللوحين هو ١٣٦ إصبعا على ٢٨ إصبعا، وذلك بإصبع القدوس تبارك وتعالى، الذى مقياس شبره ربع إصبع مربع، ويعادل حجم العالم بأسره.

وكما رأينا سابقا، فإن مكانة اللوحين كانت مرتبطة بالتابوت المقدس، وتخلو الصور الكثيرة للتوابيت المقدسة القديمة كلها، من هذا الرمز. فعلى جانبى عملات التمرد الثانى (١٣٥م)، وعلى الصور التى فى المعابد القديمة (بيت ألفا، ونعران، وبورا ابروفوس)، وفى مغارات القبور فى شعاريم، وفى الأطباق المذهبة اليهودية فى روما، وفى كل صور التوابيت المقدسة هذه لا يوجد هذا الرمز. ونفس الحال بالنسبة لفترة متأخرة أكثر: ففى مخطوطات كثيرة ترجع للعصور الوسطى (محزوريم وآجادوت)، تعرض التوابيت المقدسة، وفى تابوت مقدس يعود للقرن الثالث عشر عثر عليه فى الجنيزا وتمت مراجعته؛ وفى صور لمعبد فرمس (١٠٣٤م) ومعبد رايتسبون (القرن الثالث عشر الميلادى)؛ فى كل هذه لا يوجد أى ذكر للوحى العهد. كذلك فإنها لا توجد فى المعابد الفخمة فى أسبانيا، بالرغم من كثرة زخارفها، ولا توجد الوصايا العشرة فى الكتابات الكثيرة التى تستخدم هناك للزخرفة. ويهود اليمن، الذين لم يخضعوا للتأثيرات الأوروبية، لم يعرفوا رمز الألواح حتى هذا اليوم، وكانوا لدى رؤيتهم الألواح على نسخ معروفة للتوراة، كانوا يعتقدون أنها رمزا مسيحيا. كذلك أيضا فإن وجهة النظر القائلة بأن الكلمات العشر تشتمل فى طياتها على التوراة كلها بمثابة مبادئ لا تشكل أقوال التوراة إلا تفاصيل لها، كانت هى الأخرى وجهة نظر غريبة بالنسبة للتلمود و"المدراش"، وذلك إستنادا إلى أقوال جينزبرج فى هوامش كتابه الكبير "أساطير اليهود"(٦٠).

وقد كان فيلون المؤرخ اليهودى المشهور (٢٠ق.م - ٤٠م) هو أول من صاغ منهج تقسيم الوصايا. ففى كتابه "سيفرهامتسفوت" (كتاب الوصايا) قسم الوصايا إلى أجزاء، وصور فى كل جزء الوصايا المتشعبة من إحدى الكلمات العشر، وقد سار على نهجه سعديا جاؤون (٨٨٢م - ٩٤٢م)، وأحصى الوصايا إستنادا إلى ذلك فى كتابه "التحذيرات" (هاأزهاروت) التى كتبها فى مؤلف

خاص. وقد وصلت هذه الفكرة من "الجاؤونيم" إلى ربى موشيه هَدَرْشان، مع إضافة عملية حسابية معقولة: "كانت الألواح تحتوى على ٢٤٨ وصية مقابل ٢٤٨ حرفا إعتبارا من "أنوخى" (أنا) حتى "أشيرأريعيخا" (الذى لقريبك)، لا أقل ولا أكثر...، ولكن "التنائيم" و"الأمورائيم" (الأمورائى هو الشخص الذى كان يعرض أراء حكماء والتلمود أو يترجم أقوالهم من العبرية إلى الأرامية، ولذا سموا أيضا "المترجمين" وهم الحلقة الواصلة بين "التنائيم" و"السبورائيم" الذين بدأ عملهم قبل تدوين التلمود)، كانوا يسعون دوما نحو التقليل من الوصايا العشر، وانعكس إتجاههم هذا بوضوح وشدة فى أقوال ربى موشيه بن ميمون: "ليس هناك فارق بين: "وأبناء حام كوش ومصرايم وفوط وكنعان"، و"إسم زوجته ماهيبتال إبنة متراد" و"كانت تمنع بغيا" وبين "أنا الرب إلهك" و"إسمع يا إسرائيل أنا الرب إلهك إله واحد" - لأن كل هذا صدر عن فم الرب، والكل هو شريعة الرب الكاملة والطاهرة والمقدسة، حقا، "وإنه لكافر ويدعى منافقا ذلك الشخص" الذى يعتقد أن فى التوراة قلب وقشرة". وهنا نجد إنه من هذه الناحية لم تكن اليهودية القديمة لتستطيع أن تسمو بمكانة ألواح العهد والوصايا العشر المكتوبة عليها(٦١).

ولكن فى مقابل اليهود - أكثر السامريون من كتابة الوصايا العشر فى حد ذاتها، ونقشوها على الأحجار التى وضعوها فى أماكن العبادة بمثابة تمائم (مزوزا)(٦٢).

قائمة مراجع الباب الأول

(١) أرينيل. شلوموزلمان: "لِكْسيكون لاتوداعا يْهوديت" (معجم الوعى اليهودى) "هوفيه أو مِنْهاجيم" (الواقع والعادات)، دار نشر "ماسادا"، رامات جن، ١٩٦٨، ص١٣٥.

(٢) جرينبرج. موشيه: "مْسوريت عَسَّيريت هادِبْروت برْئى هابِقْوريت" (تقاليد الكلمات العشر فى مرآة النقد)، مقال فى كتاب "الكلمات العشر فى مرآة الأجيال"، تحرير بن تسيون سيجل، القدس، دار نشر ماجنس بالجامعة العبرية، ١٩٨٦، ص٦٧-٦٨.

(٣) ملكاه. سلمون (حاخام السودان): المختار فى تفسير التوراة، مطبعة "لارابيدا" (دون تاريخ)، ص١٥٥.

(٤) جرينبرج. موشيه: م.س.ذ، ص٧١.

(٥) يختلف معظم العلماء فى تاريخ "كتاب العهد"، ويقرر معظمهم أن شرائعه ترجع إلى عصر القضاة.

(٦) جرينبرج. موشيه: م.س.ذ، ص٧١.

(٧) من ذلك على سبيل المثال، نقرأ فى رسالة رمسيس الثانى لملك ميرا فى الشمال: "أنظر، كتاب العهد (الذى صنعته)" من أجل ملك جت الكبير قد وضع تحت أقدام إله (العاصفة)، وسوف تكون الآلهة الكبار شاهدة على ذلك".

(٨) وينفلد. موشيه: "عَسَّيريت هادْباريم - ييحودام أو مْقومام بِمسْوريت يِسْرائيل" (الكلمات العشر - فرادتها ومكانتها فى تقاليد اسرائيل)، مقال فى كتاب "الكلمات العشر فى مرآة الأجيال"، م.س.ذ، ص٢٢ - ٢٣.

(٩) جرينبرج، موشيه: م.س.ذ، ص٧٢.

(١٠) الماسورة: هى التسمية الرسمية للتوراة العبرية، والكلمة غامضة المعنى والمصدر وقد تكون مأخوذة من كلمة وردت مرة واحدة فى سفر حزقيال٢٠:٣٧ وهى "ماسوريت". وقد اختلفت التفسيرات حولها وقد تكون من الفعل العبرى "أسر" بمعنى أسر أو قيد أو ضبط. وعلماء الماسورة (الماسوريين) هم الذين وضعوا النص العبرى النهائى وهم الذين اخترعوا الحركات الصوتية بوضع رموز فوق أو تحت الحرف لإعطائه اللفظ الصحيح وللمحافظة على طريقة لفظ اللغة العبرية حتى لا تندثر. وعلامات ضبط القراءة الماسورية التى ترد على هوامش الصفحة وبين الصفحات تسمى "الماسورة الصغيرة"، والتى ترد فى أعلى الصفحة وأسفلها تسمى " الماسورة الكبيرة " أو "الماسورة الخارجية"، وتسمى تعديلات الماسورة كذلك "تيقون سوفريم" (تعديل الكتبة). وأشهر مدرسة للماسورة هى الماسورة الفلسطينية التى تنسب إلى ربى أهارون بن آشير (فى القرن العاشر الميلادى)، وقد تنافس معه بن نفتالى، ولكن بمرور الأيام رسخت مدرسة بن آشير.

(١١) راجع هذه الفقرة: (التثنية١١:٢٨).

(١٢) راجع هذه الفقرة: (التثنية ٢٧:٢-٣).

(١٣) وردت فى التثنية ٢٧:٤، جبل عيبال بدلا من جبل جرزيم.

(١٤) سيجل .م.ص: "ماسوريت أو بقوريت" (التقاليد والنقد)، القدس، كريات سيفر، ١٩٥٧، ص٢٢٧-٢٣٦.

(١٥) راجع (التثنية ١٥:١٥، ١٦:١٢، ٢٤:١٧، ٢٢).

(١٦) ميلاميد، عزراتيسون: ("زيخور" و"شيمور" بدبور ايحاد نشمروا) ("اذكر" و"حافظ" وردتا فى وصية واحدة)، مقال

فى كتاب "الكلمات العشر فى مرآة الأجيال"، م.س.ذ، ص١٥٨.

(١٧) نفس المرجع ص١٥٦.

(١٨) تسرفتي. جاد بن عمي: "لوحوت هابْريت كِسْمال هَيَهَدوت" (ألواح العهد كرمز لليهودية)، مقال فى كتاب "الكلمات العشر فى مرآة الأجيال"، م.س.ذ، ص٣٧٦ - ٣٧٧.

(١٩) وينفيلد. موشيه: م.س.ذ، ص٥.

(٢٠) فرات.م.ى: "إحصاء الكلمات العشر" مِنْيان عَسيِّريت هادبْروت)، بيت مقرا، ١٩٥٦، ص١٠٠-١٠٢.

(٢١) وينفلد. موشيه: م.س.ذ، ص٦.

(٢٢) تسرفتي. جاد بن عمي: م.س.ذ، ص٣٧٨ - ٣٧٩.

(٢٣) جرينبرج. موشيه: م.س.ذ، ص٧٤ - ٧٥.

(٢٤) راجع بهذا الصدد: بروبار. مردخاى: "حلَوقات عسيِّريت هادبْروت لِفْسوقيم أولْدبْروت" (تقسيم الكلمات العشر إلى فقرات ووصايا)، مقال فى كتاب "الكلمات العشر فى مرآة الأجيال"، م.س.ذ، ص٢٢٣-٢٥٤، وراجع كذلك فى نفس المصدر: شيلواح. إمنون: "هِيعاروت ليعِنْيان نِجُونى هاطعام هاعِليْون بْعَسيُريت هادبْروت" (ملاحظات حول منبور الأخر فى الكلمات العشر)، ص٣٥٥ - ٣٦٣.

(٢٥) جرينبرج. موشيه: م.س.ذ، ص٨٩ - ٩٠.

(26) E. Nielsen: The Ten Commandments. in New perspective studies in Bblical Theology 2/7, Naprivlle: Allenson, 1968 pp. 84F.

(27) W. Harrelson, The Ten commandments and Human, Philadelphia: Fortress press, 1980, p42, 207.

(٢٨) وينفيلد. موشيه: م.س.ذ، حاشية رقم ١٧، ص٥.

(29) J.B. Prichard: Ancient Near Eastern Texts, princton, princton univeristy, 1950, p.35.

(٣٠) جرينبرج. موشيه: م.س.ذ، ص٨٦ - ٨٨.

(٣١) راجع التثنية ٩:١٠، ١٤، ١٨:١٧.

(٣٢) انظر الخروج ٢٠:٢٠، ٢٣:٢٤، ٣٤:١٤، واللاويين ١٩:٤، ٢٦:١، والتثنية ٤:١٥ فصاعدا، ١٦:١٤، ١٤، ١٢:٢٩-٣١، والإصحاح ١٣، ١٧: ٢-٧.

(٣٣) اللاويين ٤:٢٢.

(٣٤) الخروج ٢٣ :١٢، ٣١ :١٤ - ١٥، ٣٤ :٢١، ٣٥ :١ - ٣، والعدد ١٥:٣٢-٣٦.

(٣٥) الخروج ٢١:١٥-١٧، واللاويين ١٧:٤، ٢٠:٩، والتثنية ٢١:١٧ فصاعدا، ٢٧:١٦.

(٣٦) الخروج ٢١:١٢، واللاويين ٢٤:٢١، والعدد٣٥:٣٠، والتثنية ١٩:١١ - ١٣، ٢٧:١٦.

(٣٧) اللاويين ١٧:٢٠، ٢٠:١٠، والتثنية ٢٢:٢٠ فصاعدا.

(٣٨) الخروج ٢١ : ١٦، ٣٧ فصاعدا، واللاويين ١٩ : ١١، والتثينة ٢٤:٧.

(٣٩) الخروج ٢٣:١، والتثنية ١٩:١٧-٢١.

(٤٠) وينفيلد. موشيه: م.س.ذ، ص

(٤١) يدور توبيخ حزقيال فى الإصحاح العشرين حول هذين الذنبين: الوثنية وتدنيس يوم السبت(حزقيال٢٠:١٧، ١٨، ٢٠، ٢٤.

(٤٢) وينفيلد. موشيه: م.س.ذ، ص١٠-١٤.

(43) Mobonickel. S: Le decalouge, 1927, pp.141 FF.

(٤٤) وينفيلد. موشيه م.س.ذ، ص١٤-١٥.

(45) Lichtheim. M: Ancient Egyption Literature, Vol ll, 1976, pp124-132.

(46) Reiner. E. : "Surpn, A collection of Sumerian and Akkadian.Incantations, Archif. Orientforschung Beiheft, 2,1958, Tablet ll, p.13 FF.

(٤٧) وينفيلد. موشيه: م.س.ذ، ص١٥-١٦.

(٤٨) البك. شالوم: الوصيا العشر وأسس العقيدة (عسٍّبريت هادبْروت فيعيقارّى ها إيمونا)، مقال فى كتاب" الكلمات العشر فى مرآة الأجيال"، م.س.ذ،ص١٩٩-٢٠٢.

(٤٩) راجع: البابا شنوده الثالث: الوصايا العشر، الجزء الأول، مطبعة الأنبارويس - العباسية، القاهرة. الطبعة السابعة، ١٩٨٩، ص٩ , ١٠.

(٥٠) وينفيلد. موشيه: م.س.ذ، ص٣ -٩.

(٥١) عبدالمجيد. محمد بحر (دكتور): اليهودية، القاهرة، مكتبة سعيد رأفت ١٩٧٨، ص٢٧-٢٨.

(٥٢) سيجل . م. ص : " هاجومَه شبِلْ ناش " (بردية ناش) ، دار نشر كريات سيفر ، ١٩٥٧ ، ص ٢٢٧ - ٢٣٦ .

(٥٣) هابرمان. أ. م : "إيرتس يسرائيل" (فلسطين)، الجزء الثالث، ١٩٥٤، ص١٧٤ فصاعدا.

(٥٤) وينفيلد. موشيه: م.س.ذ، ص٢٣.

(٥٥) أشار ربى موش بن نحمان الى التشابه بين إقامة حدود حول جبل سيناء في الخروج١٩ والتحذيرات من الاقتراب من خيمة الميعاد.

(٥٦) كان هذا الأمر يحدث، على سبيل المثال، فى عصر الملكية، حيث كان الشعب يلتزم بالولاء للملك الجديد (أنظر صموئيل الثانى ١٥:١٠، والملوك الأول ٩:١ ٤، والملوك الثانى ١٣:٩، ١١:١٤ (النفخ فى القرون).

(٥٧) وينفيلد. موشيه: م.س.ذ، ص٢٩ - ٣٤.

(58) Roth. Cicil: Jewish Antecednts of chirstian Art, "Journal of the warburg and courauld institutes, XVI", (1953), pp. 24-44.

(59) Ibid, p. 28

(٦٠) الديفتيخون: عبارة عن لوحين من الخشب المغطى بالشمع، كانا يستخدمان للكتابة، وقد إخترع فى العصور القديمة واستمر إستخدامه لفترة طويلة من الزمن مع تطويرات مختلفة طوال العصور الوسطى، وفى عصر الإمبراطورية الرومانية كان يصنع أحيانا من العاج، وكان القناصل يعطونه هدية لأصدقائهم عند توليهم لوظائفهم، وكانت الكنيسة الكاثوليكية فى العصور الوسطى تجعله غلافا للكتب، أو كانت أحيانا تستخدمه لتسجل قوائم الأسماء، مثل أسماء الموتى أو أصحاب النيافة والدرجات العليا فى سلم القساوسة والكهنوت، وإلى جوار الديفتيخونات القديمة إستخدمت الكنيسة كذلك ديفتيخونات أخرى عهدت إلى الفنانين أن يصوروها، وكانت تزخرف بموضوعات دينية. وفى الحضارة البيزنطية أستخدم الديفتيخون كصورة مزدوجة، تستخدم للعبادة، وفى هذه الحالة لم تكن الصورة تنحت على الجانب الخارجى للألواح، بل على الجانب الداخلى. وقد

إنتشرت هذه الديفتيخونات المقدسة بعد ذلك فى أرجاء أوروبا وذلك إعتبارا من القرن الثالث عشر الميلادى فصاعدا، وذلك على شكل صورة ذات خليتين.

(61) Ginzberg. L: The Legends of the Jews, Philadelphina, 1907-1938, vol 6, p. 49-50.

(٦٢) تسرفتي. جاد بن عمي: م.س.ذ، ص٣٥٦ - ٣٥٩.

(٦٣) ذكر اسحق بن تسفى هذا الأمر فى كتاباته عن السامريين، وانظر كذلك:

Montgomery. J. A.: The samaritans, philadelphia, 1907.

الباب الثانى

الوصايا العشر فى المسيحية والإسلام

الفصل الأول
الوصايا العشر فى المسيحية

لقد ولدت المسيحية، كما هو معروف، من اليهودية، ويشكل كل من العهد القديم والعهد الجديد "الكتاب المقدس" للكنيسة المسيحية. ولا داعى كذلك للتأكيد على أن يسوع المسيح وتلاميذه كانوا يهودا، وكانت أقوال "المقرا" منطلقة على أفواههم. وقد ورثت المسيحية من اليهودية التقدير العظيم للوصايا العشر، واعتبارا من أباء الكنسيه القدامى، زادت أهمية الوصايا العشر فى المسيحية عنها فى اليهوديه. وكان السبب الرئيسى فى ذلك هو ذلك التوتر الذى أخذ فى التزايد تجاه شريعة إسرائيل، حيث كان المسيحيون من أمم العالم غير ملزمين بالمحافظة على وصايا التوراة. وفى مسار الإتجاه الذى ساد بين الكنيسه المسيحية للإنفصال عن اليهودية وصل المسيحيون إلى إستنتاج، بأن شريعتهم متفوقة على شريعة إسرائيل، وذهب المتطرفون المسيحيون إلى حد القول بأنهم مع مجئ المسيح إنتهت شريعة إسرائيل. وقد تجلى الموقف الواضح للكنيسة الكاثوليكية فى إحدى الترنيمات الرئيسية التى تتضمنها العبادة الكنسية، والتى ألفها توما الأكوينى الذى عاش فى القرن الثالث عشر الميلادى والتى أصبحت شريعته ملازمة للكنيسة. وإستنادا إلى هذه الترنيمة، فإنه عندما كان المسيح يتناول العشاء الربانى الأخير، حافظ بدقة على قوانين التوراة أو الناموس. وحينئذ فإنه حينما أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا وكلو هذا هو جسدى، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا إشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا، نشأ تجديد مقدس، وكان على العهد القديم أن يخلى مكانه للعبادة الجديدة. وهكذا فإن هذا المفكر الكاثوليكى قد عبر بصورة شعرية عن أحد المحاور الهامة فى موقف الكنيسة من "المقرا": إن قوتها الكاملة قد تلاشت مع مجئ وموت يسوع، وليس فقط أن الشرائع العملية والعبادية لليهودية لم تعد ملازمة للمسيحيين، بل إن المحافظة عليها قد حرمت عليهم بمرور الوقت، فى مناسبات مختلفة.

وليس من مهمة هذا البحث الوقوف على التحولات التى حدثت بمرور الأجيال بالنسبه لوجهة النظر هذه ولكن ما يعنيه هو التأكيد على أن هذا المسار لم يمس من الموقف الإيجابى للمسيحيين تجاه الوصايا العشر، بل إن الذى حدث هو عكس ذلك، حيث ضمت هذه الوصايا إلى المسيحية بسبب طابعها الشامل فى مقابل الوصايا العملية فى الشريعة اليهودية.

إن الوصايا العشر بالنسبة للمسيحيين هى كلمات الله الحى بالرغم من إنه من بين الوصايا المحافظة على يوم السبت. وقد إستطاع المسيحيون التغلب على هذه الوصية عن طريق تفسير المحافظة على يوم السبت تفسيرا روحانيا على إعتبار إنه تمسك بالرب.، وفى فترة متأخرة أكثر عندما أصبح يوح الأحد هو اليوم المقدس عند المسيحين، وهو يوم الراحة بدلا من يوم السبت، إعتبارا من قسطنطين قيصر، فسر المسيحيون وصية يوم السبت، على أساس أنها تعنى يوم الأحد المسيحى. وقد قامت فى العصر الحديث طوائف معينة من المسيحيين تحافظ على يوم السبت وفق طريقتها الخاصة، وهذا إستنادا إلى أن يوم السبت قد ورد فى الوصايا العشر التى تعترف بها المسيحية.

وفى الحقيقة فإن إصطلاح "الكلمات العشر" أو "الوصايا العشر" لم يذكر ولو مرة واحدة بصراحة فى العهد الجديد، بل إن الذى إقتبس، من بين الوصايا العشر، هو فقط نصفها الأخير، وإن كانت أيضا لم تذكر بالكامل. والنصف الأخير من الوصايا العشر، يتناول، كما هو معروف، تلك الوصايا التى بين الإنسان وقريبه. وهذه المسألة هى مسألة مثيرة للإهتمام فى حد ذاتها، ولذلك سوف نتناولها بالإيضاح. ومضمون هذه المسألة "كما ورد فى متى١٩:١٦-٢٢، ومرقص١٠:١٧-٢٢،، ولوقا١٨:١٨-٢٣) هو محادثه جرت بين يسوع المسيح ورجل غنى(١). وقد سأل هذا الغنى المسيح قائلا "أيها المعلم، أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية". وهذا هو نص سؤاله إستنادا إلى متى١٩:١٦. ولكن إستنادا إلى لوقا(١٨:١٨)، ومرقص١٠:١٤، يقول السائل: "أيها المعلم الصالح،

ماذا أعمل لتكون لى الحياة الأبدية". وإضافة صفة "الصالح" كانت سمة مميزة للإسلوب اليونانى، بينما لا يوجد فى العبرية - والآرامية - أسلوب للخطاب مثل : " معلمى الصالح " ، ويقودنا هذا إلى تفضيل صورة السؤال الواردة فى متى : " أيها المعلم ، أى صلاح أعمل ؟ " ، لأن لوقا اليونانى، ومن بعده مرقص، قد خضعا لإحساسهما اللغوى اليونانى وهما يتحدثان عن " أيها المعلم الصالح " بالرغم من أن هذه اللغة فى الخطاب كانت مستحيلة فى البيئة التى كان يعيش فيها يسوع المسيح نفسه.

إن هذا التوجه الخطابى الغريب، الذى يعود إلى الإحساس اللغوى اليونانى، قد أثر بشكل سئ على بداية إجابة يسوع المسيح عند لوقا (١٨:١٩)، وعند مرقص (١٠:١٨). ففى هذين المصدرين يجيب يسوع المسيح على الرجل الغنى قائلا:"لماذا تدعونى صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله"، ولكن فى متى ١٩:١٧، يرد يسوع المسيح على السؤال: "أى صلاح أعمل؟ قائلا "بطريقة بسيطة": "لماذا تسأل عن الصالح؟ إن واحدا هو الصالح". إن متى يتبع لغة المذكر، وهذا يعنى أن مترجم الوثيقة العبرية المنسوبة لمتى إفترض، أن يسوع المسيح يتحدث عن الله. ونحن نفهم الأن، إنه ليس فقط الأساس اللغوى اليونانى عند لوقا (ومن بعده مرقص) هو الذى أدى إلى تحريف السؤال السابق للرجل الغنى: فإذا كان يسوع قد أجاب على الرجل الغنى بأن واحدا فقط هو الصالح وهو الله، فإن هذه الرجابة تكون بمثابة نفى لتوجه الغنى "أيها المعلم الصالح"! ولكن، إتضح أن المترجم اليونانى للوثيقة العبرية قد أخطأ فى ترجمته فى الكلمات "واحد هو الصالح" وكان يسوع المسيح لا يقصد الله، بل الناموس وشرائعه. وهذا الأمر يتضح من سياق حديث يسوع المسيح: "أنت تعرف الوصايا" (لوقا١٨:٢٠، ومرقص١٠:١٩) - أو حسب الفقرة الواردة فى متى: إذا كان الغنى يسأل يسوع المسيح: "أيها المعلم، أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية؟" والمسيح يرد عليه "لماذا تسألنى عن الصالح؟ إن واحدا هو

الصالح! وإذا كنت تريد أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا!" - فاتجاه الحوار واضح بالعبرية، وقد نتج الخطأ بسبب إنه لا يوجد فى العبرية فارق بين جنس المذكر والجماد، وقد إعتقد المترجم القديم أن يسوع، بقوله، أن واحدا هو الصالح، إنما هو يتحدث عن الله بالذات - ووفقا لسياق القصة من الواضح، إنه إنما كان يعنى التوراة.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن يسوع المسيح قد أجاب على سؤال الرجل الغنى "أى صلاح يعمله لكى تكون له الحياة الأبدية؟ لماذا تسأل عن الصالح؟ ليس صالحا إلا واحد، الوصايا التى تعرفها؟(٢): لا تقتل لا تزن(٣) لا تسرق. لا تشهد بالزور(٤)، أكرم أباك وأمك. " وقد أضاف متى إلى هذه الوصايا وصية "أحب قريبك كنفسك"، وهى وصية ذات مغزى خاص فى المسيحية سنتناولها فيما بعد.

لقد رأينا، أن يسوع يذكر فى هذه المسألة التى عرضنا لها النصف الأخير من الوصايا العشر، وقد أضيفت فى النهاية فى الأناجيل الثلاثة الأول وصية إحترام الأب والأم. ومسألة أن هذه الوصية قد ذكرت بالذات فى نهاية القائمة، يؤكد الرأى القائل بأن هذه الوصية جاءت بمثابة إضافة ثانوية أى أن شخصا ما أضاف إلى أقوال يسوع المسيح الأصلية بالذات هذه الوصية، لأنها من الوصايا التى تمس محور العلاقة بين الإنسان وقريبه، بالرغم من إنها تابعة أصلا للنصف الأول من الوصايا العشر.

وورود النصف الأخير من الوصايا العشر فى العهد الجديد ليس قاصرا على أقوال يسوع المسيح فحسب، لأن بولس الرسول إعتاد هو الأخر على ترديدها، حيث نقرأ فى رسالته إلى أهل رومية (١٣:٨-١٠): "لا تكونوا مديونين لأحد بشئ إلا بأن يحب بعضكم بعضا، لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس. لأن لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته وإن كانت وصية أخرى هى مجموعه فى هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك. المحبة لا تصنع شرا للقريب.

فالمحبة هى تكميل الناموس". وهكذا فإننا نرى هنا، أن جمله "أن تحب قريبك كنفسك" قد فهمت على اعتبار أنها مبدأ، وتشكل التفاصيل التى نبع منها النصف الأخير من الوصايا العشر، والتى تتناول العلاقة ما بين الإنسان وقريبه. وهذه الوصية الخاصة بمحبة الغير توصف بأنها خلاصة الناموس كذلك فى رسالة أخرى من رسائل بولس الرسول، هى رسالته إلى أهل غلاطية: "لأن كل الناموس فى كلمة واحدة يكمل. تحب قريبك كنفسك"(٥:١٤).

وكان من الممكن أن نقول، أن التأكيد على النصف الأخير من الوصايا العشر عند بولس الرسول، إنما يرجع أساسا، إلى موقفه المتوتر من الوصايا العملية، ولكن هذه الصورة قد وردت كذلك فى رسالة أخرى من رسائل العهد الجديد، وهى رسالة يعقوب، حيث جاء فيها:

"فإن كنتم تكملون الناموس الملوكى حسب الكتاب. تحب قريبك كنفسك" (رسالة يعقوب٢:٨-٩). وكما هو معروف، فإن هذه الرسالة قد كتبت بروح يهودية، تؤيد الوصايا العملية، لدرجة أن هناك من يقولون بأن هذه الرسالة تتجادل مع نقد الوصايا عند بولس الرسول. ولكننا مرة أخرى نجد أن يعقوب يورد فى رسالته النصف الأخير فقط من الوصايا: "لابد من حفظ كل الناموس وإن من عثر فى واحدة فقد صار مجرما فى الكل. لأن الذى قال لا تزن قال أيضا لا تقتل، فإن لم تزن ولكن قتلت فقد صرت متعديا الناموس" (رسالة يعقوب٢:١٠-١١).

والجدير بالذكر، إنه أيضا فى رسالة يعقوب يوجد النصف الأخير من الوصايا العشر مرتبطا بوصية محبة القريب، التى تتضمنها الوصايا العشر. وبالإضافة إلى هذا، فإن هذه الفقرات فى رسالة يعقوب تتضمن فكرة يهودية أخرى: من نقض وصية واحدة، فقد تعدى كل الوصايا، ومؤلف الرسالة يقصر هذه الفكرة أيضا على النصف الأخير من الوصايا العشر، وأقواله هذه تستند إلى الإختلاف فى نص الجزء الأخير من الوصايا العشر بين كل من نسخة

سفر الخروج وسفر التثنية، حيث يرد هذا الجزء من الوصايا فى سفر التثنية بينما تربط واو العطف بين قائمة الممنوعات: " لا تقتل ولا تزن ولا تسرق ولا تشهد على قريبك شهادة زور ولا تشته إمرأة قريبك ... ولا كل ما لقريبك" (التثنية٥:١٧-٢١).

وهكذا رأينا، إنه لدى يسوع المسيح وكذلك فى سائر أسفار العهد الجديد قد ورد النصف الأخير من الوصايا العشر مع ربطها بوصية "محبة القريب"، وأطلق على هذه الوصية، كما أشرنا من قبل، فى رسالة يعقوب (٨:٢) إسم "الناموس الملوكى". وقد وجدت فقرة شاملة من مؤلف يهودى - مسيحى قديم، يربط هذه القاعدة الذهبية بالنصف الأخير من الوصايا العشر، فى كتابات تنسب إلى كليمنس الرومى. وهذين المؤلفين هما تحريران لمؤلف واحد، يعتمد على كتابات الطائفة اليهودية - المسيحية المعروفة باسم "الابيونيين". وفى الرسالة إلى أهل رومية (١٣:٨-١٠) ورد أن كل من يحب قريبه كنفسه فقد أقام الناموس بأسره، وإن هذا القول يتضمن النصف الثانى من الوصايا العشر، وفى الرسالة إلى أهل غلاطية (٥:١٤) يقول بولس الرسول، دون أن يربط الأمر بالوصايا العشر، إن الناموس كله فى كلمة واحدة هى "تحب قريبك كنفسك". ومعنى هذا أن العهد الجديد يقول أن محبة القريب هى كل الناموس (التوراة) وإنها خلاصة النصف الأخير من الوصايا العشر. وقد أنتهى حكماء التلمود إلى أن الفقرة الواردة فى سفر اللاويين ١٩:١٨ "بل تحب قريبك كنفسك" هى "مبدأ عظيم" أو "قاعدة عظيمة" ووصفها ربى عقيبا بأنها "قاعدة التوراة". ومعنى هذا أن القاعدة الذهبية فى اليهودية أصبحت صورة أخرى من مقولة "بل تحب قريبك كنفسك". وقد فهمت هذه الفقرة فى دوائر معينة على إعتبار أنها تشمل الشريعة كلها. كذلك فإنه فى العهد الجديد (متى٧:١٢) جاء على لسان يسوع المسيح: "فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم إفعلوا هكذا أنتم أيضا بهم، لأن هذا هو الناموس والأنبياء".

ولكى نفهم هذا الموضوع، نشير إلى أنه كان هناك رأى شائع بين اليهود، يرى أنه يمكن التعبير عن التوراة كلها من خلال مبدأين عظيمين فيها، الأول هو "وتحب الرب إلهك" (التثنية٦:٥)، وهو يشمل كل الوصايا التى بين الإنسان والمكان، والثانى - "بل تحب قريبك كنفسك" (اللاويين١٩:١٨)، الذى يعنى بالوصايا التى ما بين الإنسان وقريبه. وهكذا فقد قال يسوع المسيح: "أية وصية هى العظمى فى الناموس. فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هى الوصية الأولى والعظمى. والثانية مثلها. تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله بالأنبياء" (متى٢٢:٣٤-٤٠). وقد وردت إشارة إلى هاتين الوصيتين فى سفر من الأسفار غير القانونية (الأبوكريفا) هو "سيفر هيوبليم"، وهو مؤلف عبرى تم تحريره فى عام ٥٠ ق.م تقريبا، وذلك فى الإصحاح السادس والثلاثين الذى يتضمن أقوال إسحق لأبنائه، كما وردت كذلك فى سفر من الأسفار غير القانونية يدعى "سفر وصايا الأسباط" (سفير صْفاوْوت هَشْباطيم)، وهو سفر يتضمن أقوال أبناء يعقوب الأخرين (دان ويسساكر وزبولون...). وتظهر كذلك إشارة صريحة للوصايا فى بداية "ناموس الإثنى عشر رسولا" وذلك فى الأصل اليهودى لهذا الكتاب المسيحى. وقد كتبت كل هذه المؤلفات فى أصلها اليهودى فى إطار ذلك التيار الفكرى الذى تبلورت فيه طائفة الأسينيين (راجع كتاب "الفكر الدينى الإسرائيلى" للكتور حسن ظاظا لمزيد من التفاصيل حول الأسيينين)، وهنا يمكن أن نتساءل عما إذا كان يسوع المسيح قد أستقى فكرة هذين المبدئين من فكر هذه الطائفة وليس من فكر حكماء التلمود الذين لم يعبروا إلا عن مبدأ واحد وهو "محبة القريب" على إعتبار أنه خلاصة الناموس(٥).

وبعد كل هذا الذى تقدم بشأن النصف الأخير من الوصايا العشر فى أسفار العهد الجديد، فإننا بطبيعة الحال، لابد وأن نتساءل: وما هو موقف المسيحية من النصف الأول من الوصايا العشر؟ إن المسيحية بحكم إنفصالها

عن اليهودية، كما ذكرت فى مقدمة حديثى عن الوصايا العشر فى المسيحية، قد نسخت الكثير من الأحكام والقوانين والشرائع اليهودية، ونحت فى العقيدة والعبادة مناحى شتى. "ومن ذلك تعظيمهم للصليب، وإستحلالهم لحم الخنزير وتعبدهم بالرهبانية، وإمتناعهم عن الختان، وتركهم طهارة الحدث والخبث، فلا يوجبون غسل جنابة ولا وضوء ولا يوجبون إجتناب شئ من الخبائث فى صلاتهم لا عذرة ولا بولا ولا غير ذلك من الخبائث - كلها شرائع أحدثوها، وابتدعوها بعد المسيح عليه السلام، ودان بها أئمتهم وجمهورهم ولعنوا من خالفهم فيها"(٦).

ومن بين المسائل التى تعرضت للنسخ فى المسيحية مجموعة الوصايا الأولى من الوصايا العشر، وخاصة تلك التى وجدوا إنها لا تتفق مع الطبيعة التى آلت إليها المسيحية.

ومن ذلك إنهم حذفوا من الوصية الأولى جملة "الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية" (خروج٢٠:٢)، لأنها لا تنطبق عليهم، فهم لم يكونوا قط فى مصر ولم يحررهم "يهوه" من العبودية.

وقد أطاح البروتستانت بالوصية لأولى جملة وأحلوا محلها فقرة من الوصية الثانية. أما الكاثوليك فقد أبقوا من الوصية الأولى كلمات ضئيلة فأصبح نصها على النحو التالى:

عند الكاثوليك : لا يكن لك ألهة أجنبية أمامى.

عند البروتستانت : لا يكن لك آلهة أخرى أمامى.

عند اليهود : أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامى.

أما الوصية الثانية، تلك التى تحرم صنع التماثيل فقد طوح بها الكاثوليك

لأنها تناوئ أكثر شعائرهم الدينية شيوعا، وهى صناعة التماثيل المنحوتة للقديسين والسجود أمامها، حيث أن المجمع المسيحى العام السابع الذى عقد بمدينة نيقية عام ٧٨٧م، (وهو المعروف باسم المجمع النيقاوى الثانى) قد أقر تقديس صور المسيح والقديسين دون عبادتها، وقد تم هذا القرار على الرغم من المعترضين وعلى رأسهم ملك الفرنجة شارلمان (٧٤٣-٨١٤م). وقد عمدت الكنيسة منذ الوقت إلى حذف الوصية الثانية من نسخ الكتاب المقدس وإلى إحلال الوصية الثالثة محلها، ولم يتنبه أحد إلى ذلك إلا بعد حين. وبذلك أصبح نص الوصية الثانية:

عند الكاثوليك : لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا.

عند البروتستانت : (مثل النص اليهودى) : لا تصنع لك تمثالا منحوتا ...

وتستمر الحال هلى هذا المنوال، فبينما نجد أن الوصية "لا تسرق" هى الثامنة عند اليهود والبروتستانت، إذ هى السابعة عند الكاثوليك. وكذلك الوصية "لا تشهد على قريبك شهادة زور"، فهى التاسعة عند اليهود والثامنة عند الكاثوليك. وقد وضع الكاثوليك فى مكان الوصية التاسعة جزءا من الوصية العاشرة(٧).

وبالنسبة لتقسيم الوصايا فى المسيحية، فإنه إعتبارا من عصر أوجسطين فصاعدا، شاع لديهم تقسيما يجعل من بداية "أنا" حتى "ولحافظى وصاياى" وصية واحدة، بحيث تكون الوصية "لا تحلف" هى الوصية الثانية، وتقسيم وصية "لا تشته" إلى وصيتين.

وقد برر أوجسطين هذا التقسيم، وأشار كذلك إلى العلاقة التى بين الوصايا الثلاث الأولى (أنا، ولا تحلف، وأذكر)، وبين الوصايا السبعة الأخيرة

على إعتبار أن الوصايا الثلاثة الأولى هى وصايا بين الإنسان والله، بينما السبعة الأخيرة هى وصايا بين الإنسان وقريبه. ومن أجل ذلك إعتقدت التقاليد الكاثوليكية، أن الوصايا الثلاث كتبت على اللوح الأول، وأن السبعة الأخر إعتبارا من "إحترام أباك وأمك" كتبت على اللوح الثانى، وقد تأثر هذا المنهج بطبيعة الحال بأقوال الإنجيل (متى٢٢:٣٦)، والتى تحدد أن الوصية الأولى هى "وأحب الرب إلهك" والثانية "وأحب لجارك كما تحب لنفسك"- مما جعل الكاثوليك يصنعون اللوحين مقابلين للوصيتين.

وقد سار على هذا النهج كل من الكاثوليك والبروتستانت، بينما إتبعت الكنيسة اليونانية والإنجيلية التقسيم المشابه لتقسيم فيلون، والذى ناقشناه فى فصل تقسيم الوصايا العشر(٨).

ألواح العهد فى التقاليد والفن المسيحى:

على ضوء ما تقدم عرفنا أنهم فى الأجيال الأولى من تاريخ اليهود لم يعرفوا الألواح على الإطلاق كرمز يهودى، ولم تظهر الألواح فى أى تصوير يهودى مشهور أو معروف، حتى العصور الوسطى.

ويقول تسرفتى جادبن عمى فى دراسته عن ألواح العهد: "حيث إننا لم نجد صور الألواح عند اليهود، فلنتوجه إلى الفن المسيحى ونبحث عن صورتها فى إنتاجه - التماثيل، والصور، والصور التى فى المخطوطات، إن فحص هذه الإنتاجات يقودنا إلى إستنتاج، هو إنه يوجد تقسيم لثلاث مناطق جغرافية، مواز للتقسيم بين الصور الثلاث التى تم بها التعبير عن هذا الموضوع: فى الشرق، وفى الفن البيزنطى بشكل عام، حيث أن الصورة التى بها التعبير عن الألوح هى ملف البردى، وفى ايطاليا، حتى القرن السادس عشر - حيث تم التعبير عن الألواح فى صورة ألواح مستطيلة، وفى فرنسا - حيث تم التعبير عنها فى صورة الديفتيخون، ومنه تطورت الصورة المعروفة للألواح المربعة ذات الضلع

العلوى المستدير، وهى الصورة التى طغت على الصور الأخرى إعتبارا من فترة معينة فصاعدا. ومن الطبيعى أن هذه المقابلة ليست مطلقة، ولا تشير إلا إلى البيئة التى نشأت فيها صورة معينة أو التى أصبحت هى الصورة السائدة فيها(٩).

أ - ملف البردى (مُجيلا):

فى بعض الانتاجات، التى تعتبر من أقدم الانتاجات - وعلى عكس أقوال التوراة المفسرة - يظهر سيدنا موسى وهو يتلقى من الخالق ملفا برديا "مُجيلا" وليس ألواحا ويبدو أن هذا الأمر كان وفقا لتقاليد الفن البيزنطى، التى وصلت إلى المخطوطات الأوربية الأولى، حيث تلقى الغرب معظم الموضوعات المقرائية التى إخترعها الشرق، والتى عرفت عن طريق التجارة، والحملات الصليبية، ومؤسسات الرهبنة(١٠).

وكل هذه الصور تصور موسى بينما كف يد تخرج من السماء، من وسط السحاب، وتسلم له ملفا من البردى (مُجيلا). وكف اليد هذه التى إستبدلها الفن المسيحى بعد ذلك دون تردد بالصورة الكاملة للخالق، يذكرنا رغما عنا بكف اليد التى خرجت لكى تعوق إبراهيم أثناء لحظة التضحية بإسحق، على النحو الذى صورت بها فى فسيفاء معبد بيت ألفا. وهذا التصور عبارة عن تجسيد مادى جروء ايضا اليهود على تصوره، لأن جذوره ترجع إلى الأقوال الواردة فى (سفر دانيال٥:٥): "فى تلك الساعة ظهرت أصابع يد إنسان وكتبت". كما أن عبارة "يد الرب" وردت هى الأخرى مرات عديدة فى سفر حزقيال: "كانت علىَّ يد الرب فأخرجنى بروح الرب"(١:٣٧)، و"كانت علىَّ يد الرب وأتى بى إلى هناك"(١:٤٠). كذلك فإن النص الوارد فى سفر الخروج من أن من يرى الرب لا يعيش: "لأن - الإنسان لا يرانى ويعيش" (٢٠:٣٣)، قد جعل كف اليد مستثناة من التصور المادى لكيفية إعطاء الرب للوصايا لموسى. والذى يلفت النظر فى كل هذه الصور، أن اليد هى اليمنى، إستنادا للمكتوب: "وعن يمينه نار شريعة لهم" (التثنية٣٣:٢) وفقا للتفسير الإنجيلى.

وهذا التحريف المثير للدهشة للأقوال الواردة فى سفر الخروج (١٨:٣١): "ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحى الشهادة لوحى حجر مكتوبين بإصبع الله"، يمكن فهمه بسهولة عندما نتنبه إلى حقيقة، أن القدماء لم يكونوا مؤرخين ولا مهندسين معماريين، ولم يتصوروا الأمور حسبما رأوها، ولا من تقصى للحقيقة التاريخية.

وهناك دافع أخر لهذا التصوير لإعطاء التوراة يمكن أن نجده فى حقيقة أنه حسب التفسير العادى "للمقرا" فإن الفارق بين "سلم للشعب كل من الألواح التى تلقاها من الرب، وسفر الشريعة الذى كتبه على فمه"، وبين "أن يكتب على فمه" و"يتلقى من يده" ليس كبيرا، وخاصة إنهم أرادوا أن يستقوا رمزا لإعطاءالتوراة من الفقرات الواردة فى سفر حزقيال (٩:٢): "فنظرت فإذا بيد ممدودة وإذا بدرج سفر فيها"، وفى سفر زكريا(١:٥): "وإذا بدرج طائر".

إذن فإن ملف البردى (هَمْجيلا) قد إرتفع لدى اليهود لمرتبة الرمز المقدس، ونجده على هذا النحو لديهم فى صور كثيرة. ففى "هاجادا فورمبرج" يجسد إعطاء التوراة فيصور موسى وهو واقف على قمة الجبل ويمسك بيده كتاب التوراة.

وقد إنتقل رمز "هَمْجيلا" من اليهود إلى المسيحيين، بالرغم من أن الكتب المقدسة عندهم كانت فى صورة كتاب وليس فى صورة "مْجيلا". وعلى هذا يمكن ربط ظهوره فى الصور المشار إليها. ومن الجدير بالإهتمام، أنه فى القرن الثالث عشر الميلادى فى كنيسة سان جيوفانى فى برنسيا، فى لوحة "خلق آدم" و"خلق حواء"، والواضح فيها التأثير البيزنطى، نجد تجسيما للخالق وفى يده ملف من البردى.

وفى الفن البيزنطى توجد إنتاجات تظهر فيها الأواح كألواح حقيقية وليست "مجيلا"، وتظهر الألواح المستطيلة فى صورة يونانية لموسى فى مجموعة الفاتيكان، وفى "محزور" إشكنازى كذلك من القرن الثلث عشر (بودليانا) يظهر

ملاك يمد يده بألواح مستطيلة كل منها منفصل عن الآخر، بينما لا تظهر فى اللوحة صورة(١١).

ب - اللوحان:

إلى جوار التقاليد الخاصة بتصوير الألواح فى صورة "مجيلا" تطورت تقاليد أخرى،صورتها على صورتها العادية، وهى لوحين من الحجر فى صورة مستطيل. وهذا الشكل نجده تقريبا بصورة دائمة فى ايطاليا اعتبارا من الفن القديم مرورا بالفترة الرومانية وحتى القرن السادس عشر - وربما كان أشهر هذه المجموعة تمثال موسى للفنان مايكل أنجلو فى كنيسة سان بيتر فى روما.

جـ - الديفتيخون:

أخذ لوحا العهد فى مرحلتهما الثالثة صورة مستطيل، ضلعة العلوى مستدير، وتظهر على هذا النحو فى عدد كبير من النماذج فى الفن الفرنسى.

فما هو مصدر هذه الصورة؟

لقد كان هذا البناء هو البناء المعتاد للطراز الفنى الشرقى القديم، ليس فقط فى الطراز الفنى الخاص بميشع، بل كذلك فى النصب القديمة فى كافة أرجاء الشرق الأدنى، ولكن ليس لهذا الأمر صلة بهذا الموضوع، لأنه لاتوجد تقاليد متواصلة تعود للعصور القديمة عن صورة اللوحين. ونظرا لأنه لا يمكن تصور أن الفنانين الفرنسيين فى العصور الوسطى يمكن أن يأخذوا من النصب المصرية أو الأشورية القديمة نموذجا له، فلذلك لابد من البحث عن تبرير أخر.

إننا إذا قارنا الألواح التى ظهرت فى النماذج الفنية التى أخذت هذه الصورة، سنجد إنه بالإضافة إلى تغيير الصورة، من مستطيل عادى بسيط إلى مستطيل ذو جانب علوى مستدير، قد أستحدث تجديدا هو، أن الألواح التى

كانت حتى الآن تعرض منفصلة، أى كل واحد فى يد من أيدى موسى، أو موضوعين كل فوق الآخر، أصبحا يعرضان الآن ملتصقين كل بالآخر. وهاتان الصورتان أصبحتا توجدان دائما مع بعض: لوحان مستطيلان منفصلان أو لوحان مستطيلان - مستديران مرتبطان ببعضهما. وبالإضافة إلى هذا فإنه فى هذه الصورة الجديدة لم يكن اللوحان متجاوران كل للآخر، بل ملتصقين كل بالآخر دونما إنفصال. وفى اللوحة المنحوته البارزة التى على باب سان زينو، يمسك القدوس تبارك وتعالى بلوح من الألواح بينما يمسك موسى بلوح آخر، واللوحان ليس متباعدان كل عن الآخر. وفى كل الإنتاجات التى أشرنا إليها يمسك موسى باللوحين فى يد واحدة فقط، كمن يمسك بشئ مصنوع من قطعة واحدة. وبالإضافة إلى ذلك، هناك جزئية ثالثة، هى أن اللوحين قد صورا بشكل عام داخل إطار، وفى التماثيل وفى اللوحات البارزة يظهر بوضوح إطار بارز حول كل لوح من اللوحين.

إذن فليس هناك ما يدعو للدهشة إذا كان الفنانون قد بدأوا فى تصوير لوحى العهد على صورة ديفتيخون، لأنه توجد علاقة قوية بينهما: فالألواح إثنان مثل صفحتى الديفتيخون، والألواح مكتوبة، كما أن الديفتيخون هو شئ مصنوع للكتابة عليه، وعلاوة على ذلك، فإن الديفتيخون قد إستعمل كأداة مقدسة فى الكنيسة ولا بأس من إستعماله كرمز مقدس آخر. وفوق كل هذا، فإن هذه الصورة كانت شائعة جدا وكانت ماثلة أمام عيون الفنانين.

وقد كان الديفتيخون يصنع فى البداية من لوحين مستطيلين، ولكن فى الديفتيخونات القديمة كان الجزء العلوى من كل لوح يميل إلى الشكل المستدير، أو كان اللوح نفسه ذو شكل مستدير، ولكن الصورة التى تثبت به كانت توضع فى إطار جانبه العلوى مستديرا - ولا داعى للقول، بإن الديفتيخون الجوتى كان الجانب العلوى منه مستديرا تلك الاستدارة المحدبة المميزة لهذا الفن. وعلى هذه الصورة حددت الصورة الجديدة للوحين. وقد دخلت صورة الديفتيخون إلى

الإنتاجات العبرية. ففى "هاجادا" "رؤوس العصافير" (راشًى متسبوريم) (جنوب المانيا حوالى ١٣٠٠م)، نرى موسى وهو يتلقى من الرب التوراة على صورة ديفتيخون، ويسلمها للشعب على صورة خمس لوحات. وفى الصفحة الثلاثين من "هاجادا ساريفوا" يقف موسى على جبل سيناء وفى يده ديفتيخون. وهكذا فإن هذه "المودة الجديدة" الخاصة بالديفتيخون إلتقت مع التقاليد القديمة للألواح المستطيلة.

وهكذا نرى أن الفن المسيحى، الذى كان من عناصره المقدسة سيدنا موسى وإعطاء التوراة، قد وصف اللوحين فى صور مختلفة فى انتاجاته، وإنتقل منه إلى المخطوطات اليهودية المصورة إعتبارا من حوالى القرن الثالث عشر، ومن هناك إلى التوابيت المقدسة فى القرن الخامس عشر، كرمز للفن الإسرائيلى، فى مقابل رموز المسيحية التى كانت توضع فى الكنائس. ومعنى هذا أن المسيحيين كانوا هم الذين سبقوا اليهود فى جعل اللوحين رمزا لليهودية. واعتبارا من هذا التاريخ إنتشر هذا الرمز بسرعة إلى أن إكتسب مكانة مقدسة تفوقت فى بعض الأحيان، وبشكل دائم، على رموز أخرى مثل التابوت المقدس.

ومن النماذج المسيحية المشهورة والتى تزخرف الكنائس الرئيسية فى ستراسبورج وريمسى، والتى ترمز إلى مجمع إسرائيل، تلك التماثيل التى هى ثمرة الفن الفرنسى فى القرن الثالث عشر الميلادى، وهى عبارة عن نموذج على صورة إمرأة، ينبئ مظهرها بالهوان والكآبة، وعلى عيونها عصابة لرفضها أن ترى الإيمان الحقيقى، وترتكز بإحدى يديها على عمود لعلم مكسور، وتمسك باليد الثانية ألواح العهد. وفى مقابل هذه المرأة توجد إمرأة أخرى، هى الكنيسة الكاثولوكية، منتصبة القامة وتضع على رأسها إكليلا، وفى إحدى يديها الصليب وفى اليد الأخرى الكأس المسيحية. وهكذا فإن المسيحيين قد عبروا فى هذا المشهد عن الألواح كرمز واضح لليهودية. ولكن قبل ذلك، أصدر هنرى الثالث،

الذى حكم إنجلترا من عام ١٢١٦م حتى عام ١٢٧٢، أمرا فى سنوات ملكه الأولى بشأن العلامة الخاصة التى ينبغى على اليهود أن يضعوها على ملابسهم. وقد ورد فى هذا الأمر "على كل يهودى أن يضع على صدره، على ردائه العلوى، وفى أى مكان سواء كان مترجلا أو راكبا، وسواء كان بالمدينة أو خارجها، ما هو على صورة لوحين باللون الأبيض، مصنوعين من النسيج أو الورق المقوى". ومرة أخرى أمر الملك ادوارد الأول، فى السنة الثالثة لملكه، وهى سنة ١٢٧٥م، بأن "كل واحد منهم ممن بلغ السبعين من عمره، عليه أن يضع على رادئه العلوى رمزا مصنوعا من النسيج الأصفر على صورة لوحين، طوله ستة أصابع وعرضه ثلاثة أصابع".

ومعنى ما تقدم أن استخدام لوحى العهد كرمز لليهودية كان معتادا لدى المسيحيين قبل أن يشيع بين اليهود أنفسهم ببضع مئات االسنين ، وقد كان لهذا الأمر سببين: السبب الأول، هو أن التقاليد الإسرائيلية لم يكن لديها ميل لأن ترى فى الألواح وفى الوصايا خلاصة ورمز العقيدة الإسرائيلية، والسبب الثانى، وهو الأهم بالفعل، هو إنه لم تكن هناك على الإطلاق بين اليهود حاجة داخلية ملموسة لصورة معينة أو لشئ معين، يستخدمونه رمزا لهم.

وقد أشار جودنيف ، فيما يتصل بالعصرين الرومانى واليونانى، وهى العصور التى قام بدراستها، إلى أن الرموز اليهودية لم تستخدم إلا كتقليد للرموز الأجنبية، وفقط مع قيام دولة إسرائيلية ووجودها بين دول العالم أحس اليهود بالحاجة إلى رمز "المنوراه" (الشمعدان ذو السبع أفرع) ليكون رمزا مقابل رموز الدول الأخرى فى الوثائق الرسمية وفى المبانى الحكومية، كما أن علم الدولة لم ينشأ إلا لأن لكل دولة علم خاص بها.

وهنا نجد أن الرمز الذى تم التعبير عنه فى تمثال ستراسبورج هو رمز ذو مغزى، لأن المثال رمز للمسيحية بالصليب والكأس، وعندما أراد أن يرمز لليهودية لم يجد ما يعبر عنها به إلا ألواح العهد.

ومع تأثير الفن الإيطالى، على كل سائر دول أوروبا، أثرت كذلك صور المعابد الإيطالية على تلك التى فى سائر أرجاء التواجد اليهودى فى العالم، ووصل إليها كذلك رمز اللوحين، إلى أن إنتشر فى سائر أرجاء العالم اليهودى، حيث وجد فى المعبد السفاردى فى لندن والذى يعود إلى عام ١٧٠١م، وفى معابد خشبية فى شرق أوروبا كذلك(١٢).

ومرة أخرى، نجد أن الدافع لاستخدام الرموز الدينية عند اليهود قد جاء بتأثير البيئة الحضارية التى عاش فيها اليهود، وكذلك بتأثير صورة المعابد والأدوات المقدسه فيها، والتى طغت عليها الفخامة والثراء بصورة مبالغ فيها. ويمكن أن نرى فى هذا الاتجاه بين اليهود بشأن الألواح كرمز لليهودية، بسبب قدسية مكانة الوصايا ومضمونها المرتبط بقدسية التوراة، عوامل أخرى هى:

١ - أن رمز الأواح يبرز اليهودية كدين، وكان الأمر مرغوب فيه بصفة خاصة فى أوقات وفى أماكن معينة من أماكن تواجد اليهود، عندما بدأ العنصر القومى فى اليهودية فى التلاشى أو تحوله إلى عنصر ثانوى.

٢ - أن رمز الألواح يبرز جانبا فكريا أخلاقا لدين إسرائيل تعترف به الأمم المسيحية وتقدسه، وذلك على عكس الجانب التشريعى الذى وجدت فيه أمم العالم مجالا للمعارضة والسخرية.

٣ - أن الألواح تذكر اليهود بموقف رائع للوحى إلهى للشعب الإسرائيلى كله، وهى الذكرى التى من شأنها رفع الروح المعنوية لليهود(١٣).

الفصـــل الثانــى
الوصـايا العشــر فى الإســلام

إذا أخذنا كلمة الإسلام بمعناها القرآني نجد أن الإسلام في لغة القرآن ليس إسما لدين خاص، وإنما هو إسم للدين المشترك الذى هتف به كل الأنبياء وإنتسب إليه كل أتباع الأنبياء، وهكذا نرى نوحا يقول لقومه: "وأمرت أن أكون من المسلمين" (يونس٧٢)، ويعقوب يوصى بنيه: "فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون" (البقرة١٣٢)، وأبناء يعقوب يجيبون أباهم: "نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون" (البقرة٢٣٣)، وموسى يقول لقومه: "يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين"(يونس٨٤) والحواريون يقولون لعيسى: "آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون"(آل عمران٥٢)، بل أن فريقا من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن: "قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين"(القصص٥٣). إذن فالإسلام هو شعار عام في القرآن يدور على ألسنة الأنبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية حتى النبوة المحمدية. وعندما جاء الإسلام على يد خاتم الأنبياء بين الله أنه لم يشرع لهم دينا جديدا: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه"(الشورى١٣). فالقرآن يعلمنا أن كل رسول يرسل، وكل كتاب ينزل، قد جاء مصدقا ومؤكدا لما قبله، فالإنجيل مصدق ومؤيد للتوراة، والقرآن مصدق ومؤيد للإنجيل والتوراة ولكل ما بين يديه من الكتب(المائدة٤٦-٤٨)، وقد أخذ الله الميثاق على كل نبى إذا جاءه رسول مصدق لما معه أن يؤمن به وينصره (آل عمران١٤١).

وهنا نطرح السؤال التالي: هل الكتب المتأخرة هى تجديد للمتقدمة وتذكير بها، فلا تبدل فيها معنى، ولا تغير حكما؟ والإجابة على هذا السؤال هى أن الواقع ليس كذلك، فقد جاء الإنجيل بتعديل بعض أحكام التوراة إذ أعلن عيسى أنه جاء ليحل لبنى إسرائيل بعض الذى حرم عليهم (آل عمران٥٠)، وجاء القرآن كذلك بتعديل أحكام الإنجيل والتوراة إذ أعلن أن محمدا جاء ليحلل

للناس كل الطيبات، ويحرم عليهم كل الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم(الأعراف١٥٧).

ولكن يجب ألا يفهم أن هذا وذاك لم يكن من المتأخر نقضا للمتقدم، ولا إنكار لحكمة أحكامه فى إبانها، وإنما كان وقوفا بها عند وقتها المناسب وأجلها المقدر. وتصديق الكتب لبعضها يسير على ضربين: تصديق القديم مع الأذن ببقائه واستمراره، وتصديق له مع ابقائه فى ظروفه الماضية، ذلك أن الشرائع السماوية تحتوى على نوعين من التشريعات: تشريعات خالدة، لا تتبدل بتبدل الأصقاع والأوضاع مثل الوصايا العشر ونحوها، فإذا فرض أن أهل شريعة سابقة تناسوا هذا الضرب من التشريع جاءت الشريعة اللاحقة بمثله أى أعادت مضمونه تذكيرا وتأكيدا له، وتشريعات موقوته بآجال طويلة أو قصيرة فهذه تنتهى بإنتهاء وقتها وتجئ بعد أن طال الأمد على هذه الشرائع فنالها شئ من التطور والتحرر[١٥].

وتعتبر الوصايا العشر من بين تلك التشريعات الخالدة التى لا تتبدل بتبدل الواقع التاريخى أو الجغرافى للأديان لأنها تتضمن قواعد تتصل بالعبادة والأخلاق لا خلاف حولها فى إطار المضمون الشامل للإسلام الذى هو توجه إلى الله رب العالمين فى خضوع خالص لا يشوبه شرك وقواعد أخلاقية تحافظ على العلاقة المثلى بين المؤمنين.

وإذا كانت الوصايا العشر تتعلق أساسا بالأحكام المتعلقة بعبادة الإله الواحد وبقواعد الأخلاق. فإن الأحكام المتعلقة بالأخلاق من بين هذه الوصايا عبارة عن سبعة ليس فيها إلا أصل واحد إيجابى، وهو الأمر بطاعة الوالدين والبر بهما، أما الستة الأخرى، فكلها سلبية وهى النواهى: لا تقتل، لا تسرق، لا تزن، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك....

وقد سأل يهودى رسول الله (صلعم) عن المقصود بقوله تعالى "ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات".(الإسراء١٠١) فقال: "لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق، ولا تسحروا، ولاتأكلوا الربا، ولا تمشوا ببرئ لدى سلطان ليقتله، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفروا من الزحف، وعليكم خاصة اليهود ألا تعدوا فى السبت" فقبل اليهودى يده ورجله.(١٦)

وكما عرفنا فإن المسيحية قد رددت هذه النواهى كما هى فى التوراة، أما الإسلام فقد جاء بأحكام كثيرة فى المعاشرة، وبقوانين مفصلة فى المعاملات، وأفاض فيما كان نهرا حتى جعل منه بحرا. ففى الليلة التى أسرى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم، أعطى الله المسلمين إثنى عشر حكما أساسيا منها واحد فى التوحيد، وكلها مذكورة فى سورة الإسراء (٢٢-٣٩)، وفيها ستة إيجابية تسمى أوامر، وخمسة سلبية تسمى النواهى:

"لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا، وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وبالوالدين إحسانا: أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهم أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا. ربكم أعلم بما فى نفوسكم: أن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا. وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا. وأما تعرضن عنهم إبتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا، إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا. ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم، إن قتلهم كان خطئا كبيرا. ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا. ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا. ولا

تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن وزنوا بالقسطاس المستقيم، ذلك خير وأحسن تأويلا. ولا تمشى فى الأرض مرحا، إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا. كل ذلك كان سيئا عند ربك مكروها. ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة".

وهنا نجد أن الوصايا التى وردت فى هذه الآيات الكريمة عبارة عن ستة أمور إيجابية وهى:

١ - "لا تجعل مع الله إلها آخر، وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه" الوصية الأولى

٢ - (وبالوالدين إحسانا) (وآت ذا القربى حقه) الوصية الخامسه (أكرم أباك وأمك)

٣ - "الإحسان إلى اليتامى" الوصية التاسعة + الوصية العاشرة (لا تشته بيت قريبك...)

٤ - ٥ "وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم" (الوصية الثامنة "لا تسرق")

٦ - الوفاء بالوعد.

كما تشتمل على خمسة أمور أخرى سلبية هى النواهى:

١ - "ولا تقتلوا أولادكم"
٢ - "ولا تقتلوا النفس" — الوصية السادسة (لا تقتل)

٣ - ولا تقربوا الزنا" — الوصية السابعة (لا تزن)

٤ - "لا تقف ماليس لك به علم" — الوصية التاسعة (لا تشهد شهادة زور).

٥ - "لا تبذر فى النفقة واقتصد فيها".

وقد وردت الوصايا العشر مرة أخرى فى القرآن الكريم فى سورة الأنعام (١٥١-١٥٢): "قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم. ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا. ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم. ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن. ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده. وأوفوا الكيل والميزان بالقسط. لا نكلف نفسا إلا وسعها، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون".

والوصايا الإسلامية هنا تأتى على ضوء مقدمة الآية ١٥١: "قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم"، أى قراءة الآيات المشتملة على الأشياء المحرمة واشتمالها عليها، وتضمنها إياها، وإرشادها اليها. وللآيات فى هذا الإرشاد طريقان:

أ - ذكر المحرك نفسه مقترنا بأداة النهى والتحريم، حيث يكون الضرر مترتبا على فعله، وهى خمس نواهى:

١ - الشرك بالله (الوصية الأولى)

٢ - قتل النفس التى حرم إلا بالحق (الوصية السادسة)

٣ - قتل الأولاد من إملاق (الوصية السادسة)

٤ - قربان الفواحش ما ظهر منها وما بطن (الوصية السابعة)

٥ - قربان مال اليتيم (الوصية التاسعة والعاشرة).

ب - أن يذكر المحرم بذكر مقابله وهو الذى يترتب الخير على فعله وهى خمس أوامر:

١ - الإحسان إلى الوالدين (الوصية الخامسة)

٢ - إيفاء الكيل والميزان (الوصية الثامنة)

٣ - العدل فى الأقوال (الوصية التاسعة)

٤ - الوفاء بالعهود

٥ - إتباع الصراط المستقيم (١٧)

وتحتوى أولى السور المدنية وهى سورة البقرة فى الآيتين ٨٣-٨٤ منها على فحوى بعض الوصايا بالترتيب الآتى (١-٤-٨-٥-٩):

"وإذا أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآت الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون. وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون".

وفى الآية ١٢ من سورة الممتحنة، وهى من السور المتأخرة نجد الوصايا (١-٧-٦-٥-٨) موضوعة جنبا إلى جنب:

"يأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن وأستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم".

وفى سورة الفرقان الآية ٦٨: "والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله بالحق ولا يزنون.." حيث نجد الوصايا (١-٥-٦).

وهكذا نجد أن آيات القرآن الكريم قد أجملت فى كلمات قليلة وأسلوب محكم جميع الوصايا العشر مكملة ما كان ناقصا فى الرسالات السابقة، معتنية بحل معضلات المجتمع البشرى فى الأخلاق. وقد إستثنت آيات القرآن الكريم من الوصايا العشر اليهودية الوصايا التالية:

١ - الوصية التى تحرم رسم الصور ونحت التماثيل لأن الإسلام يرى فى ذلك هويا إلى درك عبادة الأصنام، ولذلك لم يرد هذا التحريم فى وصية مستقلة لأن ذلك يفهم ضمنا من تحريم الشرك بالله، وإنما حرمت صناعة

التماثيل عند اليهود، لأن المرء - فى عرفهم - قد يلحقه الأذى من فعل السحر بواسطة تمثاله.

٢ - الوصية التى تحظر التفوه باسم الله، لأن العرب لم يكونوا يعتقدون أن إسم الله سريا، ولم يكونوا - كاليهود - يرهبون النطق باسم الله.

٣ - الوصية التى تدعو إلى تقديس يوم السبت وحفظ حرمته بالإمساك عن العمل، وذلك لأن الكتابيين كانوا على خلاف فى تسمية اليوم الذى يسبتون فيه فلليهود السبت وللنصارى الأحد، من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن القرآن أبدى نفورا من فكرة أن الله إستراح بعد أن أتم خلق العالم، هذا بالإضافة إلى أن حياة العرب لا يلائمها الإنقطاع التام عن العمل يوما كاملا، فاختار القرآن يوم الجمعة ليحتشد الناس فيه للصلاة الجامعة، وأوصى بأن يخف القوم عقب أدائها إلى مزاولة أعمالهم منتشرين فى الأرض مبتغين من فضل الله: "فإذا قضيت الصلاة فإنتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون" (سورة الجمعة١٠).

وفى مقابلها فإن الوصايا العشر القرآنية قد إشتملت على وصايا لم ترد فى الوصايا العشر اليهودية وهى:

١ - الوفاء بالوعد.

٢ - عدم التبذير فى النفقة.

٣ - التواضع وعدم الإحساس بالخيلاء والزهو الفارغ.

قائمة مراجع الباب الثانى

(١) ترد الإشارة إلى الغنى على أنه شاب فى متى١٩ . ٢٢، ففى هذا الموضع يقول الغنى إستنادا إلى لوقا ومرقص "كلها حفظتها منذ حداثتى"، والرواية الأخيرة تبدو أصح.

(٢) الجملة الأخيرة مأخوذة من لوقا ومن مرقص. وحسب ما ورد فى متى١٩: ١٧-١٨ يقول يسوع المسيح: "إن اردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا"، ويقول له الغنى "أى الوصايا"، ويقول له يسوع....الخ.

(٣) يورد لوقا الوصيتين فى ترتيب عكسى، وفقا للرواية اليونانية: لا تزن. لا تقتل.

(٤) تظهر فى الأناجيل الكلمة اليونانية الأولى من الوصية فى سفر الخروج ٢٠: ٢٢، وفى موعظة الجبل(متى٥: ٣٣) تظهر كلمة يونانية أخرى "لا تحلف باطلا" (لا تحنث)، كذلك فإن مرقص١٠: ١٩ يضيف هنا: "لا تسلب".

(٥) بلوس. دافيد: الوصايا العشر و"العهد الجديد" (عسيريت هادبروت فيها بريت هاحداشا)، مقال فى كتاب "الكلمات العشر فى مرآة الاجيال"، م.س.ذ، ص١٦٥-١٧٥.

(٦) إبن تيميه: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ص١٢٣.

(٧) ناصف. عصام الدين حفنى: اليهودية، ص٢٧٧.

(٨) تسرفتى. جاد بن عمى: م.س.ذ، ص٣٧٨-٣٧٩.

(٩) نفس المرجع، ص٣٥٩.

(١٠) دائرة المعارف الإيطالية، مادة "بيبل"، ص٩٢٠، نقلا عن كتاب "الكلمات العشر فى مرآة الأجيال" (م.س.ذ).

(١١) نفس المرجع، ٣٥٩-٣٦٣.

(١٢) نفس المرجع، ٣٦٦-٣٧٥.

(١٣) نفس المرجع، ٣٨٦-٣٨٧.

(١٤) دراز. محمد عبدالله (دكتور): الدين - بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، الكويت، ص١٩٨٢، ص١٧٥-١٨١.

(١٥) نفس المرجع.

(١٦) النجار. عبدالوهاب: قصص الأنبياء، مكتبة رحاب، الجزائر، ص١٩٨.

(١٧) راجع: شلتوت. محمود (الشيخ): تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى) دار الشروق، الطبعة العاشرة، ١٩٨٣، ص٣٩٩-٤٤٦.

قائمة مراجع الباب الثانى

(١) ترد الإشارة إلى الغنى على أنه شاب فى متى١٩ . ٢٢، ففى هذا الموضع يقول الغنى إستنادا إلى لوقا ومرقص "كلها حفظتها منذ حداثتى"، والرواية الأخيرة تبدو أصح.

(٢) الجملة الأخيرة مأخوذة من لوقا ومن مرقص. وحسب ما ورد فى متى١٩:١٧-١٨ يقول يسوع المسيح: "إن اردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا"، ويقول له الغنى "أى الوصايا"، ويقول له يسوع....الخ.

(٣) يورد لوقا الوصيتين فى ترتيب عكسى، وفقا للرواية اليونانية: لا تزن. لا تقتل.

(٤) تظهر فى الأناجيل الكلمة اليونانية الأولى من الوصية فى سفر الخروج ٢٠:٢٢، وفى موعظة الجبل(متى٥:٣٣) تظهر كلمة يونانية أخرى "لا تحلف باطلا" (لا تحنث)، كذلك فإن مرقص١٠:١٩ يضيف هنا: "لا تسلب".

(٥) بلوس. دافيد: الوصايا العشر و"العهد الجديد" (عسيريت هادبروت فيها بريت هاحداشا)، مقال فى كتاب "الكلمات العشر فى مرآة الاجيال"، م.س.ذ، ص١٦٥-١٧٥ .

(٦) إبن تيميه: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ص١٢٣ .

(٧) ناصف. عصام الدين حفنى: اليهودية، ص٢٧٧ .

(٨) تسرفتى. جاد بن عمى: م.س.ذ، ص٢٧٨-٣٧٩.

(٩) نفس المرجع، ص٣٥٩.

(١٠) دائرة المعارف الإيطالية، مادة "بيبل"، ص٩٢٠، نقلا عن كتاب "الكلمات العشر فى مرآة الأجيال" (م.س.ذ).

(١١) نفس المرجع، ٣٥٩-٣٦٣.

(١٢) نفس المرجع، ٣٦٦-٣٧٥.

(١٣) نفس المرجع، ٣٨٦-٣٨٧.

(١٤) دراز. محمد عبدالله (دكتور): الدين - بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، الكويت، ص١٩٨٢، ص١٧٥-١٨١.

(١٥) نفس المرجع.

(١٦) النجار. عبدالوهاب: قصص الأنبياء، مكتبة رحاب، الجزائر، ص١٩٨.

(١٧) راجع: شلتوت. محمود (الشيخ): تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى) دار الشروق، الطبعة العاشرة، ١٩٨٣، ص٣٩٩-٤٤٦.

الوصية الأولى :

"أنا الرب الهك الذى أخـرجك من أرض مـصـر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى". وهذه الوصية ترد، كما ذكرنا من قبل، على صيغة واحدة فى كل من سفرى الخروج والتثنية. وكما هو شائع، فإن مضمون الوصية هو "لا يكن لك آلهة أخرى أمامى". أما المقدمة "أنا الرب الهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية"، فإن البعض أمثال فيلون ويوسيفوس لا يعتبرانها من مضمون الوصية، بينما يعتبرها السامريون وكذلك معظم المسيحيين من مضمون الوصية الأولى(١).

ونلاحظ فى هذه الصيغة أن التوجه بالخطاب جاء على صيغة المفرد: "أنا الرب إلهك"، وليس: "أنا الرب إلهكم"، مما يعكس إنعزالية عقيدية تجعل من الرب إلها خاصا ببنى اسرائيل، وكذلك ايضا لئلا يقول الرب أن فرائض الدين ملزم بها بنى اسرائيل كلهم، أو كل من يؤمن باليهودية. وقد فسر حكماء اليهود هذه الصيغة بقولهم : أن على الإنسان أن يعتبر العالم بسكانه نصفهم أبرارا ونصفهم أشرارا، كما أن على الفرد أن يعتبر أيضا نفسه نصف شرير ونصف بار، فبعمل خير واحد يرجح كفة الخير عنه وعن العالم كله، وبعمل شر واحد يرجح كفة الشر لنفسه وللعالم كله. ولهذه الصيغة نظائر كثيرة فى مخاطبة موسى لبنى اسرائيل. ففى سفر التثنية١١:٢٦، يخاطب موسى الجمع من بنى اسرائيل قائلا: "أنظر أنا وأضع أمامكم اليوم البركة واللعنه"، وكأنما يقول لهم أنظر وانتبه، أيها الفرد، إلى أن عملك الفردى هذا يمكنه أن يجلب عليك وعلى العالم البركة أو عكسها، لأنه يرجح الكفة للخير أو للشر.(٢)

كذلك فإنه فى صيغة هذه المقدمة للوصية الأولى، نلاحظ أن أكثر ما يميز الرب حسب التصور اليهودى هو مساهمته فى التاريخ اليهودى، فهو يعرف نفسه بإنه الرب "الذى أخرجك من أرض مصر أرض العبودية"، أى أن مقدمة الوصايا العشر ترسخ فى الوجدان اليهودى الاحساس بالعلاقة الخاصة بين

اسرائيل والرب. إن الرب فى هذه المقدمة لا يصف نفسه مثلا بإنه خالق الكون كله، بل يصف نفسه بأنه هو الذى أخرج بنى اسرائيل من أرض مصر ومن بيت العبودية، ويفسر هذا بأن الله يوضح نفسه لا على أنه السبب أو الباعث الرئيسى الفاصل الذى يقول به "الميتافيزيقيين"، بل على إنه هو الذى قام بعناية خاصة لشعب إسرائيل، وإن هذه الصيغة تعنى إنه مقابل تحرير بنى اسرائيل من نير مصر يطلب يهوه منهم ألا يعبدوا آلهة أخرى سواه، من تلك الآلهة التى لا ينكر وجودها معه.

وبالإضافة إلى ذلك فإن يهوه على هذا النحو أيضا يتدخل فى التاريخ لصالح اليهود، ضد الشعوب التى اضطهدتهم، وفق الرواية التوراتيه، وهو ما يعمق لدى اليهود خاصية الاحساس بالعداء والكراهية تجاه "الاغيار" (المصريون فى هذه الحالة)، وهى الكراهية التى انسحبت بعد ذلك على« سائر "الأغيار" أى على كل شعوب العالم الكافرة فى نظر اليهود، والذين يسمونهم "الجوييم".

ويرى المفسرون اليهود أن الوصية الأولى، هى وصية الأمر بالإيمان بالرب، وتنطوى على كشف عن ماهية الرب بالكيفية التى يمكن أن يدركها البشر؛ فالصفة الواردة هنا للرب هى صفة يمكن لبنى إسرائيل أن يدركوا بها كنه الإله الخفى - الذى لا يمكن إدراكه بالحواس ولا يمكن معرفته بطريقة مادية، وهذه الصفة ليست منطوية هنا على النار والسحاب والأصوات، بل على إخراج بنى اسرائيل من مصر. وبالإضافة إلى ذلك فإن مصر هذه لم تكن مجرد أرض إقامة لبنى اسرائيل، بل كانت "بيت العبودية"(٣)، مما يضفى على الرب كذلك صفة أخرى بالنسبة لبنى اسرائيل، وهى أنه رحيم، لأنه أخرجهم من بيت العبودية، بسطوته وقوته وهو يكون بذلك قد أسدى اليهم جميلا وأنعم عليه من فضله، وهو بذلك يستحق أو يجدر أن يكون إلههم، ليس لأنه خالق السموات والأرض، بل لإنه إله عظيم وقادر على أن يفعل ما يشاء فى الكون. ومن هنا

فإنه لهذا السبب، هو إله بنى اسرائيل ويجب عليهم أن يعترفوا به وأن يقبلوا به إلها لهم لأنه أظهر لهم قوته وأحسن تجاههم.

وهذا المنطق الذى يتبعه إله بنى إسرائيل ليبنى أحقيته فى أن يكون إلها وحيدا لهم، يتردد عشرات المرات عبر التوراة، ونذكر منها، على سبيل المثال، النماذج التاليه:

- "أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين، وأنا حملتكم على أجنحة النسور، وجئت بكم" (الخروج١٩:٤).
- "وقال موسى للشعب، اذكروا هذا اليوم الذى فيه خرجتم من مصر من بيت العبودية" (الخروج١٣:٢).
- "ويكون متى سألك ابنك غدا قائلا ما هذا تقول له بيد قوية أخرجنا الرب من مصر من بيت العبودية" (الخروج١٣:١٤).
- "أنا الرب الهكم الذى أخرجكم من أرض مصر من كونكم عبيدا وقطع قيود نيركم وسيركم قياما" (اللاويين٢٦:١٣).
- "واذكر أنك كنت عبدا فى أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة" (التثنية٥:١٥).
- "فاحترز لئلا تنسى الرب الذى أخرجك من مصر من بيت العبودية" (التثنية٦:١٣).
- "وقال الرب ليشوع اليوم قد دحرجت عنكم عار مصر، فدعى إسم ذلك المكان الجلجال إلى هذا اليوم" (يشوع٥:٩).
- "إنى قد أصعدتكم من مصر وأخرجتكم من بيت العبودية، وأنقذتكم من يد المصريين ومن يد جميع مضايقيكم وطردتهم من أمامكم وأعطيتكم أرضهم وقلت لكم أنا الرب إلهكم. لا تخافوا آلهة الاموريين الذين أنتم ساكنون فى

أرضهم، ولم تسمعوا لصوتى" (القضاة ٦:٨-١٠).

- "أنا الرب إلهك الذى أصعدك من أرض مصر" (المزامير٨١:١٠).

وإذا تأملنا هذه النماذج، لرأينا أن ذكر إخراج الرب لبنى اسرائيل من مصر يأتى دائما كتبرير لما يريد الرب أن يوجه بنى اسرائيل اليه وهو عبادته وحده كإله وحيد لا شريك له: "فاحترز لئلا تنسى الرب" (التثنية ٦-١٣)، و"لا تخافوا الهة الاموريين الذين أنتم ساكنون فى أرضهم" (القضاة٦:١٠)، لأنه هو الرب الذى "أخرجهم" و"انقذهم": "انى قد اصعدتكم من مصر وأخرجتكم من بيت العبودية. وأنقذتكم من يد المصريين". (القضاة٦:٨). وهذا التقابل بين "الرب" و"المنقذ" تقرأه بوضوح، مرة أخرى، فى سفر هوشع: " وأنا الرب الهك أخرجك من أرض مصر. والها سواى لست تعرف ولا منقذ غيرى" (هوشع١٣:٤).

وقد طرح المفسرون اليهود، بخصوص تفسير هذه الوصية، تساؤلا هو: "لماذا لم ترد الوصايا العشر فى بداية التوراة؟ "وقد ضربوا مثلا بشأن هذا الأمر، فقالوا: إن هذا الأمر يشبه إنسانا دخل الى دولة، وقال لهم، ساكون ملكا عليكم ؛ فقالوا له، هل صنعت لنا شيئا طيبا يجعلك تكون ملكا علينا. فماذا فعل؟ بنى لهم السور، وأدخل لهم المياه، وخاض حروبهم، ثم قال لهم : أأكون ملكا عليكم، فقالوا له: نعم. ونفس الأمر هنا فقد أخرج الرب بنى اسرائيل من مصر، وشق لهم البحر، وأنزل لهم المن، وأصعد لهم البئر، وخاض لهم حروب عماليق. وقال لهم أأملك عليكم، فقالوا له: نعم.

وحيث إنه أخرج بنى اسرائيل من بيت العبودية وأصبح لهم إلها، فإنه يأمرهم قائلا: "لا يكن لك آلهة أخرى أمامى" (٤).

ولكن فكرة التوحيد فى هذه الوصية لا تصل الى درجة الكمال، حيث تعترف ضمنا بوجود آلهة أخرى" لا يكن لك آلهة أخرى أمامى". وتدل هذه الفقرة على أن هذه الوصية لم تكتب فى عصر موسى - عليه السلام - حيث

بجدوى القسم الذى أقسمه كل منهما.

وحيث أن تلك الأسباط كانت جوالة، فإن آلهتها لم تكن آلهة مرتبطة بإقليم معين، وذلك على عكس آلهة السكان المستقرون الكنعانيون. إن إله الجماعة كان يرافقها ويوجه خطواتها ويدافع عنها فى تحركاتها، ويعطيها أوامر الحركة، على غرار ذلك الأمر الذى أعطى لإبراهيم : "إذهب من أرضك ومن وطنك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك" (التكوين ١٢ : ١) أى أن "إله الأب مرتبط إرتباطا عميقا بتاريخ الجماعة ويوجهها". وهنا تتضح سمة مميزة للإله الإسرائيلى فى المستقبل، تجعله متناقضا مع الآلهة الإقليمية. إنه إله مرتبط بالزمان، وبالحركة، وبالتغيير، إله يحدد التاريخ ويفسر عن طريق التاريخ. "وحينما إتصلت بيوت الأب المتحركة بالسكان المستقرين، استخدموا أماكن العبادة الخاصة بهم وعبدوا آلهتهم المحلية، دون أن يتخلو عن إله آبائهم بإعتباره موجههم وحاميهم. وقد أدت عملية الاستيطان الدائم إلى التمركز الدينى وإلى إعطاء إسم شخصى لإله الآباء". وفى كنعان، إلتقى الجوالون الإسرائيليون القدامى بالإله الرئيسى للساميين الغربيين "إيل" الذى كانوا يعبدونه فى أماكن مختلفة تحت أسماء مختلفة مثل "إيل شداى"، و "إيل عليون" (الإله الأعلى)، و "إيل حى روئى" (الإله الحى الذى تراءى)، و "إيل بريت" (إله العهد)، و "إيل عولام" (الإله الأبدى). والإله إيل، الذى يظهر فى الوثائق الأجوراتية أيضا باسم "شورايل"، كان هو سيد الخلق، وخالق العالم، ولكنه لا يتدخل فى التاريخ الإنسانى. إنه إله ملك، وهو أيضا أبو كل الآلهة (ومن هنا، جاءت صورة الإله خالق العالم الذى يقرر قرارا بلغة الجمع، فى مجلس الآلهة، كما ورد فى الإصحاح الأول من سفر التكون، والإله الذى يجلس فى رفقة أبناء الإله ويتحدث مع الشيطان فى سفر أيوب، والإله الذى يتزوج أبناءه فى سفر التكوين بنات الإنسان وينجب منهن الأبطال المعروفون منذ القدم، على غرار أبطال اليونانيين الذين يولدون من تزاوج الآلهة مع بنات الموت). وإله بئر سبع هو "إله أبدى"، يدعوه إبراهيم

بإسمه هناك، ويغرس أيضا شجرة طرفاء تكريما له، وهو طقس وثنى واضح (التكوين الإصحاح ٢١:٣٣). إن بئر سبع مرتبطة إرتباطا وثيقا بتقاليد إبراهيم، حيث يتجلى هناك أيضا الإله لاسحق كإله أبيه إبراهيم (التكوين ٢٦:٢٣-٢٥) ويعقوب كإله آبائه (التكوين ٤٦:١-٣). إذن فالتقاليد التى تربط الآباء بمراكز العبادة الأربعة (بئر سبع، ونابلس، وبيت إيل وممرا) هى أقدم بكثير.

إن الآباء يعرضون فى هذه القصص القرائية بإعتبارهم مؤسسى المراكز العبادية، ولكن هذه المراكز كانت فى حقيقة الأمر مراكز عبادة كنعانية قديمة إكتسف فيها الآباء عبادة الإله الأكبر إيل. والقصص التى تزعم أن الآباء أسسوا مراكز العبادة معناها الحقيقى هو أن الآباء تبنوها وأن الإله البطريقى للأب، الإله الخاص لجماعات الجوالين، قد إمتزج مع إله السكان المستقرين الذين إتصل بهم الجوالون. إن تبنى مفهوم :الإله القادر على كل شئ"، "الكونى" قد وسع مفهوم الإلوهية لدرجة تطبيقه على العالم كله، وليس فقط على العشيرة أو بيت الأب.

إن يهوه الأساس الثالث فى الإمتزاج الذى نتج من خلاله الإله الإسرائيلى، هو إله من سيناء، إله جبال "إله جبال إلههم" (الملوك الأول ٢٠:٢٣)، وإله صحراوى. وهو إله مرتبط بجبل حوريب، ذلك المكان الأسطورى لإعطاء الشريعة، كما أن إلياهو النبى هرب إلى سيناء إلى "جبل الرب حوريب" من الملكة إيزابيل، وهناك أيضا يظهر له يهوه (مضت فترة زمنية طويلة إلى أن بدأ مركز الإله يرتبط فى وعى الشعب بأورشليم وهيكلها) . وهو إله له علاقة خاصة بموسى، زعيم جماعات الأسباط الإسرائلية، وفقا للتقاليد، حسبما توجد لإله الآباء علاقة خاصة بالآباء. ولكن سمته الخاصة المميزة، هى حسبما يبدو، كونه إله الحرب الخاص بتلك الجماعة من الأسباط. إن حقيقة أن إله إسرائيل هو إله مركب، أى خليط من عدة آلهة ، قد تجلت فى صيغة " أنا إله أبيك إبراهيم إله إسحاق وإله يعقوب " (الخروج ٣ : ٦) ، التى يضيف إليها الإله فى العليقة

بجدوى القسم الذى أقسمه كل منهما.

وحيث أن تلك الأسباط كانت جوالة، فإن آلهتها لم تكن آلهة مرتبطة بإقليم معين، وذلك على عكس آلهة السكان المستقرون الكنعانيون. إن إله الجماعة كان يرافقها ويوجه خطواتها ويدافع عنها فى تحركاتها، ويعطيها أوامر الحركة، على غرار ذلك الأمر الذى أعطى لإبراهيم : "إذهب من أرضك ومن وطنك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك" (التكوين ١٢ : ١) أى أن "إله الأب مرتبط إرتباطا عميقا بتاريخ الجماعة ويوجهها". وهنا تتضح سمة مميزة للإله الإسرائيلى فى المستقبل، تجعله متناقضا مع الآلهة الإقليمية. إنه إله مرتبط بالزمان، وبالحركة، وبالتغيير، إله يحدد التاريخ ويفسر عن طريق التاريخ. "وحينما إتصلت بيوت الأب المتحركة بالسكان المستقرين، استخدموا أماكن العبادة الخاصة بهم وعبدوا ألهتهم المحلية، دون أن يتخلو عن إله أبائهم بإعتباره موجههم وحاميهم. وقد أدت عملية الاستيطان الدائم إلى التمركز الدينى وإلى إعطاء إسم شخصى لإله الآباء". وفى كنعان، إلتقى الجوالون الإسرائيليون القدامى بالإله الرئيسى للساميين الغربيين "إيل" الذى كانوا يعبدونه فى أماكن مختلفة تحت أسماء مختلفة مثل "إيل شداى"، و "إيل عليون" (الإله الأعلى)، و "إيل حى روئى" (الإله الحى الذى تراءى)، و "إيل بريت" (إله العهد)، و "إيل عولام" (الإله الأبدى). والإله إيل، الذى يظهر فى الوثائق الأجوراتية أيضا باسم "شورايل"، كان هو سيد الخلق، وخالق العالم، ولكنه لا يتدخل فى التاريخ الإنسانى. إنه إله ملك، وهو أيضا أبو كل الآلهة (ومن هنا، جاءت صورة الإله خالق العالم الذى يقرر قرارا بلغة الجمع، فى مجلس الآلهة، كما ورد فى الإصحاح الأول من سفر التكون، والإله الذى يجلس فى رفقة أبناء الإله ويتحدث مع الشيطان فى سفر أيوب، والإله الذى يتزوج أبناءه فى سفر التكوين بنات الإنسان وينجب منهن الأبطال المعروفون منذ القدم، على غرار أبطال اليونانيين الذين يولدون من تزاوج الآلهة مع بنات الموت). وإله بئر سبع هو "إله أبدى"، يدعوه إبراهيم

بإسمه هناك، ويغرس أيضا شجرة طرفاء تكريما له، وهو طقس وثني واضح (التكوين الإصحاح ٢١:٣٢). إن بئر سبع مرتبطة إرتباطا وثيقا بتقاليد إبراهيم، حيث يتجلى هناك أيضا الإله لاسحق كإله أبيه إبراهيم (التكوين ٢٦:٢٣-٢٥) ويعقوب كإله آبائه (التكوين ٤٦:١-٣). إذن فالتقاليد التى تربط الآباء بمراكز العبادة الأربعة (بئر سبع، ونابلس، وبيت إيل وممرا) هى أقدم بكثير.

إن الآباء يعرضون فى هذه القصص القرآنية بإعتبارهم مؤسسى المراكز العبادية، ولكن هذه المراكز كانت فى حقيقة الأمر مراكز عبادة كنعانية قديمة إكتسف فيها الآباء عبادة الإله الأكبر إيل. والقصص التى تزعم أن الآباء أسسوا مراكز العبادة معناها الحقيقى هو أن الآباء تبنوها وأن الإله البطريقى للأب، الإله الخاص لجماعات الجوالين، قد إمتزج مع إله السكان المستقرين الذين إتصل بهم الجوالون. إن تبنى مفهوم :الإله القادر على كل شئ، "الكونى" قد وسع مفهوم الإلوهية لدرجة تطبيقه على العالم كله، وليس فقط على العشيرة أو بيت الأب.

إن يهوه الأساس الثالث فى الإمتزاج الذى نتج من خلاله الإله الإسرائيلى، هو إله من سيناء، إله جبال "إله جبال إلههم" (الملوك الأول ٢٠:٢٣)، وإله صحراوى. وهو إله مرتبط بجبل حوريب، ذلك المكان الأسطورى لإعطاء الشريعة، كما أن إلياهو النبى هرب إلى سيناء إلى "جبل الرب حوريب" من الملكة إيزابيل، وهناك أيضا يظهر له يهوه (مضت فترة زمنية طويلة إلى أن بدأ مركز الإله يرتبط فى وعى الشعب بأورشليم وهيكلها) . وهو إله له علاقة خاصة بموسى، زعيم جماعات الأسباط الإسرائلية، وفقا للتقاليد، حسبما توجد لإله الآباء علاقة خاصة بالآباء. ولكن سمته الخاصة المميزة، هى حسبما يبدو، كونه إله الحرب الخاص بتلك الجماعة من الأسباط. إن حقيقة أن إله إسرائيل هو إله مركب، أى خليط من عدة آلهة ، قد تجلت فى صيغة " أنا إله أبيك إبراهيم إله إسحاق وإله يعقوب " (الخروج ٣ : ٦) ، التى يضيف إليها الإله فى العليقة

المحترقة إسمه "يهوه"، وهو إسم لم يكن معروفا به حتى ذلك الحين، أى أنه إله آخر بالإضافة إلى تلك الآلهة الأخرى المذكورة.

ويبدو أن الخطوة الخاسمة فى تحول يهوه إلى إله قومى كانت حقيقة أن المملكة الموحدة والأمة تبلورت فى حرب لاهوادة فيها، على الأخص ضد القوة الثابتة والمهددة التى شكلها الفلسطينيون، وكان من الطبيعى أن يصبح إله الحرب هو الإله الرئيسى، وليس هذا فحسب، بل أن توحيد العبادة، وكذلك تركيزها، كانتا خطوات حاسمة فى عملية تركيز السلطة. وكانت الخطوة الحاسمة فى عملية تحول يهوه إلى إله مركزى، بعد بدايات تمهيدية فى فترة الملك شاؤول، هى توحيد كل الأسباط تحت ملك داوود، وإقامة العاصمة الجديدة فى أورشليم، وتركيز عبادة يهوه فى أورشليم فى الهيكل فى عصر سليمان مع عملية التركيز السياسى، ووقف (تجوال) تحريك تابوت العهد، وبمرور الأجيال كذلك محاولة إلغاء أى مركز عبادى آخر ليهوه خارج هيكل أورشليم، وإن كانت قد إستمرت العبادات المحلية للبعل وأشيره.

إن الإصلاحات الدينية التى قام بها حزقياهو وبصفة خاصة ياشياهو، والتى كانت موجهة دائما لتقوية المكانة الرئيسية للسلطة المركزية فى الحلف مع الكهنوت الأورشليمى، كانت تنطوى دائما على هدم منصات ثانوية ليهوه كانت تنافس الهيكل الأورشليمى، ولذلك فإنها كانت تعرض دائما بواسطة مسجلى القوائم الكهنوتية لعبادة يهوه على أنها خطيئة بحق الآلهة.

ومعنى هذا، أنه على عكس الاعتقاد السائد بأن الوحدة السياسية للملكة قد تم تحقيقها عن طريق وحدة سبقتها فى العقيدة الدينية التى خلقت وعيا قوميا مشتركا، يبدو أن هناك إستنتاجا عكسيا، وهو أن الوعى القومى الموحد والوحدة الدينية التى تتجلى فى عبادة يهوه قد فرض كل منهما عن طريق السلطة السياسية. وهذا الاعتقاد له سند من القوة كذلك فى ظاهرة الحصانة النسبية لأنبياء يهوه ضد غضب المملكة، حتى حينما بدأت فى التطور، إعتبارا

من الياهو فصاعدا، ظاهرة "الأنبياء الموبخين"، الذين أضفوا على يهوه بعدا أخلاقيا وإنتقدوا النظام الإجتماعي والسلطوى.

وما لبثت فكرة إتخاذ يهوه إله اليهود القومي الأوحد أن تبلورت وأكسبت الديانة اليهودية وحدة وبساطة كانتا سببا فى إنتشالها من فوضى الشرك التى كانت تسود أرض كنعان، ويبدو أن اليهود الفاتحين عمدوا إلى أحد آلهة كنعان(١١)، فصاغوه فى الصورة التى كانوا هم عليها، وجعلوا منه إلها صارما، ذا نزعة حربية، صعب المراس، ثم جعلوا لهذه الصفات حدودا تكاد تبعث الحب فى القلوب. ذلك أن هذا الإله لا يطالب الناس بأن يعتقدوا أنه عالم بكل شئ وشاهد ذلك أنه يطلب الى اليهود أن يميزوا بيوتهم بأن يرشوها بدماء الكباش المضحاه لئلا يهلك أبناءهم على علم منه مع من يهلكهم من أبناء المصريين (١٢). كذلك فهو لا يرى أنه معصوم من الخطأ، ويرى أن أشنع ما وقع فيه من الأخطاء هو خلق الإنسان، ولذلك تراه يندم بعد فوات الفرصة على خلق آدم وعلى إرتضائه أن يكون شاؤول ملكا. وتراه من حين الى حين شرها، غضوبا، متعطشا للدماء، متقلب الأطوار، نزقا نكدا: "أتراءف على من أتراءف، وأرحم من أرحم" (١٣). وهو يرضى عما إستخدمه يعقوب من ختل وخداع فى الانتقام من لابان (١٤)، وهو كثير الكلام، يحب إلقاء الخطب الطوال، وهو حيى لا يسمح للناس أن يروا منه إلا ظهره(١٥)، وقصارى القول أنه لم يكن للأمم القديمة إله آدمى فى كل شئ كإله اليهود يهوه، الذى حاولوا أن ينفوا عنه بعض هذه الصفات: "ليس الله إنسانا فيكذب ولا كبنى البشر فيندم، أتراه يقول ولا يفعل أو تكلم كلاما ولا يتممه" (العدد٢٣:١٩).

ويلوح أنه كان فى بداية الأمر إلها للرعد يسكن الجبال(١٦)، وحول كاتبوا أسفار موسى الخمسة، إله الرعد هذا الى إله للحرب، فأصبح يهوه "إلها للجيوش" يدعو للفتح والاستعمار، ويحارب من أجل شعبه. وفى ذلك يقول موسى: "الرب رجل حرب" (١٧). ويردد داود صدى هذا القول نفسه فيقول:

"الذى يعلم يدى القــتــال" (١٨). ويعـد يهـوه أن "يطرد الحـويين والكنعـانيـين والحيثيين" يطردهم: "قليلا، قليلا"(١٩)، "ويزعج جميع الشعوب الذين تأتى عليهم، وأعطيك جميع اعدائك مدبرين"، ويقول أن الأرض التى فتحـها اليـهـود ملك له وحده"(٢٠). ويعرف أن الأرض، حتى الأرض الموعودة لاتنال إلا بعد السيف، ولا يحتفظ بها رلا بالسيف، وهو إله حرب ومتهور معجب بنفسه كالجندى، يتقبل الثناء ويشتبه، ويحرص علي أن يتباهى بقدرته على إغراق المصريين فى البحر: "فيعرف المصريون إنى أنا الرب حين أتمجد بفرعون ومركباته وفرسانه"(٢١). وهو يرتكب فى سبيل إنتصار شعبه كافة ضروب الوحشية، ويأمر شعبه بأن يرتكبوا هم هذه الوحشية، فهو يذبح أمما بأكملها راضيا مسرورا من عمله.

ولما بدأ اليـهـود يزنون مع بنات مـوآب، قـال لموسى: "خذ جـمـيع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس"(٢٢)، وهو يعرض رحمته على الذين يحبونه ويتبعون أوامره، ولكنه يورث الذنوب: "أنا الرب ألهك إله غيور أفتقد ذنوب الأباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى"(٢٣)، وهو إله جبار يفكر فى إهلاك اليهود على بكرة أبيهم لأنهم عبدوا العجل الذهبى، ويضطر موسى الى أن يراجعه حتى يتمالك عواطفه، فيقول لربه: "إرجع عن حمو غضبك وإندم على الشر بشعبك"، "فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه"(٢٤). ثم يريد يهوه أن يفنى اليهود أصلا وفرعا لأنهم عصوا موسى، ولكن موسى يستثير فيه عواطفه الطيبة ويأمره أن يفكر فيما يقوله الناس عنه إذا سمعوا بفعلته(٢٥)، وهو يختبر قومه إختبارا قاسيا فيطلب إلى ابراهيم التضحية بإبنه، ويعلم إبراهيم يهوه، كما يعلمه موسى، مبادئ الأخلاق السامية وينصحه ألا يهلك سدوم وعمورة، إذا وجد فيهما من الرجال خمسون، أو أو اربعون أو ثلاثون، أو عشرون، أو عشرة صالحون(٢٦). والعقابات التى يهدد بها يهوه شعبه المختار إذا ما عصاه تشتمل على قائمة هائلة من ألوان العقاب:

"ملعونا تكون فى المدينة وملعونا تكون فى الحقل ... وملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك... ملعونا تكون فى دخولك وملعونا تكون فى خروجك، يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر فى كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك سريعا من أجل سوء أفعالك إذا تركتنى، يلصق بك الرب الوباء حتى يبيدك عن الأرض التى أنت داخل إليها لكى تمتلكها. يضربك الرب بالسل والحمى والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول فتتبعك حتى تفنيك ... الخ، يضربك الله بقرحة مصر وبالبواسير والجرب والحكة حتى لا تستطيع الشفاء، يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب ... ايضا كل مرض وكل ضربة لم تكتب فى سفر الشريعة هذا يسلطه الرب عليك حتى تهلك" (٣٧).

ولم يكن يهوه هو الإله الوحيد الذى يعترف اليهود بوجوده، أو يعترف هو نفسه بوجوده، وشاهد ذلك أن كل ما يطلبه فى الوصية الأولى من الوصايا العشر، هو أن يقوم مقامه فوق مقام سائر الآلهة، ويقر بأنه "إله غيور"، ويأمر أتباعه بهدم مذابحهم، وتكسير أنصابهم(٢٨) وإبادتهم. وقلما كان اليهود قبل إشعيا يفكرون فى أن يهوه إله الأسباط جميعا، أو حتى إله العبرانيين جميعا، فقد كان للموآبيين إلههم شمش، وكان نعومى يظن أن لا ضير من أن يظل راعوث على ولائه له(٢٩). وكان بلزيوب إله عكرون، وملكوم إله عمون. وقد أشارت بعض أقوال التوراه إلى التعدد فى الآلهة من بينها: قول موسى فى أغنيته الشهيرة: "من مثلك بين الآلهة يارب"(٣٠) و"أى إله فى السماء وعلى الأرض يعمل كأعمالك وجبروتك"(٣١)، و"الله قائم فى مجمع الله، فى وسط الآلهة يقضى"(٣٢)، و"اسجدوا له يا جميع الآلهة"(٣٣)، والرب إلهكم هو اله الآلهة ورب الأرباب"(٣٤)، و"احمدوا إله الآلهة، لأن إلى الأبد رحمته. إحمدوا رب الأرباب لأن إلى الأبد رحمته"(٣٥)، ويقول سليمان: "إلهنا أعظم من جميع الالهة"(٣٦)، و"أيها الرب إله إسرائيل لا إله مثلك فى السماء والأرض"(٣٧).

ولم يكن جميع اليهود، اللهم إلا أعظمهم علما، يعدون تموز إلها حقا

فحسب، بل إن عبادته فضلا عن هذا كانت فى وقت من الأوقات منتشرة فى بلاد اليهود حتى لقد شكا حزقيال من أن البكاء حزنا على تموز كان يسمع فى الهيكل(٣٨). لقد كان ما بين اليهود من فوارق وما كان لهم من إستقلال كافيين لأن تبقى لطوائفهم آلهتهم الخاصة حتى فى زمن إرميا: "على عدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا"، ثم يظهر النبى الحزين غضبه على بنى وطنه لأنهم يعبدون بعلا ومولك(٣٩). وفى أقوال يفتاح الجلعاوى نجد الها هو كموش اله ملك بنى عمون: "ألست أنت الذى يرثك كموش إلهك الذى ترثه وكل ما ورثه يهوه الهنا نرثه نحن" (القضاة١١:٢٤) وهى أقوال يتضح منها بوضوح تقسيم مجالات القضاء بين يهوه وكموش، ونجد أن الدليل على أن يهوه لم يكن الها وحيدا بين بنى اسرائيل فى الاسم الثانى لجدعون، وهو يروبعل، على اسم بعل، كما أن والد جدعون يوآش، قد بنى فى عفرة مدينته مذبحا لبعل تحت شجرة مقدسة لآشيرة، دون أن يستشعر أى تناقض بين العبادتين، كذلك فإن شاؤول الملك أطلق على إبنه الثانى اسم إيشبعل (رجل بعل). والأدلة كثيرة على عدم شعور قضاة وملوك بنى اسرائيل بأى تناقض بين عبادة يهوه وعبادة آلهة أخرى من آلهة الكنعانيين والمؤابيين والعمونيين وغيرهم. فلما نشأت الوحدة السياسية فى أيام داود وسليمان، وتركزت العبادة فى الهيكل بأورشليم، أخذ الدين يردد أصداء التاريخ والسياسة، وأمسى يهوه إله اليهود الأوحد. ولم يخط اليهود نحو التوحيد خطوة غير هذه الخطوة، وهى أن لليهود إلها واحدا يعلو على آلهة غيرهم من البشر، حتى كان زمن الأنبياء. على أن الديانة العبرانية حتى فى هذه المرحلة اليهودية كانت أقرب الى التوحيد من كل دين آخر قبل عصر الأنبياء، إذا استثنينا عبادة الشمس القصيرة الأجل فى عهد إخناتون. وبقيت عبادة يهوه قرونا كثيرة دينا قوامه الخوف لا الحب، والرهبة لا الرغبة، رغم ما بذله سليمان من جهود لكى يجمل باللون والنغم عبادة هذا الإله(٤٠).

ولكن بالتدريج فرض سدنة يهوه على الذين يتعبدون له أن ينصرفوا

انصرافا تاما عن الآلهة الأخرى، وجعلوا ينظرون إلى تلك الآلهة على أنها أوثان، مستغلين فى ذلك، ما هو مذكور من أمر يهوه، فى ثنايا الوصايا العشر، من إنه "إله غيور"، أى إنه لا يطيق أن يشاركه فى هيكله إله آخر. وهكذا غدا يهوه هو الإله الحى الواحد، على الأقل، فى فلسطين: "فإنه أى إله فى السماء وعلى الأرض يعمل كأعمالك وجبروتك"(٤١)؛ و"لإنه أى شعب هو عظيم له آلهة قريبة منه كالرب الهنا فى كل أدعيتنا اليه"(٤٢)؛ و"إنك قد رأيت لتعلم أن الرب هو الإله، ليس آخر سواه. فاعلم اليوم وردد فى قلبك أن الرب هو الإله فى السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه"(٤٣).

وقد جعل الرب عقابا لبنى اسرائيل، إذا سجدوا لغيره، هو حرمانهم من خيراته وحرمانهم من الأرض التى وعدهم بها: "فاحترزوا أن تنغوى قلوبكم وتعبدوا آلهة أخرى وتسجدوا لها فيحمى غضب الرب عليكم ويغلق السماء فلا يكون مطر ولا تعطى الأرض غلتها فتبيدون سريعا عن الأرض الجيدة التى يعطيكم الرب"(٤٤). وهذا يعنى أن الثواب والعقاب فى الديانة اليهودية كان قاصرا على الحياة الدنيا، ولم يكن فى هذا الدين جحيم يخصص لعقاب المذنبيين، لأن اليهود قلما يشيرون الى حياة أخرى بعد الموت، ولم تدر فكرة البعث فى خلود اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء فى أن يكون لهم سلطان فى هذه الأرض.

وبالرغم من أن الوصية الأولى من الوصايا العشر، تدعو إلى توحيد الألوهية، فإن هذا التوحيد ليس مطلبا موجها إلى البشر جميعا، بل إلى بنى اسرائيل وحدهم.

إن إله بنى إسرائيل، ليس ربا للعالمين، كإله المسلمين مثلا، ولكنه إلههم هم وحدهم وخاصيتهم.

ولم يصل التوحيد إلى مجال العالمية إلا على يد الأنبياء أمثال عاموس

واشعيا. ومن الفقرات الدالة على التوحيد فى التوراة وفى أسفار الأنبياء:

- "الرب هو الإله. ليس آخر سواه" (التثنية٤:٣٥)

- "أنت هو الإله وحدك لكل الأرض أنت صنعت السموات والأرض" (إشعيا٣٧:١٦).

- " هكذا يقول الرب خالق السموات وناشرها، باسط الأرض ونتائجها، معطى الشعب عليها نسمة، والساكنين فيها روحا" (اشعيا٤٢:٥).

"أنا الأول وأنا الآخر، ولا إله غيرى" (إشعيا ٤٤:٦).

- "أيها الرب إلهنا خلصنا من يده فتعلم ممالك الأرض كلها إنك أنت الرب الإله وحدك" (الملوك الثانى١٩:١٩).

- "إنه هو الرب وحدك" (نحميا٩:٢).

- "قبلى لم يصور إله وبعدى لا يكون" (إشعيا٤٣:١٠).

- "إلتفتوا إلى وأخلصوا يا جميع أقاصى الأرض لأنى أنا الله وليس آخر، بذاتى أقسمت فخرج من فمى الصدق كلمة لا تراجع إنه لى تجثو كل ركبة يحلف كل إنسان" (إشعياه٤٥:٢٣-٢٤).

- "لأنى أنا الله وليس آخر لا إله سواى" (إشعياه٤٥:٥)

- "ألستم لى كبنى الكوشيين يا بنى اسرائيل" (عاموس٩:٧)

وعلى أى الأحوال فإن القول بالتوحيد الصريح فى اليهودية، لم يقل به فلاسفة اليهود فى العصور الوسطى، إلا بالتلقى عن الاسلاميين، وقد دام بدوام هذا التلقى، وارتفع بإرتفاعه.

التوحيد فى الإسلام:

"لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا" (الإسراء٢٢).

يعتبر التوحيد أول ركن من أركن الإسلام الخمسة "أشهد الا إله إلا الله"، ويقرر القرآن الكريم أن الله هو الواحد الأحد الذى ليس كمثله شئ، له الأسماء الحسنى، يعرفه البشر عن طريق ما أوحى به الأنبياء والمرسلين، وآخرهم محمد (صلعم)، وأن التأمل والتدبر فى الكون سبيل للإهتداء إلى هذا الإله الواحد الحى.

فالتوحيد فى الإسلام هو أول دعوة الرسل: "لقد أرسلنا نوحا الى قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره" (الأعراف ٥٩).

وقال هود عليه السلام: "اعبدوا الله ما لكم إله غيره" (الأعراف ٦٥)،

والتوحيد هو قول صالح عليه السلام، وقول شعيب: "ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" (النحل٣٦).

وقال تعالى: "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون"(الانبياء٢٥). فالتوحيد هو أول ما يدخل به المرء إن أراد، الإسلام، وهو أخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم: "من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، دخل الجنة".

والقرآن الكريم يقرر توحيد الربوبية، ويبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله، فيجعل الأول دليلا على الثانى. فإذا كانوا يسلمون فى الأول، وينزعون فى الثانى، فيبين لهم سبحانه: إنكم إذا كنتم لا تعلمون إنه لا خالق إلا الله وحده، وإنه هو الذى يأتى العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم، لا شريك لهم فى ذلك، فلا تعبدون غيره وتجعلون معه إله آخر، كقوله تعالى :

"أمَنْ خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا بهم حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون" (النمل:٥٩).

كما قال تعالى:

"أئنكم لا تسشهدون أن مع الله إله آخر قل لا أشهد" (الأنعام:١٩).

وبهذا نعلم أن التوحيد وفق المفهوم الإسلامى، هو توحيد الإلهية، ومعنى استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له بما يتضمن، توحيد الربوبية، أى بيان أن الله وحده خالق كل شئ، قال تعالى:

"فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (الروم ٣٢).

وهذا التوحيد الخاص، هو الذى دعا الله سبحانه وتعالى أهل الكتاب اليه، لأن الله ليس إلها خاصا لمجموعه من البشر دون الأخرين، شأن إله بنى اسرائيل، ولكنه رب كافة البشر:

"قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله" (آل عمران٦٤).

وغالب سور القرآن متضمنه لنوعى التوحيد، بل كل سورة فى القرآن. فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمى الخبرى، وإما دعوه الى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادى الطلبى، وإما أمر ونهى وإلزام بطاعته، فذلك من مكملات التوحيد، وإما خبرا عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم فى الدنيا، وما يكرمهم به فى الأخره، وهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم فى الدنيا من النكال، وما فعل بهم فى العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد. وقد شهد الله لنفسه بهذا التوحيد وشهدت له به ملائكته وأنبيائه

ورسله: قال تعالى: "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكه وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم. إن الدين عند الله هو الإسلام" (آل عمران١٨-١٩).

وقد زخر القرآن الكريم بالعديد من الآيات التى تشير إلى عقيدة التوحيد، وإلى أن الله واحد لا شريك له:

نذكر منها على سبيل المثال:

- "قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد" (سورة الاخلاص).

- "فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين" (الشعراء٢:٣٢)

- "وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون" (سورة الزخرف٤٥)

- "قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا تبتغوا إلى ذى العرش سبيلا" (الاسراء٤٢).

- "يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون" (سورة البقرة٢١).

- "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" (سورة الذاريات٥٦).

- "هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين" (غافر٦٥).

- "فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشروا المخبتين" (الحج٣٢).

- "الله لا إله هو رب العرش العظيم" (النمل٢٦).

- "قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم، ألا تشركوا به شيئا" (الانعام١٥١).

- "ذلكم ربكم لا إله هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل" (الأنعام١٠٢).

- "آلم، الله لا إله إلا هو الحى القيوم، نزل عليك الكتاب بالحق" (آل عمران٢-٣).

الوصية الثانية:

"لا تصنع لك منحوتا ولا صورة شئ مما فى السماء من فوق ولا مما فى الأرض من أسفل، ولا مما فى المياة من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى البنين إلى الجيل الثالث والرابع من مبغضى وأصنع رحمة إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياى".

وتتفق هنا الصيغة فى كل من نسخة الواردة فى الخروج٢٠:٤-٦، والتثنية ٥:٨-١٠، وقد وردت هذه الوصية بصيغة أخرى: "إحترزوا من أن تنسوا عهد الرب الهكم الذى قطعه معكم وتصنعوا لأنفسكم تمثالا منحوتا صورة لكل ما نهاك عنه الرب" (التثنية٤:٢٣).

كما وردت كذلك فى سفر الخروج بصيغة أخرى: "لا تجعلوا معى آلهة من فضة وآلهة من ذهب لا تصنعوا لكم" (الخروج٢٠:٢٣)، وكذلك فى سفر اللاويين: "لا تصنعوا لكم أوثانا ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتا أو ذهبا ولا تجعلوا فى أرضكم حجرا مصورا لتسجدوا له" (اللاويين٢٦:١).

وتعتبر هذه الوصية متممه للوصية الأولى بشأن عبادة الله، إله بنى اسرائيل، دونا عن سائر الآلهة الأخرى. فحيث أنه أخرج بنى اسرائيل من "بيت العبودية" وأصبح لهم إلها، فإنه يأمر قائلا: "لا يكن لك آلهة أخرى أمامى؛ ولا

تصنع لك منحوتا ولا صورة..." . وهذه الوصية على غرار الوصية الأولى تبدأ، هى الأخرى، بصيغة المخاطب المفرد "لا تصنع لك..." والوصية تحرم صنع تمثال لأى صورة، ولكنها لا تحرم الصياغة الفنية من أجل المتعة الفنية (مثل صور النباتات، والحيوانات المختلفه فى هيكل سليمان)، ولا تحرم الصياغة الفنية لأشكال من عائلة الرب، مثل "الكروبيم" (ملائكة مجنحة من الذهب وضعت على طرفى غطاء تابوت الرب بناء على أمر من الله لموسى" سفر الخروج٣٧:٧)، ولا تحرم تلك التى على غرار الحية النحاسية التى أمر الرب موسى بصنعها ووضعها على راية ورفعها "فكان متى لدغت حية إنسانا ونظر إلى حية النحاس، يحيا" (العدد٢١:٩)، لأن التحريم لم يحل على الصور لأنها تستخدم للزينة والإكرام، وليس للعبادة؛ بينما يحل التحريم على التماثيل التى تعبد على غرار الاله. وليس هناك تمييز بين تماثيل آلهة اسرائيل وتماثيل الآلهة الاجنبية؛ وفى الحقيقة، لا يوجد تمييز بين التمثال والإلوهية – أى أنه، لا يوجد إعتراف بالشكل الرمزى للتمثال، الذى لا يمثل إلا رمزا تجسيديا للإلوهية الخافية عن العين. إن أى تمثال يعبد يحل عليه التحريم، ويعتبر بمثابة إله فى حد ذاته؛ وبناء على ذلك، فإن التمثال الذى يعبد هو "اله آخر" ومن يعبده يثير غيرة الرب، لأنه ينقض الوصية الأولى "لا يكن لك آلهة أخرى أمامى".

وهذا التحريم ورد له تبرير واضح فى سفر التثنية: "فإنكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب فى حوريب من وسط النار. لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالا منحوتا صورة مثال ما شبه ذكر أو أنثى. شبه بهيمة مما على الأرض شبه طير ما ذى جناح مما يطير فى السماء. شبه دبيب ما على الأرض شبه سمك ما مما فى الماء تحت الأرض، ولئلا ترفع عينيك إلى السماء وتنظر الشمس والقمر والنجوم كل جنة السماء التى قسمها الرب الهك لجميع الشعوب التى تحت كل السماء فتجتذب وتسجد لها وتعبدها" (التثنية٤:١٦-١٩).

ومعنى هذه الفقرات، هو إنه محرم تصوير أى صورة أو تمثال للرب،

لأنكم لم تعرفوا ما هو شكله؛ وبناء على هذا فإن أى صورة أو تمثال للرب تكون بمثابة تزييف وكذب. ومن هنا يستدل على وجهة نظر التمثال باعتبارها تشير إلى وجود اله آخر خفى عن العيون؛ أى إنه توجد هنا عملية تمييز بين الرمز والمرموز اليه، وإن كان لابد من الاعتراف، بأن هذا التمييز ليس واردا بكثرة فى العهد القديم، وعلى الأخص فى الوصايا العشر. ويبدو إنه يمكن تقدير هذا التمييز، على أنه ثمرة تأمل، ومحاولة لاستخراج تبرير "عقلانى" للتحريم الوارد فى الوصايا العشر، الذى جاء به فى صورة "مجردة" للغاية.

وعدم وجود تمييز بين التمثال والإلوهية، على النحو الوارد فى الوصية الثانية، لا يعتبر خطأ أو مبالغة جدلية. إن من يعبد الأوثان عن طريق التماثيل، تكون الحدودبين الألوهية الخافية عن العين وتمثالها هى حدود غير واضحة بالفعل؛ وذلك لإنه فى طقس معين يمنح "الحياة" للتمثال، وتتم عبادة الاله، وقبوله للعبادة، وعلاقاته مع عبيده عن طريق التمثال. إذن فإن التحريم الوارد فى صيغة الوصية الثانية موجه فى أساسه، لوجهة نظر كانت شائعة، وكانت متأصلة من الناحية النفسية، بين عبدة الأوثان فى العصور القديمة، وعلى هذا الأساس فإن الوصية الثانية لم تخطئ عندما تجاهلت الفارق بين الرمز والمرموز اليه، وبنفس القدر يقوم الجدول حول الوثنية التى تصوره مثل عبادة الشجر والأحجار من صنع يد الإنسان:

- "ودفعوا آلهتهم إلى النار ولأنهم ليسوا آلهة بل صنعة أيدى الناس خشب وحجر فأبادوهم" (سفر الملوك الثانى١٩:١٨).

- "أصنامهم فضة وذهب عمل أيدى الناس. لها أفواه ولا تتكلم، لها أعين ولا تبصر. لها آذان ولا تسمع. لها مناخر ولا تشم. لها أيد ولا تلمس. لها أرجل ولا تمشى ولا تنطق بحناجرها". (المزامير١١٥:٣-٧)

- "وامتلأت أرضهم أوثانا يسجدون لعمل أيديهم لما صنعته أصابعهم. وينخفض الإنسان وينطرح الرجل فلا تغفر لهم" (اشعيا٢:٨).

وقد تأكدت هذه الصيغة فى سفر اشعيا كذلك:

- "فبمن تشبهون الله وأى شبه تعادلون به. الصنم يسكبه الصانع والصائغ يغشيه بذهب ويصوغ سلاسل فضة" (اشعيا ٥٠:١٨-١٩).

- "بمن تشبهوننى وتسووننى وتمثلوننى لنتشابه" (اشعيا٤٦:٥).[٤٥]

وعلى هذا النحو، فإن ما يفهم من هذه الوصية، وعلى ضوء التفسير الوارد فى (التثنية٤:١٥): "فإنكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب فى حوريب من وسط النار"، هو إنه لا توجد لدى البشر فى عالم المادة أى صورة يمكن أن يشبهوا بها الله حتى يعرفوه بها، وهو ما يضفى على الله صفة "الروحانى المطلق"، الذى لا يمكن تشبيهه بأى شىء آخر، لإنه اله خفى لا مثيل له، لابد من الالتزام بوحدانيته وعدم ماديته ولا يمكن عبادته عن طريق شىء مادى، تمثال أو صورة، ولا يجوز أن يكون له شريك فى الألوهية، حتى ولو كان من القوى المؤثرة فى العالم بشكل مستقل وعلى غير صلة به.[٤٦]

وقد فسر المفسرون القدامى من اليهود ما ورد فى قصة ابراهيم (عليه السلام) ويعقوب عند ذهابهما إلى مصر على نحو يتفق مع ما نصت عليه هذه الوصية من عدم السجود لغير الله، فقد كانت من عادة الملوك الفراعنه أن يكون معهم دائما فى حجرة جلوسهم تمثالا لمعبودهم منخفضا جدا بحيث أن من يريد الدخول، ومن يؤذن له بالدخول يدخل بانحناء كبير جدا لدرجة السجود، وبذلك يكون مجبورا على أن يسجد للصنم بدون قصد. ولما نزل ابراهيم إلى مصر وأراد الدخول على فرعون مصر، ورأى الصنم على الباب والباب واطئ جدا، فماذا فعل؟ فهل يدخل ويسجد للصنم، وهذا ما لا يمكن أن يفعله ابراهيم الذى بشر بتوحيد الله، فصلى الى الله صلاة حارة أن يخلصه وحصلت المعجزة وارتفع الباب بحيث تمكن ابراهيم من الدخول على فرعون وهو مرفوع الرأس والقامة بدون انحناء، ولم يسجد للصنم.

ولما حضر يعقوب لمصر وأراد الدخول على فرعون تكررت المعجزة معه.

وهذه المعجزة سبق ووقع ليعقوب مثلها، وذلك حينما رجع من بيت لابان وأراد مقابلة أخيه عيسو، وجاء فى التكوين ٣٣:٣ ما نصه: "أما هو فاجتاز من قدامهم وسجد سبع مرات حتى اقترب إلى أخيه..."، فكيف أن يعقوب يسجد لغير الله وهو الأمر المخالف لنصوص الشريعة القائلة "لا تسجد لإله آخر". ولذلك فسر المفسرون القدماء جملة "أما هو فاجتاز قدامهم" أنها إشارة إلى نور الله، وليس لعيو، كما جاء فى المزمور١٦:٨: "جعلت الله أمامى فى كل حين لإنه عن يمينى فلا أتزعزع"، وكذلك وقع له عندما مرض وأتى يوسف اليه لعيادته "التكوين ٤٧:٣١" : "وسجد اسرائيل على رأس السرير"، وكيف يسجد لإنسان، لغير الله. لهذا فسر "راشى"، أن نور الله دائما فى رأس سرير المريض، وإلى نور الله سجد يعقوب.(٤٧)

ويرى ول ديورانت أن تحريم الدين اليهودى لأى تصوير أو تمثيل للرب كان سببا قضى على إمكان التطور الفنى عند اليهود، لدرجة أن سليمان عند بنائه للهيكل اضطر للإستعانة بالفنانين الأجانب سواء فى البناء أو النحت أو التصوير، لأن هذه المجالات لم يكن اليهود ليستطيعوا تحقيق تطور فيها، لإنها تستمد وحيها من الموضوعات الدينية قبل كل شئ، ومن هنما فإن عهد سليمان يكاد يكون عهدا أجنبيا عن العبرانيين، وكل ما كان الكهنة يجيزونه من الفنون هما فنا العمارة والموسيقى، وكانت الأغانى والمراسيم التى تقام فى الهيكل هى التى تخفف من أكدار حياة الشعب وشقائه. فكانت فرقة موسيقية معها مختلف الآلات تنضم إلى جوقة المغنين فى ترتيل المزامير فتبدو صوتا واحدا لتسبيح الرب وحمده وتمجيد الهيكل: "وداود وكل بيت اسرائيل يلعبن أمام الرب بكل أنواع الآلات من خشب السرو والعيدان وبالرباب، وبالدفوف، وبالجنوك وبالصنوج"(٤٨) وبالإضافة إلى ما تقدم، فإنه تجدر الإشارة، إلى أن الوصية تتضمن تبريرا لهذا الأمر الإلهى بعدم صنع التماثيل والصور، وهذا التبرير هو

إنه "اله غيور"(٤٩) يتعقب ذنوب الاباء فى الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع من أعدائه، مما يجعل الخير والشر بالضرورة مسألة موروثة وليست مسألة مرتبطة بالقيم الاخلاقية وبالاختيار والمسئولية الفردية، وهو الأمر الذى يهدم التجربة الدينية من أساسها، ولكن هذه الشريعة نسخت فى سفر التثنية "لا يقتل الآباء عن الأبناء ولا يقتل الأبناء عن الأباء. وكل إنسان بخطيئته يقتل" (التثنية٢٤:١٦)، وكذلك ايضا فى سفر حزقيال: "النفس التى تخطئ هى تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الإبن. بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون" (حزقيال١٨:٢٠).

موقف الإسلام من الشرك:

تناول القرآن الكريم عقائد الشرك، وبين بطلانها، لإنه لو كان معه سبحانه إله آخر يشركه فى ملكه، لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرد بالملك والالوهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك إنفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه، وإذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه فلابد من أحد ثلاثة أمور: أما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه، وإما أن يعلو بعضهم على بعض؛ وأما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ولا يتصرفون فيه، بل يكون وحده هو الاله، وهم العبيد المربوبون المقهورون.

وانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره من أدل الأدلة على أن مدبره إله واحد، وملك واحد ورب واحد، لا إله للخلق غيره، ولا رب لهم سواه. يقول تعالى:

"ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض" (المؤمنون٩٢)

وقريب من معنى هذه الآية قوله تعالى:

"لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا" ،الأنبياء٢٢).

وقد حدد القرآن الكريم موقف الله سبحانه وتعالى من الشرك، فى إطار بعيد، عن المفهوم التوراتى، الذى يصف يهوه، إله بنى اسرائيل، بإنه يرفض الشرك لأنه "إله غيور". إن المنطق القرآنى فى النهى عن الشرك يقوم على أساس أن العلم بأن وجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته، فهكذا تبطل إلهية إثنين، كما لا تصلح الإلهية لغيره، وذلك يستلزم الأمر بإتخاذه وحده إلها، والنهى عن اتخاذ غيره معه إلها. ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى بعد أن يسوق العديد من الأدلة على قدرته كخالق، وعجز المعبودات التى يصنعها البشر بأيديهم "أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون" (الاعراف١٩١)، ويحدد فى القرآن الكريم موقفه الحاسم من الشرك والمشركين على النحو التالى:

١ - النهى عن الشرك:

- " فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين" (الشعراء٢١٣)
- "وقال الله لا تتخذوا إلهين إثنين، إنما هو إله واحد" (النحل٢١)
- "قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم. ألا تشركوا به شيئا" (الأنعام١٥١)

٢ - أن الله لا يقبل الشرك ولا يغفره:

- "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" (النساء٤٨)
- "ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء" (الحج١٧)
- "ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق" (الحج٣٠).
- "ومن يدع مع الله إلها آخر لابرهان له به، فإنما حسابه عند ربه، إنه لا يفلح الكافرون" (المؤمنون١١٧).

- "قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كانت عاقبة الذين منَ قبل كان أكثرهم مشركين (الروم٤٢).

٣ - إن الشرك إثم عظيم:

"ومن يشرك بالله فقد إفترى إثما عظيما".

٤ - إن المشركين نجس:

"يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا" (التوبة٣٠).

٥ - أن الشرك محبط للعمل ومفضى للخسران:

"ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين، بل الله فاعبد.." (الزمر٦٦).

"ومن يضلل الله فما له من هاد" (الزمر٣٦).

٦ - عجز الشركاء ومهانة الآلهة وعجز الاصنام التى ادعى المشركون إنهم آلهة قادرة على المنح والمنع:

- "إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فأدعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين" (الاعراف١٩٤).
- "أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون".
- "ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله" (يونس١٨).
- "إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب" (الحج٧٤).

- "هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه" (لقمان١١).
- "أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه" (الرعد١٦).

٧ - إن الله منزه عن اتخاذ ولد له، لأن له ما فى السموات والأرض، ولأنه لم تكن له زوجة:

- "وقالوا اتخذ الله ولدا، سبحانه، بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون" (البقرة١١٧).
- "قالوا اتخذ الله ولدا، سبحانه، هو الغنى، له ما فى السموات والأرض إن عندكم من سلطان أبهذا تقولون على الله ما لا تعلمون" (يونس٦٨)
- "أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة" (الانعام١٠١).
- "وما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله" (المؤمنون٩١).
- "وقالوا إتخذ الرحمن ولدا، سبحانه، بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون" (الانبياء٢٦).
- "وقالوا إتخذ الرحمن ولدا، لقد جئتم شيئا إدًا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا" (مريم٨٨-٩٢).
- "لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار" (الزمر٤).
- "إلا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون" (الصافات١٥٢).
- "وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا" (الاسراء١١١).
- "الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن شريك فى الملك وخلق كل شيئا وقدره تقديرا" (الفرقان٢).

لا تصنع لك تمثالا منحوتا ... فى المسيحية:

يقول الأنبا شنودة الثالث بابا وبطريرك الكرازة المرقسية فى تفسيره لهذه الوصية من وجهة نظر المسيحية الارثوذكسية:

"إن هذه الوصية لا تعنى عدم تزيين الكنائس بصور العذراء والملائكة والقديسين. إنما مفتاح هذه الوصية هو عبارة "لا تسجد لهن ولا تعبدهن"، فالمقصود هو منع عبادة الصور والتماثيل، وخاصة أن هذه الوصية قد قدمت فى وقت انتشرت فيه الوثنية وعبادة الأصنام.

أما نحن فعندما نزين الكنائس بالصور، إنما يكون ذلك لنتذكر أصحابها فنتمثل بأعمالهم الصالحة. ونحن لا نعبد الصور.. وإنما نكرم أصحابها الذين يكرمهم الآب نفسه. كما يقول يسوع المسيح: "

إن كان أحد يخدمنى، يكرمه الآب" (انجيل يوحنا١٢:٢٦).(٥٠)

ويواصل الأنباء شنودة تفسيره لهذه الوصية بقوله:

"إذن ينبغى ألا تفهم الوصية الثانية بمعنى مطلق، أو بمعنى حرفى، وإنما فى حكمة ندرك روحها وقصدها. وكما أعطانا الرب مثال الكاروبين والصور التى زين بها الهيكل، كذلك أعطانا مثالا آخر فى تابوت العهد الذى كانت له مكانه عظيمة فى العهد القديم. والذى سجد أمامه يشوع هو وشيوخ إسرائيل، ليس سجود عبادة، إنما سجدوا تذللا أمام الرب لما هزموا فى عاى. ونحن نعرف أن داود النبى العظيم رقص أمام تابوت العهد بعد أن اعاده لمجد عظيم (صموئيل٦:١٥-١٦) ولم يكن ذلك منه عبادة الأصنام، إنما تكريم لتابوت الرب.

إن الوصية الثانية تمنع الصور للعبادة، ولا تمنعها للزينة والإكرام.(٥١)

وهكذا نرى أن هناك إختلافا فى التفسير بين المفهوم اليهودى الذى ينطلق من عبارة "لا تصنع لك تمثالا منحوتا" ويعتبر أن هذا هومفتاح الوصية الثانية،

وبين المفهوم المسيحى الذى ينطلق من عبارة "لا تسجد لهن ولا تعبدهن" ويعتبر أن هذا هو مفتاحها العملى.

أما بالنسبه للشق الآخر من الوصية الذى يقول: "أفتقد ذنوب الآباء فى البنبن إلى الجيل الثالث والرابع من مبغضى"، فإن الأنبا شنوده يرى أنه إذا كان الأبناء يحملون ذنوب آبائهم، فى قوانين الوراثة الطبيعية فى الجسد والطبع والعقل، وبعض الأمور الإجتماعية وما يشبهها، فإنه من ناحية خلاص النفس لا ذنب للابن فى خطيئة أبيه، ويرى أن أسفار الأنبياء نسخت هذا الجزء من هذه الوصية، ويستدل على ذلك بما جاء فى سفر إرميا على لسان إرميا النبى: "فى تلك الأيام لا يقولون بعد: الآباء أكلوا حصرما، وأسنان الأبناء ضرست. بل كل واحد يموت بذنبه، كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه" (إرميا ٣١:٢٥-٣٠). كما يستند أيضا إلى ما جاء فى سفر حزقيال:

"... ما بالكم تضربون هذا المثل .. قائلين: الآباء أكلوا الحصرم، وأسنان الأبناء تضرس، حى أنا يقول السيد الرب، لايكون لكم من بعد أن تضربوا هذا المثل فى اسرائيل، ها كل النفوس هى لى. نفس الأب كنفس الابن، كلاهما لى. النفس التى تخطئ هى تموت ... وإن ولد (رجل) إبنا، رأى جميع خطايا أبيه التى فعلها فرأها ولم يفعل مثلها .. فإنه لا يموت بإثم أبيه .. حياة يحيا .. النفس التى تخطئ هى تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن. بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون" (حزقيال١٨:١-٢٠).

وعندما انبرى الانبا شنوده لتفسير عبارة "دمه علينا وعلى أولادنا"، ومدى ارتباط تلك العبارة بحمل يهود اليوم ذنب آبائهم فى دم المسيح. أجاب بأنه طالما أن اليهود يصرون على موقفهم من المسيح على أنه لم يولد بعد، وأنه كان إنسانا مجدفا مضلا، ناقضا للشريعة وكاسرا للسبت، وإنه يستحق ما فعلوه به فإنهم يشتركون مع آبائهم ويكونون مدانين بدم المسيح مع آبائهم، ما إذا تابوا وآمنوا بالمسيح وإعترفوا بمجيئه، وأن آباءهم كانوا مخطئين فى صلبه، حينئذ تقع

الدينونة على أبائهم فقط لا عليهم ولا يشتركون فى الذنب ولا يعودوا يهودا بل مسيحيين.(٥٢)

الوصية الثالثة:

- "لا تحلف باسم الرب الهك باطلا لأن الرب لا يبرئ من ينطق باسمه باطلا".

وهذه الوصية تقضى بعدم القسم باسم الله زورا أو باطلا وتعريضه للتدنيس.

ويقول موشيه جرينبرج، إن هذه الوصية مصاغة بتعبيرات مزدوجة المعنى. فالفعل العبرى المستخدم فى صياغة الوصية هو "ناساشيم"، وهذا الفعل يفسر استنادا الى التعبير الكامل "ولا أذكر أسماءهم بشفتى" (المزامير١٦:٤) بمعنى أنطق أسماءهم، وكذلك "وأتحمل عهدى على فمك" (المزامير ٥٠:١٦) حيث يرد الفعل "ناسا عل" ايضا بمعنى "نطق". أما كلمة "ليشاف" فإن لها معنيان هما: "كذبا" والمثال على ذلك: "الذين تكلمت أفواههم بالباطل ويمينهم كذب" (المزامير١٤٤:٨ . ١١)؛" وكذلك استبدال كلمة "عيد شاقير" (شهادة زور) الواردة فى الوصايا العشر فى نسخة سفر التثنية، وكذلك ايضا "إن كنت قد سلكت مع الكذب أو أسرعت رجلى إلى الغش" (ايوب٣١:٥)، وتعنى الكلمة كذلك "باطلا" (ارميا٢:٣٠؛٤:٣٠؛٦:٢٩). والتعبير كله "لوتيسا ليشاف" يفسر على معنى "لا تنطق باسم الرب باطلا"، وهو المعنى الذى يتحمل عدة معان. فمن مقارنته بما هو وارد فى (المزامير ٤:٤): "الذى لم يحمل نفسه إلى الباطل ولا حلف كذبا"، يمكن تفسير الوصية، على إنها تحرم استخدام اسم الرب فى القسم الكاذب، على غرار ما هو وارد فى سفر اللاويين ١٩:١١): "ولا تحلفوا بإسمى للكذب فتدنس إسم إلهك". ولكن وفقا للمعنى الآخر لكلمة "ليشاف" (باطلا) فإن المفسرين القدامى وجدوا أن هذه الكلمة تعنى القسم باسم الرب باطلا: فقد رأى فيلون أن هذه الكلمة تعنى تحريم القسم الكاذب، وكذلك تحريم "الذين

يقسمون بحكم العادة السيئة بصورة مبالغ فيها وبدونما رقابة بالنسبة للأشياء المعتادة.. لأنه من المبالغة فى القسم يأتى القسم الكاذب وتدنيس إسم الرب " (عن الوصايا العشر، ص٨٤-٩١). وحيث أن الفعل "ناسا" يرادف الفعل "بطية" (بمعنى نطق) - ليس فقط فى القسم - فقد وسع حاخامات اليهود من نطاق الوصية بحيث اشتملت على تحريم ذكر اسم السماء بغير ما ضرورة، ومن ذلك قولهم على سبيل المثال "كل من يبارك ببركة لا ضرورة لها يرتكب إثما استنادا إلى لا تحلف" (البركات٣٣: ٧١).(٥٣)

وهنا نجد أن تفسير جرينبرج ينصب أساسا على التفسير اللغوى لصياغة الوصية، بما يعنى أن الوصية لا تقتصر فقط على "لا تحلف" بل هى أوسع نطاقا من ذلك لإنها قالت "لا تنطق" فهى إذن ليست قاصرة على القسم الباطل، وإنما تشمل كل إستخدام باطل لاسم الله.

وصياغة الوصية على هذا النحو "لا تحلف باطلا"، تتفق مع ما ورد فى أجزاء أخرى من العهد القديم، تسمح لليهود بأن يحلفوا باسم الرب:

"الرب إلهك تتقى، وإياه تعبد، وباسمه تحلف" (التثنية ٦: ١٣)، وفى نفس السفر ايضا: ".. إياه تعبد، وبه تلتصق، وباسمه تحلف" (التثنية١٠: ٢٠). والمقصود هنا من عبارة "وباسمه تحلف" أى لا تحلف بإسم أخر من أسماء الآلهة الأخرى، وذلك خوفا من أن يحلفوا بآلهة الأمم الأخرى. وقد وضح هذا الأمر عندما أمرهم الرب على لسان يشوع قائلا: "لا تدخلوا إلى هؤلاء الشعوب ... ولا تذكروا إسم الهتكم، ولا تحلفوا بها، ولا تعبدوها، ولا تسجدوا لها" (يشوع٢٣: ٧)، وقال الرب لإرميا: "ويكون إذا تعلموا علما طرق شعبى أن يحلفوا بإسمى (حى هو الرب)، كما علموا شعبى أن يحلفوا ببعل" (إرميا١٢: ١٦)، وحيث تضايق الرب جدا من أنهم حلفوا بالبعل وبالآلهة الأخرى، حيث قال للنبى فى غضب: "كيف أصفح لك عن هذه؟ يكون تركونى، وحلفوا بما ليست الهة" (إرمياه: ٧). لذلك كانت فضيلة فى ذلك العصر الوثنى أن يحلف

الإنسان باسم الرب، معلنا إيمانه به، وعدم ايمانه بالوثنية: "إسمعوا يا بيت يعقوب... الحالفين باسم الرب" (إشعيا٤٨:١)، لأن ذلك كان يميزهم عن الوثنيين، ووصل الأمر إلى حد تشجيع الرب لهم على الحلف بإسمه: "بذاتى أقسمت .. لى تجثو كل ركبة، يحلف كل إنسان" (إشعيا ٤٥:٢٣).

ويقول شالوم ألبك فى تفسيره لهذه الوصية: "إن الصفة الأخرى من صفات القدوس تبارك وتعالى، وهى صفة من الصفات التى تتجلى فى العالم، وفى إمكان الناس أن يفهموها، هى صفة الحق. وقد قال إرميا: "أما الرب الإله فحق. هو إله حى وملك أبدى من سخطه ترتعد الأرض ولا تطيق الأمم غضبه" (ارميا ١٠–١٠). وتفسير هذا استنادا إلى "راشى"، "حق لماذا، لإنه إله حى وملك العالم لذلك يستطيع أن يحقق أقواله، ولكن اللحم والدم يقول ليفعل ويموت أو تضعف قوته أو يتهالك وليس فى استطاعته أن يفى". إذن، فالأساس لحقيقة القدوس تبارك هو أبديته، لأنه حى وموجود إلى الأبد، وهذه ايضا صفة من صفات القدوس تبارك وهى صفة يستطيع الناس أن يفهموها. وعلى أى حال فإن "طابع القدوس تبارك وتعالى هو الحق" (سنهدرين٦٤:١)، ومن أجل هذه الصفة "لا تحلف باسم الرب إلهك باطلا"، والوصية التاسعة "لا تشهد على قريبك شهادة زور" هى وصية فى التثنية ١٧:٥. إذن ما هو الفارق بينهما؟ يقول ربى يوحانان: "ساكل ولن آكل، هذا كذب (أى أن، القسم بما هو آت يعتبر شهادة كاذبة)، وتحذيرات الرب هى: لا تقسموا بإسمى كذبا؛ وأكلت ولم أكل، هذا كذب (أى أن القسم بما مضى وليس حقيقة يعتبر قسما كاذبا). وقد فسرت المشنا هذا على النحو التالى: "ما هو القسم الكاذب؟ إنه القسم بتغيير ما هو معروف للإنسان: من يقول عن عمود من الحجر إنه من الذهب، وعن الرجل إنه إمرأة...". ومن هنا فإن القسم الكاذب هو إستهانة واستهزاء باسم الرب، ومن ينطق باسم الرب باطلا لا يقبل على نفسه نير ملكوت القدوس تبارك وتعالى،

والشخص الذى يحلف باسم الرب لابد وأن يكون هناك شك فى صحة أقواله ويشعر أن الآخرين لا يصدقونه، ولو كان هذا الأمر معروفا للجميع على إنه حقيقة فلا يجوز للإنسان أن يقسم عليه، ولذلك فإنه حينما يقسم فإن الأخرين يشكون فى أن له مقصدا مختلفا عما أبداه فى حديثه."(٥٤)

ولأداء القسم فى الديانه اليهودية حسب الشريعة التوارتية شروط وردت فى أجزاء متفرقة من التوراة مثل القسم المزدوج فى حالة الزواج، واشتراط الوفاء بما يقسم الشخص عليه، أو عند الاستحلاف لوصية، وهو ماقد يرتبط أحيانا بالنذر الذى يحدد الانسان وفاءه به فى وقت معين،كالصيام أو التكفير عن ذنب بأداء عمل معين أو تقديم قربان أو رد شئ مسروق أو مغتصب.. الخ"(٥٥)

وهذه الوصية لا تقتصر على تحريم النطق باسم الرب فحسب، بل تحرم عليه كذلك أن ينطق باسم الله تحريما مطلقا، ذلك لأن اسم الرب فى اليهودية "يهوه" محرم على أى يهودى أن يجهر به، إلا للكاهن الأعظم فى "عيدالغفران" (يوم كبوريم)، وللمسيح المخلص عندما يعلن عن نفسه، وفى العهد القديم شواهد كثيرة على مالإسم الرب من قوة سحرية.(٥٦)

أما المسيحية فإنها تنبذ أى قسم لا تبرره ضرورة فردية أو اجتماعية، حتى ولو كان صادقا، وإلا فهو من (الشرير)، أى من جرثومة الفساد التى فى القلب البشرى، والتى تحملنا على الكذب، وبالتالى تولد الريبة وضعف الثقة فى الكلام، فقد ورد فى إنجيل متى: "وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البته، لا بالسماء، لأنها عرش الله؛ ولا بالأرض، فإنها موطئ قدميه؛ ولا بأورشليم. فإنها مدينة الملك الأعظم. ولا تحلف برأسك،، لإنك لا تقدر أن تجعل شعرة منه بيضاء أو سوداء، وليكن كلامكم نعم نعم، ولا لا؛ وما يزاد على ذلك فهو من الشيطان"(متى ٥:٣٣-٣٧).

وقد نفر الإسلام من التقليد اليهودى الخاص بتحريم النطق باسم الرب، لإن الإسلام لم يعرف الرهبة من النطق باسم الله، وندد بما جرى عليه اليهود

من كتب إسم الله، وذلك في سورة البقرة. "ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها إسمه" (البقرة ١١٤).

وبالنسبة للحلف باسم الله، فإن الإسلام قد نهى عن الحلف بالله، ولكن ليس الحلف الباطل وحسب، بل حتى الصادق منه إذا كثر وأصبح مدعاة لعدم إحترام إسم الجلاله فيحشر فيما لا يستحقه من الكلام: "ولا تجعلوا الله عرضةً لإيمانكم" (البقرة٢٢٤)، وقد ورد في فهم وتفسير كلمة (عرضة) قولان: أحدهما: لا تجعلوا الحلف بالله عرضة لكثير من كلامكم أو تكثروا القسم ولو كان صادقا. وثانيهما: إذا أقسم المرء على شئ من البر لا يفعله فليفعله ولا يجعل قسمه هذا عرضه بينه وبين الفعل.

ويقول تعالى: "لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم لإيمان"(المائدة٨٩)

ويقول تعالى : "لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور رحيم" (البقرة٢٢٥).

واللغو هو الكلام الباطل الذى لا معنى له، وهذا يعنى أن من أقسم ولا يقصد ذلك - كمن أقسم على الصنف أن يأكل يريد استزادته - فلا تثريب عليه.

ونقل عن بعض السلف - أن اللغو في اليمين هو أن الرجل يحلف على الشئ يراه كذلك فيتبين غيره وتعقيد الإيمان معرفة الشخص المقسم على أنه كاذب فذاك الذى تلزمه الكفارة أما غيره فلا كفارة عليه.

وأشير إلى أن العلماء قد أجمعوا على أن القسم لا يكون إلا بالله أو بإحدى صفاته وعدا ذلك يعد شركا.

الوصية الرابعة:

ترد هذه الوصية في صيغتين

الصيغة الأولى:- "أذكر يوم السبت لتقدسه، في ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك. واليوم السابع سبت للرب إلهك لا تصنع فيه عملا لك أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي في داخل أبوابك. لأن الرب في ستة أيام خلق السموات والأرض والبحر وجميع ما فيها وفي اليوم السابع إستراح، ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه" (سفر الخروج٢٠:٨-١٢).

٢ - الصيغة الثانية:- "احفظ يوم السبت وقدسه كما أمرك الرب الهك، في ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك، واليوم السبت سبت للرب الهك لا تعمل فيه عملا أنت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وثورك وحمارك وسائر بهائمك ونزيلك الذي في داخل أبوابك لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك. وأذكر أنك كنت عبدا في أرض مصر فأخرجك الرب الهك من هناك بيد قديرة وذراع مبسوطة ولذلك أمرك الهك أن تحفظ يوم السبت"(التثنية٥:١٢-١٥).

وهنا نلاحظ الاختلاف الواضح في نص الوصية الرابعة بين صيغة سفر الخروج وصيغة سفر التثنية. لقد وردت الوصية في سفر الخروج في ثلاث وخمسين كلمة عربية، على حين وردت في سفر التثنية في ثمان وستين كلمة عربية. وبالإضافه الى هذا الفارق الكمي، فإن هناك اختلافات واضحة بين الصيغتين:

١ - يرد تبرير الراحة في يوم السبت وتقديسه، في صيغة سفر الخروج، إستنادا إلى أنه اليوم الذي باركه الرب واستراح فيه بعد أن فرغ من

خلق العالم فى ستة أيام. وهذا التبرير بشأن الراحة يوم السبت وتقديسه مرتبط إرتباطا واضحا بقصة الخلق الواردة فى سفر التكوين: "وفرغ الله فى اليـوم السـابع من عـمله الذى عـمل، فـاسـتـراح فى اليـوم السـابع من جميع عمله الذى عمله. وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى خلقه الله ليصنعه" (التكوين٢:٢-٣)(٥٧)، وهذا يعنى أن تقديس السبت كان أمرا إلهيا يعود إلى بدء الخليقة، وليس إلى أيام موسى فحسب.(٥٨)، وهو الأمر الذى يناقض كل المناقضة ما يؤخذ من النص التوراتى التالى: "وكلم الرب موسى قائلا. وأنت فكلم بنى إسرائيل وقل لهم : سبوتى فاحفظوها لأنها علامة بينى وبينكم مدى أجيالكم لتعلموا أنى أنا الرب مقدسكم" (الخروج٣١:١٢-١٣). وهو ما يعنى أن هذه الشريعة ارتبطت فقط بهذا البلاغ الإلهى لموسى لكى يأمر بها بنى إسرائيل.

وقد ورد نفس هذا السبب فى تقديس السبت فى (سفر الخروج٣١:١٦-١٧):

"فليحتفظ بنو اسرائيل السبت وليجعلوا السبت فى أجيالهم عهدا أبديا. هو بينى وبين بنى اسرائيل علامة أبدية لإنه فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفى اليوم السابع استراح وتنفس".

وصيغة هذه الفقرة، بطبيعة الحال، فيها بعض الاختلافات عن نص الوصية الرابعة، فى سفر الخروج الاصحاح العشرين، حيث ترد الاشارة هنا الى السبت إلى إنه "عهد" و"علامة"، كما أن ما صنعه الرب فى ستة أيام، يقتصر فى سفر الخروج٣١ على السماء والأرض، بينما يشتمل فى الخروج ٢٠ على "السموات والأرض والبحر".

"وعلى أى الحالات، فإنه من هذا السبب تتجلى إحدى صفات الرب وهى

إنه خالق العالم وحيث أنه يجب على البشر أن يسيروا فى طريق الرب ويتشبهوا به ويتمسكوا به، فإنهم ايضا يقومون بكل أعمالهم فى ستة أيام ويتوقفوا عن العمل فى اليوم السابع، على غرار ما فعل الرب فى خلق العالم"(٥٩)

٢ - يرد تبرير الراحة فى يوم السبت وتقديسه، فى صيغة سفر التثنية، استنادا إلى أن الرب أخرج بنى اسرائيل من أرض مصر بعد أن كانوا عبيدا فيها: "واذكر أنك كنت عبدا فى أرض مصر فأخرجك الرب الهك من هناك بيد قديرة وذراع مسبوطة لاجل ذلك أوصاك الرب الهك أن تحفظ يوم السبت". وهذا السبب هو سبب شمولى، يتفق مع ما ورد فى مقدمة الوصايا العشر: "أنا هو الرب الهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية"، والذى يتكرر كثيرا فى سفر التثنية، وخاصة إذا مارجعنا إلى النص الوارد فى سفر التثنية: "إذا سألك ابنك غدا قائلا. ما هى الشهادات والفرائض والأحكام التى أوصاكم بها الرب إلهنا ؟ تقول لابنك. كنا عبيدا لفرعون فى مصر فأخرجنا الرب من هناك بيد شديدة. وصنع الرب آيات وعجائب عظيمة وهائلة بمصر وبفرعون وجميع بيته أمام أعيننا وأخرجنا من هناك لكى يأتى بنا ويعطينا الأرض التى حلف لأبنائنا. فأمرنا الرب أن نعمل جميع هذه الفرائض ونتقى الرب الهنا لكى نصيب خير كل الأيام ويحفظنا على قيد الحياة كما فى هذا اليوم. ويكون لنا بر إذا حفظنا جميع هذه الوصايا لنعملها أمام الرب إلهنا كما أوصانا" (التثنية٦: ٢٠-٢٥)، وهذا النص يشير إلى أن تبرير الحفاظ على كافة وصايا الرب هو الاعتراف بالجميل والحفاظ على الولاء له وعبادته لأنه أحسن اليهم، وذلك على النحو الذى ورد فى تفسير ابراهام بنى عزرا: "إن الله قد فدانا من بيت العبودية، وحيث أنه صنع معنا هذا الجميل، فإننا ملزمون بأن نخشى إسمه".(٦٠)

٣ - وردت الصيغة الأولى فى سفر الخروج متضمنه كلمة "أذكر" بما يشير

إلى قدم هذه الشريعة، حيث وردت وصية السبت فى الاصحاح السادس عشر من سفر الخروج ضمن الشريعة الخاصة بالمن. لقد أنزل الله المن من السماء على اليهود أثناء رحلتهم فى سيناء بعد خروجهم من مصر، وكانوا يلتقطون خبزهم يوما بيوم: "ثم كان فى اليوم السادس إنهم إلتقطوا خبزا مضاعفا". فأخبروا موسى: "فقال لهم هذا ما قال الرب غدا عطلة، سبت مقدس للرب، أخبزوا ما تخبزون واطبخوا ما تطبخون، وكل ما فضل ضعوه عندكم ليحفظ الى الغد". وحفظوا ما تبقى عندهم فلم ينتن. فقال موسى: كلوه اليوم، لأن الرب اليوم سبتا. اليوم لا تجدونه فى الحقل، ستة أيام تلتقطونه. وأما اليوم السابع ففيه سبت. لا يوجد فيه ... انظروا إن الرب أعطاكم السبت. لذلك هو يعطيكم فى اليوم السادس خبز يومين. إجلسوا كل واحد فى مكانه .. فاستراح الشعب فى اليوم السابع" (الخروج١٦:٢٢-٣٠).

وهكذا قدسوا السبت فلم يعملوا فيه، ولم يخرجوا للبحث عن طعام، واستراحوا.

٤ - فى صيغة سفر التثنية نجد إشارة إلى بعد إنسانى فى تقديس السبت وهو تمكين الإنسان والحيوان من الراحة بعد ستة أيام من العناء، ودون أن يرتبط الأمر بأن الله استراح فى اليوم السابع: "فى ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك، واليوم السابع سبت للرب الهك، لا تعمل فيه عملا أنت وإبنك وإبنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وسائر بهائمك، ونزيلك الذى فى داخل أبوابك، لكى يستريح عبدك وأمتك مثلك".

ويقول شالوم البك فى معرض تعليقه على وصية السبت والاختلافات فى تبرير تقديسه، فيما بين صيغتى الخروج والتثنية: "يبدو أن هذه السببين يرتبطان كل بالأخر على طريقة العلة والمعلول. فمن أجل ماذا خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام، ومن أجل ماذا استراح فى اليوم السابع، ومن أجل ماذا

أخبرنا بكل هذا فى ثوراته؟ إن القدوس تبارك وتعالى ليس فى حاجة إلى ستة أيام لكى يخلق عالمه وكان بإمكانه أن يخلقه بكلمة واحدة وفى طرفة عين، كما أن الرب ليس فى حاجة لأن يستريح، ولا فى حاجة لأن يخبرنا بذلك. إن الذى أخبرنا هو موسى، والسبب هو لكى نتذكر، أننا أحرار، والأحرار لا يعبدون الله دون راحة، على غرار ما كان الحال عليه فى مصر، حيث أصبحنا عبيدا لله وليس عبيدا للعبيد، ولكى يعرف الإنسان، إنه ينبغى عليه أن يكون حرا وليس عبدا للعبيد، فإنه يجب أن يتوقف عن عمله فى اليوم السابع، وهو فى هذا يتشبه بالله، القادر على كل شئ، والذى لا تفوقه قوة أخرى فى هذا الوجود، والذى توقف عن بنى العمل فى خلق العالم فى اليوم السابع، ومن أجل الاعتراف بهذه الحرية أخرج الله اسرائيل من مصر. وعلى هذا النحو، فإننا نجد فيما بين السبب الوارد فى سفر الخروج، والسبب الوارد فى سفر التثنية، عنصرا مشتركا وهو الراحة فى اليوم السابع حتى يسير فى طريق الله ويتشبه به فى تلك الصفة التى تجلى بها للبشر وهى صفة الخالق للعالم وهيمنته عليه. لقد خلق عالمه فى ستة أيام واستراح فى اليوم السابع، فقط لكى يعلم الناس كيف يتصرفون مع أنفسهم وكيف يتصرفون إزاء عبيدهم وبهائمهم، الذين ينبغى على الإنسان أن يتصرف معها بعدل لكى يتشبه بالرب، على نحو ما جاء تفسير هذا فى الكلمات الأخيرة من الوصية".(٦١)

وقد فسر الحاخامات الاختلاف بين الصيغتين على أن مصدره هو تحطيم موسى للوحى العهد، فلما عاد وأتى بنسخة أخرى من الوصايا كانت النسخة الثانية غير مطابقة للأولى. وقد فسر آخرون هذا الاختلاف، بإنه معجزة محضة، فقد أرسل الله النسختين فى نفس الوقت. وهذا التفسير الأخير له دلالة خاصة، فالصيغتان الأولى والثانية (كما بيننا) يتفقان فى كل التفاصيل تقريبا، ولكن يختلف فقط مصدر القداسة من صيغة لأخرى. فنص سفر الخروج يذكر أن اليوم مقدس، لأنه اليوم الذى استراح فيه الله بعد أن فرغ من خلق العالم؛ ونص سفر التثنية يذكر أن اليوم المقدس، لإنه اليوم الذى أخرج فيه الله اليهود

من أرض مصر. وهكذا نجد أن هناك مساواة فى الصيغتين، بين حادثة خلق العالم، وهى حادثة كونية، وحادثة خروج بنى اسرائيل من أرض مصر، وهى حادثة قومية.

وهكذا ترتبط الطبيعة والتاريخ، ويمنح اليهود عطلة فى يوم السبت لسببين، واحد كونى، والثانى تاريخى قومى. والسبت فى هذا الأمر لايختلف عن سائر أعياد اليهود، التى هى أعياد دينية (تاريخية)، وفى الوقت ذاته (طبيعيه)، حيث يتداخل النسبى بالمطلق والزمنى بالمقدس.

ومما لاشك فيه، على ضوء هذا الاختلاف فى صيغة وصية السبت بين سفرى الخروج والتثنية، أن هذه الوصية بصورتها الحالية، لا يمكن أن ترجع إلى عهد موسى. لقد علم موسى بنى اسرائيل وصايا تناقلتها الأجيال، وعدلوا فيها، وإلا لما كنا نجد اختلافا بين نسختى الوصايا فى الخروج والتثنية. والواقع أن الوصايا التى بين ايدينا تمثل أكثر من عقلية. وتحديد يوم السبت فى الوصايا كراحة لا يمكن أن يرجع إلى عصر موسى، وذلك لأن وجود يوم للراحة فى الحياة البدوية، التى عاشها بنو اسرائيل ليس له أي معنى، وإنما تحديد يوم للراحة يكون ضروريا فى مجتمعات مدنية.، فاليهود فى صحراء سيناء لم يعرفوا يوما معينا يستريح فيه الفرد. ومما يؤيد أن تحديد هذا اليوم لم يكن أساسا من اليهودية، بل فكرة دخيلة عليها، ما ورد فى سفر اشعيا: "رأى الشهر والسبت ونداء الحفل لا أطيقها" (اشعيا ١:١٣).(٦٢)

وقد ذكر دكتور فؤاد حسنين فى كتابه "اليهود واليهودية المسيحية" ما يؤيد الرأى السابق: "الواقع أن الاحتفال بيوم السبت أخذه الاسرائيليون بعد نزوحهم إلى أرض كنعان عن البابليين عن طريق الكنعانيين. ففى بابل وأشور كانوا يقدسون اليوم الأول من الشهر القمرى ثم اليوم السابع "ربع القمر" ثم الخامس عشر".(٦٣)

ومما يؤيد كذلك تأثر اليهود بالبابليين، هو أن البابليين كانوا يسمون احتفالهم بالهلال باسم "شبتو"، وهي تسمية مطابقة تماما للفظة "شابات" العبرية التي تشير إلى اليوم المقدس عند اليهود.

ويقول الحاخام سلمون ملكاه في تفسير هذه الوصية:

"إن قداسة السبت بالطريقه التي يمكن أن نفهمها هي ذلك الشعور الظريف، الشعور بالسعادة وراحة الضمير في يوم السبت. قالوا في "آبوت" أن السبت واحد من ستين من العالم الآتي (الآخرة). ومزية العالم الآتي هي راحة البال وراحة الضمير، كما قالوا أن ساعة واحدة من أعمال البر في هذه الدنيا خير من حياة العالم الآتي، وساعة واحدة من راحة البال في العالم الآتي خير من كل حياة هذا العالم.

فراحة البال في يوم السبت تملك على الإنسان شعوره وتطرد كل فكرة أخرى منه غير فكرة السبت، ولا يعود يفتكر في أشغاله، وهي قوله "ستة أيام تعمل" إلى آخر الستة أيام يكون كل أشغاله منتهية ولا ذكر لها في يوم السبت، وهذا الشعور الحساس يدعى روح إضافية في يوم السبت، وهذا الشعور الشريف يدعى قداسة، لأنها تقرب الإنسان إلى الله، وهذه الروح الإضافية تحل على الإنسان في يوم السبت، والروح شعاع من روح الله كما جاء في المزمور١١٩ "نور الله روح الإنسان".

وإلى هذا الشعور الحي يشير ما جاء في نص الوصية "اذكر يوم السبت" "زيخور"، ولكنها وردت بالعبرية بالفتحة الطويلة "زاخور"، ومعناها "تذكر من نفسك" بدون أن يذكرك أحد، لأن تلك السعادة التي يسعد بها الإنسان تحتل كل مشاعره وتطرد منه كل فكرة أخرى. ويقول "ستة أيام تعمل وتصنع كل عملك" وردت بالعبرية "تعبود" وهو ما يشير إلى أنه قبل أن تباشر أشغالك يجب أن تصلي وتعبد الله، وبعد ذلك تعمل عملك. أما يوم السبت فعطلة من الشغل ولكن لله عبادة وصلاة.

والسبت فى التقاليد اليهودية هو "ملك الأيام" ولذلك فقد ورد ذكره فى العهد القديم فى ستة وثلاثين موضعا، وبما أن هذا اليوم مخصص للرب فيجب الامتناع فيه عن ممارسة كل الأعمال الدنيويه: "ستة أيام تقوم فيها بأداء عملك أما اليوم السابع فهو سبت للرب إلهك". ومعنى هذا أن على اليهودى أن يعد كل ما يلزم فى يوم السبت فى اليوم السابق له وهو يوم الجمعة. ومما يذكر فى "الزوهار" (الضياء)، وهو كتاب المتصوفة من اليهود "القابالبين" (المتصوفون) عن النص: "لذلك بارك الله يوم السبت وقدسه"، إن الرب كان ينزل المن فى يوم الجمعه ضعف ما كان ينزل كل يوم تحضيرا ليوم السبت وقدسه بالمن فكانوا يبقونه ولا يفسد". وقد جاء فى اشعيا ٥٨:١٣ :"تدعو السبت هناءة ولذة ومقدسا للرب مكرما وتكرمه عن عمل طرقك وعن ايجاد مسرتك"، أى أنه يمكنك إكرام السبت عن طريق المسرات، من أكل ما لذ وطاب ولبس أغلى وأنفس الثياب، وبكل هذا أنت تكرم السبت وتمجد الله. ولذلك يقولون فى السبت "شابات شالوم" أى "السبت سلام"، ومغزى هذا أن الجن والروح دائما فى خصام ونزاع حول من يفوز منهما، ولكن فى يوم السبت يكون السلام سائدا بينهما وهاهى الروح توافق فى السبت أن ينال الجسم قسطه من الملذات ويمجد اسم الله وتحل البركة بوجود السلام".(٦٤)

ولكن وصية السبت وردت فى صيغها المختلفه بطريقة النهى، وتنص على تحريم العمل دون أن تتضمن أمرا بما يجب على اليهودى أن يفعله يوم السبت. صحيح، أنه قد ورد، أنه يجب تقديس السبت، ولكن السبت يقدس عن طريق عدم القيام بأى عمل فيه، إن الوصية لم تحدد، ما هى الأعمال التى يجب على اليهود أن يفعلوها لكى يقدسوا السبت وكيف يتصرفون فى يوم السبت لتقديسه.

وقد عدد حكماء التلمود تسع وثلاثون عملا، تسمى بالعبرية "لط ملاخوت" (حيث أن حرف اللام يقابل الرقم ٣٠ وحرف الطاء يقابل الرقم ٩) تعتبر من الأعمال المحرمة فى يوم السبت، ويحكم على من يمارسها الموت (تلمود، أفوت ملاخوت).

وبالرغم من هذا، فقد تفنن فقهاء اليهود فى تفسير الكف عن العمل يوم السبت، فحرموا كل ما من شأنه أن يشعر بالسعى فى الرزق أو الانشغال بحرفة أو صناعة أو إنتاج أو بذل جهد فى تحقيق هدف معين، فقد حرموا ايقاد النار يوم السبت، وإن كان أكثرهم قد أباح بقاء النار التى اشتعلت قبل الدخول فى السبت، والانتفاع بها فى يوم السبت نفسه، كأن توقد الأنوار والشموع والقناديل والافران ونيران المطابخ والمدافئ والمواقد بعد ظهر الجمعه لاستخدامها ليلة السبت. كذلك حرموا السفر فى هذا اليوم، كتحريم ركوب الدواب قديما، وتحريم إيقاد النار التى تنطبق بها الوصية على وسائل المواصلات الحديثة، كالقطار والسيارة، والباخرة، والطائرة، التى تعتمد كلها فى سيرها على النار، وجعلوا كذلك من السفر عبور الجداول والأنهار أو الانتقال بحرا، كذلك يحرم فى يوم السبت إنفاق النقود أو تسلمها، فهذا كله عمل أساسه البيع أو الشراء، أو أية أنواع أخرى من الاكتساب والأخذ والعطاء بين الناس. ومما يحرم فى يوم السبت الكتابة، لإنها فى عرفهم تستخدم لإبرام العقود وعقد الاتفاقات مما يدخل فى مفهوم العمل، لذلك جرى العرف على ألا يخرج اليهودى المتمسك بتعاليم السبت، إلا بعد أن يتأكد من أن جيوبه ليس فيها أقلام، ولا أوراق، ولا نقود، ولا كبريت، ويخرج أكثر اليهود إلى المعبد، وليس معه إلا كتاب التوراة، أو كتاب الصلوات "السدور". وبطبيعة الحال كذلك يحرم عقد الزواج يوم السبت، لاحتياج ذلك إلى الكتابة، ودفع الأموال وقبضها أو الإعداد للزفاف ونحو ذلك كذلك تحرم فى يوم السبت الحرب الهجومية.(٦٥)

وقد ورد فى سفر إرميا بخصوص ما هو محرم القيام به يوم السبت: "هكذا قال الرب تحفظوا بأنفسكم ولا تحملوا حملا يوم السبت ولا تدخلوه فى أبواب أورشليم. ولا تخرجوا حملا من بيوتكم يوم السبت ولا تعملوا شغلا، بل قدسوا السبت كما أمرت أباءكم" (إرميا١٧:٢١-٢٣).

وقد تشددت الشريعة اليهودية فى عقوبة من يمارس أى عمل دنيوى من

اليهود فى يوم السبت وجعلت جزاءه الموت: "فاحفظوا السبت فإنه مقدس لكم، ومن خرقه يقتل قتلا كل من يعمل عملا فيه تنقطع تلك النفس من شعبها. فى ستة أيام تصنع الأعمال وفى اليوم السابع سبت عطلة مقدس للرب كل من عملا عملا فى يوم السبت يقتل قتلا" (الخروج٣١:١٤-١٥). وتكررت هذه العقوبة كذلك فى النص التالى: "فى ستة أعمال تعمل أعمالك واليوم السابع يكون لكم مقدسا سبت عطلة الرب كل من عمل فيه عملا يقتل" (الخروج٢٥:٣) وهذه العقوبه لا تنطبق على بنى اسرائيل فقط بل على كل غريب دخيل معهم فى أرضهم استنادا الى ما ورد فى نص الوصية "نزيلك الذى فى داخل أبوابك"، فقد ورد فى سفر العدد ما يلى: "للمواطن من بنى اسرائيل وللنزيل النازل فيما بينهم شريعة واحدة تكون لمن أخطأ سهوا، وأما النفس التى تتعمد الخطيئة من الوطنيين أو الغرباء فهى تزدرى بالرب فتقطع تلك النفس من بين شعبها. لإنها احتقرت كلام الرب ونقضت وصيته، قطعا تقطع تلك النفس ذنبها عليها" (عدد ١٥:٢٩-٣١).

وقد طبقت هذه الشريعة بالفعل على أحد بنى اسرائيل فى عصر موسى (عليه السلام)، حسبما يشير إلى ذلك، النص التالى:

"ولما كان بنو اسرائيل فى البرية وجدوا رجلا يحتطب حطبا فى يوم السبت، فقاده الذين وجدوه يحتطب حطبا إلى موسى وهارون وكل الجماعة. فألقوه فى السجن لإنه لم يتبين ما يصنع به. فقال الرب لموسى بقتل الرجل قتلا ترجمه بالحجارة كل الجماعة خارج المحلة ورجموه بالحجارة فمات كما أمر الرب موسى" (العدد ١٥:٣٢-٣٦).

ولم تقف حدود عقوبة تدنيس قدسية يوم السبت على الافراد فحسب، بل أن العقوبة كانت تحل أحيانا بكل جماعة بنى اسرائيل بسبب تدنيسهم ليوم السبت، حيث نقرأ عن ذلك فى سفر حزقيال: "فتمرد على بيت اسرائيل فى البرية، لم يسلكوا فى فرائض ورفضوا أحكامى التى إن عملها نجا منها

ونجسوا سبوتي. فقلت إني أسكب رجزي عليهم في البرية لافنائهم" (حزقيال ٢٠:١٢-٢٦).

وقد وردت إشارة إلي قدسية يوم السبت عند اليهود، في القرأن الكريم، وكيف أن الله سبحانه وتعالى، جازى الذين تعدوا حرمة هذا اليوم، بالعقاب:

"وسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت، إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون" (الاعراف١٦٣).

والخطاب في هذه الآية، موجه إلى الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، أن إسأل اليهود عن تلك القرية التي كانت بجانب البحر، والتي كانوا يعتدون فيها على حرمة يوم السبت بالصيد.

وقد كان الله يبلو الذين يدنسون حرمة السبت بحرمانهم من الحيتان، في حين أنه كان يجعل الحيتان تأتيهم إذا كفوا عن العمل، وفق ما تأمرهم به الشريعة اليهودية،

ويحدد القرأن الكريم، أن هذا الصنف من بني اسرائيل، ممن أصر على المعصية بنقض شريعة السبت، قد حل بهم عذاب شديد، لإنهم نسوا ما ذكروا به: "فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفعلون" (الاعراف١٦٥)

وبرغم النهي التام عن ممارسة أي نوع من أنواع العمل، في يوم السبت، سواء كان لصالح المعيشة الفردية أو الجماعية، فإن هناك بعض الظروف الاستثنائية، أجازت فيها الشريعة اليهودية مباشرة بعض الأعمال، في يوم السبت،ومنها:

١ – عملية الختان، إذا تصادف حلول اليوم الثامن من عمر المولود، في يوم السبت.

٢ - فى حالة المرض أو الولادة حيث يمكن استدعاء الأطباء وعمل الإسعافات.

٣ - فى حالة الحريق وما تستدعيه عملية إنقاذ الأوراح.

٤ - فى حالة وقوع منزل، وما يستدعيه ذلك من نقل الامتعه وإنقاذ الأرواح(٦٦)

٥ - إذا أعلن الكاهن اليهودى أن اليهود فى خطر اعتبرت الحرب دفاعية، وجاز دورانها فى يوم السبت، ولذلك نلاحظ أن قادة الكيان الصهيونى، فى الوقت الحاضر، حريصون على اظهار حروبهم، أمام الرأى العام العالمى واليهودى، بإنها حرب دفاعية، حتى يتخلصوا من مشاكل السبت وغيرها من مشاكل الحرب الهجومية المحرمة فى يوم السبت، كضرورة للحصول، فى حالة التعبئة للحرب الهجومية، على إذن الاستنفار من المجلس الدينى الأعلى.(٦٧)

ولقد لجأ الحاخامات اليهود، من جانبهم كذلك، إلى سن تشريعات اضافية، من أجل التخفيف من قوة الممنوعات، التى يجب على اليهودى المتدين الالتزام بها، فى يوم السبت وتتضمن هذه التسهيلات ثلاثة أنواع، يطلق عليها اسم "عيروفيم" (تعديلات الحاخامات بشأن ممنوعات يوم السبت) وهى تسهيلات لا سند لها فى التوراة، وهى:

١- "عيروفي هتساروت" (التعديلات المتعلقة بحدود الأحواش): وهي تتعلق بقضية تنص عليها الشريعة اليهودية، وهي تحريم إخراج شئ في يوم السبت من الفرد للجماعة،. وقد حرم الحاخامات كذلك اخراج شئ من فرد لآخر. ولكن عن طريق اشتراك كل القاطنين في الحوش، في المأكل والمشرب المشترك، تلغي الحدود الخاصة بكل فرد، على حدة، ويسمح لقاطني الحوش أن يخرجوا ما يشاؤون من البيت إلى الحوش في يوم السبت، ويتضمن هذا التسهيل كذلك، "الاشتراك في الداخل"، أي أن القاطنين في أحواش تابعة لمدخل واحد، يصبح هذا المدخل مشتركا بينهم جميعا، ويسمح لهم بأن يخرجوا ما يشاؤون من أحواشهم إلى هذا المدخل.

٢- "عيروفي تحومين" (التعديلات المتعلقه بالحدود): فوفقا للشريعة اليهوديه (الهالاخا) يحرم على الشخص أن يخرج في يوم السبت خارج حدود منزله أكثر من الفي زراع أي ما يزيد قليلا عن نصف ميل، وتسمى "تحوم شبات" (حدود السبت). ولكن الحاخامات سمحوا بتداخل هذا الحد وتوسيعه، وذلك عن طريق أن يقوم الشخص ليلة يوم السبت عند الغروب بالتوقف عند نهاية الحد المسموح له شرعا، وبذلك فإنه يحدد لنفسه حدا للسبت الجديد، يتمثل في إمكانية تحركة لمسافة ألفي ذراع أخرى من مكان تواجده الجديد، كما يسمح له بالعودة إلى مكان "العيروف" (المنطة المسموح فيها بالتداخل) والتحرك لمسافة ألفي ذراع أخرى من هذا المكان، وهكذا.

٣ - "عيروفي تيشيليني" (التعديلات المتعلقة بالطبخ): موفقا للشريعة اليهودية يحرم إعداد أكلات في "بداية الشهر" (يطلقون عليه "يوم طوف" (يوم العيد أو السرور) وهو اليوم المتمم لنهاية الشهر العبرى)، من أجل يوم السبت، ولذلك فإنه عندما يحل هذا اليوم ليلة السبت يسمح الحاخامات لليهودي بأن

يبقى شيئا مما يطبخه من أكلات بهذه المناسبة من أجل يوم السبت، وبواسطة هذا أصبح من المسموح به إعداد أكلات فى "يوم طوف" من أجل السبت، وذلك من خلال تداخل طبخ هذا اليوم مع طبخ يوم السبت، على أساس أن الإعداد للسبت من الممكن أن يبدأ خلال اليوم غير المقدس السابق له(٦٨)

وهناك بعض أيام السبت لها قدسية خاصة عند اليهود، نذكر منها:

١ - "شبَّات جادول" (السبت الكبير): وهى تسمية تطلق على السبت السابق على عيد الفصح، بسبب المعجزات الكبرى التى حدثت فيه لبنى اسرائيل، كما تطلق كذلك على "الهفطارا"(٦٩) التى يقرأونها فى هذا اليوم. وقد ورد فى هذه "الهفطاراه": "هاأنذا أرسل لكم اليـاهو النبى قبل حلول يوم الخميس الكبير والرهيب"، وفى السبت الكبير يقرأون بعد الظهر "هاجادا شل بيسح" (هاجادا الفصح)، إبتداء من "كنا عبيدا" حتى "لنكفر عن آثامنا"، ويلقى الحاخام موعظة حول تشويعات العيد، وقد أطلقت تسمية "السبت الكبير" كذلك، على السبت السابق لرأس السنة، و"عيد المظال" و"عيد الاسابيع"، حيث يلقى الحاخامات مواعظ عن العيد وتشريعاته.

٢ - "شبَّات حازون" (سبت النبوة): هو السبت السابق للتاسع من آب (أغسطس)، ويقرأون فيه "نبوءة اشعيا" (حازون يشعيا هو)، الواردة فى سفر شعيا الاصحاح الأول، بأنغام سفر إيخا(٧٠). وقد اعتادوا فى سبت النبوة، عدم ارتداء ملابس السبت، ويقتصرون على ارتداء الملابس الداخلية القطنية فقط. وفى أماكن كثيرة، اعتاد اليهود على أن يفرشوا على تابوت العهد فى يوم سَبت النبوة طبقة من الوحل أو التراب ويترنمون بترنيمة إيخا، وقد كان اليهود فى "عصر الجاوونيم"(٧١) يطلقون على هذا السبت سبت "إيخا" نسبة الى "مجيلاة إيخا" التى كانوا يقرأونها يوم السبت.

٣ - "شبَّات نحموا" (سبت التعزية): وهو السبت التالى للتاسع من آب

(أغسطس)، ويقرأون فيه الاصحاح الاربعون من سفر إشعيا "عزوا عزوا شعبي".

٤ – "شبّات شوبا" (سبت التوبة): وهو يوم السبت الذى يبدأ بأيام التوبة العشرة[٧٢]، وسمى بهذا الاسم نسبة الى الجزء الذى يقرأ فيه، وهو من سفر يشوع الاصحاح الرابع عشر: "ثب يا إسرائيل (يشوع ١٤:٢-١٠)، ويسمى هذا السبت كذلك "شابات تشوفا"، وتعنى ايضا "سبت التوبة" حيث أن كلمة "شوبا" تعطى نفس مدلول كلمة "تشوفاه" فى العبرية.[٧٣]

٥ – " شبّات مبارخين" (سبت البركة) : وهو السبت الذى يسبق الشهر الجديد، وتشارك المرأة فى طقوس هذا السبت الذى يتكرر كل عام حتى فى تلك المجتمعات التى لا تشارك فيها المرأة فى طقوس السبت العادية.

٦ – " شبّات روش حوديش" (سبت بداية الشهر) : وهو السبت الذى يصادف أول الشهر حيث تضاف قراءة من التوراة من أجل "قمر جديد"، كما تقرأ "الهفطاراه"، ويتكرر هذا السبت كل عام أيضا.

٧ – " شبّات شيرا" (سبت الغناء)، ويحل هذا السبت عند الوصول إلى قسم معين من التوارة (أغنية البحر)، ويقع بين العاشر والسابع عشر من شهر شباط (فبراير).

٨ – " شبّات شقاليم" (سبت الشواقل) : وهو على إسم الجزء الذى يقرأ من سفر الخروج (الإصحاح ٣٠ : ١١ – ١٦) الذى يقراءه اليهود يوم السبت السابق على بداية شهر آذار (مارس)، أو فى بداية الشهر نفسه إذا ما حل يوم السبت، ذكرس العادة التى كانت متبعة فى عصر الهيكل اليهودى عندما كانوا بعلنون على أسماع بنى إسرائيل عن ضريبة نصف "الشيقل" (العملة اليهودية القديمة) التى تدفع عن كل رأس كمساهمة للهيكل.

٩ - "شبات زيخور" (سبت الذكرى) : وهو السبت الذى يحل قبل "عيد البوريم" (عيد المساخر) الذى يحتفلون فيه بذكرى خلاصهم على يد إستير فى ١٤ أو ١٥ آذار، حيث يقرأون فيه فى التوراه الجزء الذى يقول "أذكر مافعله بك عماليق".

١٠- " شبات بارا" (سبت البقرة) : وهو السبت الذى يقرأون فيه فى سفر الخروج الجزء الذى يتحدث عن قصة "البقرة الحمراء"

١١- " شبات هحوديش" (سبت الشهر) : ويأتى فى اليوم الأول لشهر نيسان (أبريل)، وهو الشهر الذى تبدأ به السنة العبرية.

١٢- " شبات كلاً" (سبت العروس) : وهى تسمية سائدة لدى اليهود السفارديين للسبت الذى يسبق "عيد الأسابيع"، وذلك على أساس أن التوراة تمثل لديهم دائما بالعروس.

١٣- **السنة السبتية** : وهى السنة السابعة التى تأتى بعد كل ست سنوات حسب التقويم العبرى، وتسمى هذه السنة أيضا (سنة التبوير)، وبالعبرية سنة (شميطاه) كما تسمى أيضا (سنة الأبراء) و (سنة العتق) وهذ تتضمن ثلاثة أمور على اليهودى القيام بها حسب (أوامر الهلاخا) :

أولا : ترك (أرض إسرائيل) بوارا من أجل إراحتها، والتوقف عن كل الأعمال الزراعية خلالها، حتى يباركها اللّه فى السنوات القادمة.

ثانياً : عدم قطف الثمر حتى يتمكن الفقراء والحيوانات البرية من الأكل منه، وتحول ماتبقيمنه إلى سماد طبيعى.

ثالثاً : إلغاء ديون اليهود عن الآخرين من يهود وغيرهم عن طريق المسامحة والتنازل، لأن هذه السنة هى سنة العتق، (Year of release)، ويجب أن لا تمنع هذه السنة اليهود من إدانة المال لمن يحتاجه تفريجا عن المحزونين والمغمومين والمحتاجين، وذلك كما تقرر

(الهلاخا)، ولأن هذه السنة هى (سنة عتق) فيجب فيها إعتاق كل العبيد اليهود أيضا. ويذكر أن عام ١٩٨٧/٨٦م كان سنة سبتية، وسيكون عاما ١٩٩٤/٩٣م، و ٢٠٠١/٢٠٠٠م سنتين سبتيين.

(١٤) **سنة اليوبيل** : وهى السنة التى تلى سبع سنوات سبتية، بعبارة أخرى هى السنة الخمسون التى تأتى بعد كل ٤٩ عاما، وحكمها حكم السنة السبتية، وهذا يعنى أن الأرض ستستريح لمدة عامين متتاليين.

تقاليد يوم السبت عند اليهود:

يبدأ يو السبت عادة، وفقا لأحكام الشريعة اليهودية، مع غروب شمس يوم الجمعة، ويطلق عليه "ليل شبات" (ليلة السبت)، ويستمر حتى غروب شمس يوم السبت، ويسمى "موتسائى شبات" (نهاية يوم السبت)(٧٤).

وتبلغ مدة السبت خمسا وعشرين ساعة غالبا من الساعة الرابعة مساء الجمعة، وتنتهى فى الخامسة من مساء السبت.

وقد شبهت "القابالاه" (كتاب التصوف عند اليهود) يوم السبت بالملكة والعروس، التى تريد أن تنفرد بإسرائيل عريسها. واستقبال يوم السبت، استنادا لهذا، هو "دخلة العروس" (هخناسات هاكلا) ؛ وتوديع السبت هو "مرافقة الملكة" (ملفه ملكاه). وقد جرت العادة عند اليهود أن يقوموا بالاستعداد من أجل يوم السبت، تماما كما يستعد العريس لاستقبال الملكة والعروس، ويتم اللقاء بينهما بالطعام والشراب وبكل أنواع الترف والملذات، وعلى الأخص عن طريق دراسة التوراة. كذلك فإن كل الأشخاص الذين يظلون طوال الاسبوع مشغولون بأعمالهم، مثل أصحاب الحرف، وربات البيوت، كانوا يخصصون يوم السبت للقراءة فى التوراة. وعلى اليهود أن يستقبلوا يوم السبت بتقليم أظافرهم بادئين بالإصبع فالسبابة فالخنصر فالوسطى فالإبهام، ولا يلقون أظفارهم إلى الأرض، لأن الشيطان يتخذ منها وسيلة لإيذائهم .

واستنادا الى حكماء اليهود فإن اليهودى يتلقى "روحا زائدة" فى يوم السبت، ويكون سبب الوحى الروحى الذى يسود منزله هو وجود "الملائكة" الذين يرافقونه فى ليالى السبت من المعبد إلى منزله، ومن هنا جاءت عادة ترديد أغنية تقول "السلام عليكم يا ملائكة الرحمة" عند الدخول الى المنزل.(٧٥)

وقد كانت من تقاليد اليهود فى العصور القديمة، إنهم كانوا يجتمعون فى نهاية يوم السبت ويقيمون الولائم على غرار ما يفعلون فى ليلة السبت، ومع حلول الظلام يوقدون الشموع مع قنينة عطور ويباركونها ويغنون أغنية "إلياهو النبى... يأتى الينا مع المسيح بن داود"، لإنه وفقا لما هو وارد فى التلمود. يأتى الياهو النبى فى ليلة السبت، لذلك يذكرون فى "نهاية يوم السبت" أنه يستطيع أن يأتى الآن، لإنه حينما سيأتى ستكون معه البشرى الطيبة بمقدم المسيح.(٧٦)

وبالنسبة لتقاليد يوم السبت عند الطوائف اليهودية فى أمريكا، فإن أفراد الاسرة يجتمعون لاستعادة الذكريات، حيث يأتى الاطفال الذين بلغوا مرحلة الشباب وتزوجوا لكى يشتركوا فى الاحتفال مع بقية الأفراد، كما يشترك الأجداد والآباء والأخوة والأخوات فى الشعور بارتباط أفراد الأسرة عندما يدعو الأب قائلا: "ادعو الله أن يباركم جميعا ويحفظكم فى هذا اليوم المقدس". وعادة يكون هذا اليوم حافلا بجميع أنواع الترف، وبألوان خاصة من الطعام وأرغفة مستطيلة من الخبز، ومشروبات من النبيذ الحلو للتبرك فى يوم السبت، وأغطية بيضاء جديدة لموائد الطعام، وشموع كبيرة تضئ المكان، وأفضل أنواع الصحون المصنوعة من الخزف والفضة، وباقات الزهور بمختلف أنواعها، كما يشترك فى الاحتفال الكبار والصغار بملابسهم الزاهية.

ومن تاريخ يوم السبت يتضح كيف تطور طابع هذا اليوم على مر القرون، فكانت بعض طوائف اليهود فى العصور الوسطى تستعيد فى هذا اليوم ذكريات الآلام والأحزان، وكانت مجموعة "الحسيديم" (الاتقياء) يصرون على أن الله قد أمر بأن يكون السبت خاليا من جميع أنواع بهجة الحياة الدنيا، حيث

جاء فى التوراة: "يجب ألا تضئ شمعة واحدة فى يوم السبت"، ولكن ما لبثت التقاليد أن تطورت وأصبح هذا اليوم فترة هناء وسرور فى جميع الأوساط اليهودية، وفسر التقليد القديم "يجب ألا يكون هناك لهيب شمعة واحدة.." بأن المقصود بهذا اللهيب هو الغضب وسوء التفاهم، وإن هذا اليوم المقدس يستدعى الشعور بهدوء البال وراحة الضمير وسمو الروح، مما يؤدى إلى ارتباط أفراد الأسرة على أسس من المودة والمحبة والقيم الأخلاقية.

وبصورة عامة يخصص يوم السبت لإقامة الشعائر الدينية فى المعابد اليهودية، ويحسب هذا اليوم عند اليهود الأرثوذكس قبل غروب الشمس فى يوم الجمعه ويواصلون العبادة والصلاة حتى مساء اليوم التالى. وأما المحافظون وطائفة الاصلاح الدينى فيستمرون فى تأدية الفروض الدينية حتى وقت متأخر من المساء حيث يقضون ساعة فى اللهو والسرور بعد الانتهاء من الصلاة.

وتقضى المجموعات الثلاث صباح يوم السبت فى العبادة، حيث يتلون جزءا من كتاب التوراة، وبعد الظهر يواصل كل من طوائف الأرثوذكس والمحافظين اقامة الصلاة، كما يتلون جزءا من التوراة المقرر تلاوته فى الأسبوع التالى.

وبالرغم من اختلاف الطقوس الدينية إلى حد ما بين الطوائف الثلاث عند اليهود الأمريكين فإن صلواتهم تتفق فى صيغة واحدة، حيث يبتهل الأرثوذكس والمحافظين بالدعاء: "يا إلهنا وإله آبائنا وأجدادانا نتوسل اليك أن تجعل لنا مقعد صدق لديك، وأن تنعم علينا بالخير والبركات وإن ترحمنا بعدلك وإحسانك وأن تنقذنا من الشرور والآثام، وأن تصبح قلوبنا صافية لكى نعبدك حق عبادتك".

وهناك عدد قليل من الصلوات تمتاز عن الطقوس الدينية التى تقيمها طائفة الاصلاح الدينى من حيث الاهتمام بهذا اليوم المقدس، إذ يرتل اليهود أثناء تناول أقداح النبيذ هذا الدعاء:- "ليكن هذا الرمز من السرور تذكرة لنا

بفضل الله علينا، ونشكر الله على نعمته علينا فى الأسبوع الماضىَ فقد وهبنا الحياة والصحة والعافية ومما نستمتع به من مسكن ومحبة وصداقة، وأتاح لنا التغلب على رغباتنا وشهواتنا وجعلنا نشعر بالسعادة بعد تأدية واجباتنا، وأمدنا بنور من عنده فى يوم السبت لكى نقضى هذا اليوم المقدس فى الصلاة والعبادة".

وقد جرت العادة كذلك، بالنسبة لليهود، أن يقوموا بقراءة المزمور ٩٢ فى المعبد يوم السبت، وذلك قبل صلاة العشاء "عرفيت"(٧٧).

وبالنسبة لليهودى المعاصر، من المفروض أن يتوقف عن كافة المعاملات التجارية أو ممارسة أى عمل دنيوى، مثل إغلاق الأبواب بالمفاتيح، أو قيادة السيارات، أو شراء الصحف، وتحرير الرسائل، أو استعمال المذياع، أو التيفزيون، أو وسائل المواصلات، أو إشعال المصابيح الكهربائية ومواقيد الغاز لطهى الطعام، أو إشعال الشموع، وغيرها من الأعمال التى يلجأون، فى غالب الاحيان (فى دولة الكيان الصهيونى) إلى الاستعانه بالعرب فى الأرض المحتلة للقيام بها.

وقد أدرك المستوطنون اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين، ودولة إسرائيل من بعدهم، صعوبة الإلتزام بقيود السبت، كما هى فى "الهلاخا" فانقسم اليهود فى (إسرائيل) إلى فريقين : الأول : أدار ظهره للسبت وقيوده، وتحلل من الالتزام به، وهذا الفريق يشكل حوالى ٧٥٪من المجتمع الرسرائيلى. والثانى : حاول الإلتزام ببعض قيود السبت التى يتحملها، و (التحايل) على البعض الآخر، الذى يعصب عليه، عبر سلسة من (الفتاوى) المطاطية، وهذا الفريق يشكل حوالى ٢٥٪ من المجتمع الإسرائيلى أغلبهم من المتدينين ومن "الحريديم" (المتشددون دينيا، الدين يربون النوائب ويطلقون الذقون).

ولعل من أوضح هذه "الفتاوى الاحتيالية" تلك المتعلقة "بحدود السبت" حيث تقيم بعض المدن الإسرائيلية سوراً رمزيا على حدود المدينة حتى تصبح المدينة

كلها وكأنها بيت واحد. وبذلك يتمكن كل يهودى من التجوال فى المدينة كما يشاء معتقدا أنه لا يتجاوز "حدود السبت". أو قد يتم وضع طعام كاف لوجبتين فى مكان يسهل الوصول إليه عشية السبت، وذلك على أبعد نقطة من حدود السبت وعند الوصول إلى الطعام الموضوع على أبعد نقطة فإنه يُعتبر مكان إقامة مؤقت، وفى هذه الحالة يسمح بتجاوز "حدود منطقة السبت"، ومن هذه الفتاوى أيضا استثناء الثلاجة من الأجهزة الكهربائية التى يحرم استعمالها فى يوم السبت، معللين ذلك بأن الضوء الناشئ من عملية فتحها أو إغلاقها هو ضوء عرضى (طارئ) لا يلفت الانتباه ،وبعضهم يلجأ إلى تعطيل عمل المصباح الداخلى للثلاجة قبل دخول السبت، وبعضهم يلجأ إلى إستخدام الأجهزة الكهربائية المحرمة يوم السبت عن طريق إستخدام جهاز تشغيل أوتوماتيكى يتم تشغيله قبل دخول السبت. ومن أجل عدم إضاعة كميات الحليب التى تنتجها مزارع البقر، يتم فى بعض "الكيبوتسات" الدينية إستخدام "آلة أتوماتيكية" لحلب البقر يوم السبت(٧٨)، ويلجأ بعض أصحاب المصانع والورش إلى الدخول فى شركة وهمية مع غير يهود لتمكين ورشاتهم من العمل يوم السبت، ومن أجل تحليل إقامة مباريات كرة القدم يوم السبت، أفتى الحاخامات بجوار ذلك شريطة أن يتم بيع التذاكر يوم الجمعة قبل دخول السبت، وهو ماتم الأخذ به فى كثير من المدن.

وهكذا أيضا جرى التعامل مع السنة السبتية "شميطاه" التى أثارت كثيرا من النزاعات قبل قيام إسرائيل وبعدها، بل إن النزاع حول هذه القضية يعود إلى فترة مبكرة جدا من تاريخ الصهيونية، ففى عام ١٨٨٩م إحتدم النقاش بين المستوطنين الأوائل فى فلسطين حول ما إذا كان مباحا إقرار بيع جماعى لكل المحصولات الزراعية اليهودية لغير اليهود، وأن يقوم غير يهود بالعمل خلال (شميطاه) بدلا من اليهود من أجل عدم خسارة إنتاج الأرض، ففى حين وافق بعض المستوطنين على هذا الحل، فإن غلاة الأورثوذكس رفضوه بشدة(٧٩).

وبعد قيام (إسرائيل) واجه المجتمع الإسرائيلى مأزق سنة (الشميطاه) هذا، مما أضطر "الحاخامية الرئيسية" (هربانوت هراشيت) إلى اللجوء إلى "الفتاوى الإحتيالية" مرة أخرى، حين زعمت أنه بإمكان بيع الأراضى اليهودية صوريا لأشخاص غير يهود وذلك للتخلص من قيود وواجبات (السنة السبتية). ومنذ قيام إسرائيل دأبت "الحاخامية الرئيسية" على بيع هذه الأراضى لعربى بصورة صورية كل سبع سنوات. إلا أن "الحريديم" (اليهود المتشددون دينيا) يرفضون هذه الفتوى ويعتبرونها تحايلا على الله، وقد اعتاد من يمتلك الأراضى منهم تركها بوراً فى سنة "الشميطاه" وخزن كميات من المحاصيل وخاصة القمح لطحنه وإستخدامه فى تلك السنة، كما إعتادوا شراء الخضار والفواكه من التجار والمزارعين العرب فقط.

وبالرغم من مرور ست سنوات " تبوير " على إسرائيل منذ إنشائها إلا أن "الحريديم" لم ينجحوا فى إملاء موقفهم على المجتمع الإسرائيلى ، ولا مرة واحدة، وذلك فى سنة التبوير الأخيرة التى صادفت عام ١٩٨٧/٨٦م ، لأن الأحزاب الدينية كانت تشكل فى ذلك العام الثقل الذى يمكنه ترجيح الكفة لصالح أحد الحزبين الكبيرين ، مما جعل الحكومة ترضخ لمطالب " الحريديم " واضطرت إلى طلب مساعدة الولايات المتحدة، التى وافقت على تسوية يتم بموجبها تحويل القمح الإسرائيلى إلى مصر بدلاً من تزويد مصر بالقمح الأمريكى ، على أن تقوم الولايات المتحدة بتزويد إسرائيل بنفس الكمية من القمح الأمريكى ، وأن تتحمل أيضا الفوارق فى الأسعار ونفقات الشحن التى بلغت فى حينها قرابة عشرة ملايين دولار.

وقد لاحقت الفتاوى الاحتيالية "سنة اليوبيل" التى يصعب بل يكاد يكون من المستحيل تطبيقها فى (إسرائيل) ، وذلك لأن تبوير الأرض لمدة عامين متتاليين سيلحق بها وبأصحاب الأراضى خسائر جسيمة غير محتملة ، فتطوع بعض الحاخامات لحل هذه المعضلة الشائكة وأفتوا بأن طقوس والتزامات هذه السنة

لا تتحقق إلا بعودة جميع اليهود من "الشتات"، وهكذا أصبح المجتمع الإسرائيلى فى حل من سنة اليوبيل بعد هذه الفتوى التى قصمت ظهرها ربما إلى قيام الساعة(٨٠).

ولم تكن هذه الفتاوى الدينية كافية وحدها لتخفيف قيود السبت على المجتمع الإسرائيلى، وإرضاء رغبات مواطنيه، وحفظ مصالح الدولة نفسها، فصدر قانون العمل عام ١٩٥١، ليقر يوم السبت باعتباره يوم عطلة أسبوعية، تتوقف فيه جميع النشاطات، إلا تلك المتعلقة بمصالح الدولة والمرتبطة بأمنها أو بحياة الإنسان وصحته، وقد أخذ هذا الرستثناء معنى مطاطياً، فبحجة الخوف على مصالح الدولة وأمنها، والحرص على حياة الإنسان، يتم يوم السبت تشغيل شبكات المياة والكهرباء والهاتف والاتصالات اللاسلكية، وبث البرامج الرذاعية والتلفزيونية والقيام بالإتصالات الدبلوماسية، وتحريك أجهزة الأمن المختلفة والجيش والشرطة وفق احتياجات الأوضاع، كما يتم تشغيل المؤسسات والمصانع الكبرى، والفنادق، والمطارات والطائرات، والمؤسسات الإعلامية والمستشفيات والمزارع الحيوانية، كما تعتقد الاجتماعات بمختلف أنواعها وأغراضها، والمباريات الرياضية، ويتم تشغيل أى عمل آخر ينتج عن توقفه أى ضرر للدولة وأمنها أو للأمن والسلامة الشخصية، أو للملكية العامة والخاصة أو لجودة الصناعة(٨١).

ويتم تفسير المبادئ الواردة فى الفقرة السابعة بمطاطية كبيرة، ولعل من أحدث الأمثلة على هذا الأمر، سماح الحاخام الأكبر لليهود الشرقيين (مردخاى الياهو) عام ١٩٩٠م ليهود الاتحاد السوفيتى بالهجرة إلى إسرائيل يوم السبت وأيام الأعياد اليهودية أيضا. لقد اعتبر الحاخام أنه "فى المناطق التى فيها خوف من حدوث مجازر، أو عندما يكون هناك مجرد أى شك فى إمكانية حدوث مجزرة، فإنه يسمح بسفر اليهود إلى إسرائل فى أيام السبت أو خلال الأعياد اليهودية "وأضاف" أن هذه الهجرة يمكن أن تتم عبر رحلات تقوم بها شركات الطيران الاسرائيلية"(٨٢).

وإضافة لهذا كله فإنه وحسب قانون العمل الصادر عام ١٩٥١م يمكن منح تصاريخ للعمل يوم السبت تُعطى يناء على دراسة حالات خاصة لمدة عامين قابلة للتجديد، ويلاحظ فى التطبيق العملى أن إنتشار هذه التصاريح أو تقلصها يعتمد على شخصية وزير العمل أو وكيل الوزارة، فعلى سبيل المثال انخفضت هذه التصاريخ من ٤٠٠ تصريح عام ١٩٧٠م حين كان وكيل الوزارة من خارج الأحزاب الدينية إلى ١٢٠ تصريحا هام ١٩٨٩م وذلك لأن وكيل الوزارة كان ينتمى إلى حزب "أجودات يسرائيل" ويتشدد فى إعطاء مثل هذه التصاريح. وغالبا ما يتعرض وكيل وزارة العمل إلى ضغوط شديدة على خلفية هذا الموضوع. ففى عام ١٩٨٦م مثلا تم مهاجمة بيت وكيل وزارة العمل والرفاه الاجتماعى لدوره فى منع تصاريح السبت بصورة واسعة(٨٣).

يذكر أيضا أن قانون العمل لم يفرض على غير اليهود الالتزام بعطلة السبت الأسبوعية، وقد كان هذا وحده كافيا للقضاء على أى مظهر من مظاهر احترام السبت وخصوصا فى المدن المختلفة.

ومهما يكن فإن أوضح المظاهر، على الإلتزام بالسبت تتمثل فى المواصلات العامة والصحف، وإغلاق دور السينما ومحلات اللهو والمحلات الخاصة والمطاعم والمقاهى،والقطارات،ومكاتب البرقيات.

وتجدر ملاحظة أنه لا يوجد قانون موحد للسبت، يطبق فى جميع أنحاء إسرائيل، إنما هناك قوانين محلية تمنع النشاطات الرئيسية فى ذلك اليوم وتعتمد قوة هذه القوانين على قوة التيار الدينى داخل المجالس المحلية. لذا يتفاوت الالتزام بالسبت بين مجموعة سكانية وأخرى، ومن مدينة إلى أخرى فى (إسرائيل) ففى حين هناك التزام شبه كامل بطقوس السبت فى مدينة (بنى براك)، وحى "مائة شعاريم" فى القدس، وقرية "حبد" حيث قلاع المتدينين التقليدية، فإن هذا الإلتزام يكاد ينعدم فى حيفا، وإيلات وغيرها من المدن المختلطة أو السياحية. ويلاحظ فى المدن الساحلية أن ألوف السيارات الخاصة

تحمل المتنزهين صيفاً إلى شواطئ البحار يوم السبت. وبينما تتوقف المواصلات العامة فى القدس وتل أبيب، تسير كعادتها فى حيفا، وفى حين تغلق المقاهى ودور الترفيه فى القدس، فإنها تظل مفتوحة أيام السبت فى تل أبيب(٨٤).

ولقد أثبتت التجربة العملية فى إسرائيل أن الجيش الإسرائيلى يأتى فى المقام الأول من حيث إنتهاك حرمة السبت، يليه الدولة بمؤسساتها المختلفة، ثم الأفراد العاديون، ولم يكن هذا الأمر ليروقا لمتدينين من مختلف الفئات الذين هبوا يطالبون بإحترام حرمة السبت وعدم تدنيسه، مما خلق كثيراً من النزاعات والصراعات بينهم وبين المعسكر العلمانى فيما أصطلح على تسميته فيما بعد باسم (معركة السبت).

ولعل من أكثر المنبهات التى أثارها هذا الصراع هو إنتاج إسرائيل لنظام التوقيت الصيفى. فالمتدينون لايعترفون بهذا التوقيت الغريب، ويصرون على التوقيت (الشرعى) خاصة فيما يتعلق بموعد دخول وخروج السبت. ففى أيام تطبيق نظام التوقيت الصيفى تفتح المحلات التجارية ودور الترفيه وصالات السينما أبوابها، قبل الوقت الشرعى المحدد لخروج السبت بساعة واحدة، وذلك تطبيقا لقوانين العمل الجارية، الأمر الذى يثير حفيظة المتدينين، الذين يعتبرون هذا الأمر تدنيساً لحرمة السبت، لهذا أصبح من ضمن الطلبات التى تقدمها الأحزاب الدينية إلى الحكومة عادة، إلغاء نظامالتوقيت الصيفى، وفى عام ١٩٨٦م أقدم وزير الداخلية الحاخام إسحاق بيرتس من حزب "شاس" (حراس تقاليد التوراه) الدينى على إلغاء هذا النظام خلال العامين ١٩٨٦/١٩٨٧م.

وقد بدأت (معركة السبت) بعد قيام إسرائيل مباشرة، واستُخدم العنف فى هذه المعركة بصورة واضحة. ويعود ذلك لاعتقاد المتدينين بأن دينهم يفرض عليهم معاقبة مرتكبى هذه المخالفة. حتى أن بعضهم قد جزم بأن (من يثبت عليه دليل إنتهاك حرمة السبت فإنه يستحق الضرب)، وقد حصلت أولى المواجهات حول هذا الموضوع فى ٢٨ مايو ١٩٤٩م، حين عقد سكان حى (زخرون

موشيه) فى القدس إجتماعا احتجاجيا فى معبد الحى بسبب فتح دور السينما لشبابيك التذاكر، ومباشرة عرض الأفلام قبل إنتهاء السبت، وظهرت هذه المشكلة آنذاك بسبب تطبيق نظام التوقيت الصيفى، وتطور الاجتماع الاحتجاجي إلى مشكلة خطيرة، حين اقتحم المحتجون من المتدينين دار سينما (أديسون) وسينما (عيدن) واضطرت الشرطة إلى التصدى للمهاجمين بالعصى والهروات، فكانت هذه أو جولة من جولات معركة السبت فى إسرائيل(٨٥) .

وبعد وقت قصير من نفس العام بدأت الجولة الثانية، فى حى "مائه شعاريم" المتدينين، فقد كان الناس ينتهكون حرمة السبت ويسافرون عبر هذا الحى باتجاه بوابة (مندلبوم) التى كانت تفصل بين الشطر الإسرائيلى والأردنى من القدس، الأمر الذى اعتبره سكان الحس استفزازا لهم فأعلنوا (أن على من يدنس حرمة السبت علانية، أن يعرف أنه يطعن اليهودى الغيور على حرمة السبت طعنات خنجر)، كما أعلن الحاخام مئير اسحق ليفين : "لماذا لا يفهمون أننا نعتبر السبت من وجود الشعب اليهودى، ونرى فى انتهاك حرمته إلغاءً للدولة وتدميرا للشعب، إعلموا أننا نضحى بحياتنا فى سبيله"(٨٦).

وقد سجلت الشرطة عام ١٩٥٠م عشر مظاهرات من أجل السبت، وفى عام ١٩٥٤م سُجلت خمس عشر مظاهرة، وتسع عشر مظاهرة عام ١٩٥٦م، أدت إحداها إلى تشكيل لجنة رسمية، لأن أحد المتظاهرين قُتل وأصبح أحد ضحايا الصراع، وتخلل هذه المظاهرات إساءات متعددة إلى العلمانيين مثل : البصق فى الوجوه، والرشق بالحجارة، ونثر الزجاج على الأرض، وتسلق شرفات البيوت وتحطيم زجاجها وإلقائه إلى الشارع، كما سُجلت شهادات طبية عن أشخاص عُضت أيديهم وآذانهم، ومزقت سترات بعضهم بسبب العراك بالأيدى بين الفريقين ووصل الأمر إلى حد الإساءة إلى قناصل وأعضاء الأمم المتحدة(٨٧).

ومع مرور الأيام أصبحت حماية السبت عادة شبه منتظمة عند المتدينين وخصوصاً في الأحياء الدينية، حيث دأبوا على الاعتداء على السيارات التي تشاهد متنقلة يوم السبت، وكان من المشاهد المألوفة رؤية أحد المتدينين، وقد حمل حاجزا من الأسلاك الشائكة، ووضعه في الطريق العام، وجلس أمامه أو خلفه ليمنع حركة المرور، وشكل المتدينون أيضاً منظمة (المنبهون ليوم السبت) لتأمين المحافظة على حرمته وثابر حاخاموا الأحياء، ونشيطوا المجالس الدينية، وممثلوها في المجالس المحلية والبلديات، على تسجيل كل حادثة إنتهاك علني لحرمة السبت، وعملوا على وضع حد لها، ومع مرور الزمن تحول هذا النشاط إلى عمل منهجي واسع ومنسق في مركز قطري تابع لوزارة الأديان في القدس سمي باسم (المجلس العام من أجل السبت) حيث ركز هذا المركز جهوده على التجمعات السكنية، وكان هدفه إضفاء الطابع الديني على أنماط الحياة في جميع أنحاء الدولة، وكان نشيطو هذا المجلس ينتسبون إلى "همزراحي"(المركز الروحاني) في غالبيتهم، وإلى "المفدال" (الحزب الديني القومي) لاحقا، وقد استند نشاطهم على قوانين محلية، وكان هذا المجلس يتطلع إلى فرض حرمة السبت في الأماكن العامة فقط. ولم يحاول فرضها في المجال الشخصي، كما لم يحاول فرضها بصورة مخالفة للقانون، وعمل نشيطوه على استصدار القوانين التي تحقق هدفهم في المناطق التي كانت تفتقر إلى مثل هذه القوانين، وقدم هذا المجلس تقريرا على ثلاثمائة حالة إنتهاك لحرمة السبت عام ١٩٥٢ بمعدل حادثتين كل أسبوع، وقع أغلبها في وسائط النقل العام مثل الباصات وطائرات "العال" ودور السينما والمسارح وأماكن اللهو والمصانع، ومن قبل باعة متجولين، وحوانيت، ومطاعم، وما شابه ذلك(٨٨).

وقد حاول إنصار السبت سن "قانون السبت الأساسي" في الكنيست، ففي عام ١٩٤٩م صاغت منضمة "رابطة السبت" التي كانت من المبادرين إلى تظاهرات السبت في القدس، والتي كان من زعمائها الحاخامان الأكبران

لإسرائيل - "قانون السبت الأساسى" وتطلعت هذه الرابطة إلى تحويله إلى قانون داخلى فى القدس، ومن ثم تحويله إلى قانون عام للدولة، لكنها لم تفلح فى طلك، وقد إحتوى إقتراحها على الفقرة التالية :

يحظر فى أيام السبت والأعياد تشغيل المواصلات، مثل السيارات أو العربات أو أية وسيلة أخرى، وتغلق محطة الإذاعة فى القدس، أيام السبت والأعياد، أما الأعمال التى تعتبر إنتهاكاً للسبت، وتسرى عليها الغرامة والعقوبة الحكوميتان ، فإنها تشمل : ممارسة أى عمل أو حرفة مثل : إشعال النور، وإيقاد النار، والتدخين، وإسماع أصوات الآلات والأجهزة وأدوات التنبيه، أما النشاطات المنظمة المختلفة : مثل الاجتماعات المهنية، المؤتمرات، والحفلات، والأفراح، والعروض المسرحية، والمعارض، وجميع نشاطات الرياضة والتنظيم وما شابهها، فمسموح بها بعد موافقة لجنة السبت فقط، التى تعين البلدية نصف عدد أعضائها، بينما ينتدب الحاخامان الأكبران، النصف الآخر، ويجب أن يكون الأشخاص الذين يعينون أعضاء فى الجنة، من الذين يراعون حرمة السبت فى حياتهم الخاصة أيضا، وكل سخص لا ينصاع للأنظمة التى تضعها لجنة السبت سيتعرض لغرامة تصل إلى ألف ليرة، أو للسجن مدة تصل إلى ثلاثة أشهر، أو للعقوبتين معا"(٨٩).

بيد أن مشروع القانون هذا لم يعتمد، لأن حكومة إسرائيل كانت على إستعداد لقبول يوم السبت، كيوم عطلة رسمية، لكنها كانت ترفض تحديد ماهو محظور وما هو مباح يوم السبت، كما رفضت تحديد أنظمة لمعاقبة المخالفين، وعندما بوشر بسن قانون العمل الذى سبقت الاشارة إليه. رفع المتدينون عقيرتهم بالصراخ، لأن القانون لم يكتف بسماحه للدولة بالعمل يوم السبت بحجة المحافظة على أمن الدولة، إنما سمح بالعمل أيضا لمنع الأضرار الكبيرة بالاقتصاد" وقد جرى فى الكنيست ولى نقاش حول هذا الموضوع أكثر مما

نوقش أى موضوع آخر، وعلى كل الأحوال فقد كان نصيب قانون السبت الأساسى الرفض فى الكنيست، فى كل المرات التى جرى فيها تقديمه إليها، وعلى الرغم من وعد بن جوريون الصريح بأن يتم سن قانون السبت فى إسرائيل، فقد ظلت روح الكتاب الذى وجهته الوكالة اليهودية إلى حزب "أجودات يسرائيل" قبل قيام الدولة هى التى تحكم العلاقة بين المتدينين والعلمانيين فيما يتعلق بهذا الموضوع، وتم إضافة إلى هذا الكتاب تعديل قانون العمل عام ١٩٦٩م بحيث فُرض الالتزام بالسبت على العاملين المستقلين، والتعاونيات، والحوانيت، والمشاغل، وأماكن اللهو، والتسلية، وأصبح هذا القانون فى التطبيق العملى هو قانون السبت(٩٠).

وما برح الصراع على السبت يتجدد بين الحين والآخر، وقد وصل الأمر إلى درجة إسقاط الحكومة الإسرائيلية فى ١٤ ديسمبر ١٩٧٦م، وذلك بعد عامين ونصف من تشكيلها برئاسة إسحاق رابين زعيم حزب العمل آنذاك، وسبب ذلك أن طائرات أمريكية كان من المقرر أن تصل قبل دخول السبت إلى إسرائيل، وقد أجريت الاستعدادات لاستقبالها فى المطار بعد دخول السبت، وتم تنفيذ البرنامج الاحتفالى كما كان مقررا، فاحتج حزب (بوعلى أجودات يسرائيل) الدينى على ذلك، واعتبره خرقا لاتفاقية الائتلاف الحكومى، وقرر حجب الثقة عن الحكومة فى الكنيست مما أدى إلى إسقاطها(٩١).

إضافة إلى هذا، فقد درج سكان حى "مانه شعاريم" الدينى فى القدس على رجم السيارات التى تمر بهم بالحجارة يوم السبت، ومن أجل حل هذه المشكلة، تقوم الشرطة بوضع الحواجز على مداخل الحى، كى تمنع دخول السيارات إليه يوم السبت ويجرى تحويل حركة السير باتجاه شوارع أخرى بعيدة عن هذا الحى.

ويعارض المتدينون فى القدس بشدة بناء إستاد رياضى فى المدينة، للحيلولة دون إجراء مباريات رياضية أيام السبت، وقد استطاع المتدينون تعطيل

هذا المشروع إلى أيامنا هذه، بالرغم من الجهود التى تبذلها وزارات حكومية مختلفة، وبلدية المدينة لتمرير هذا المشروع المعطل منذ سنوات طويلة، ونظرا لعدم وجود ملعب رياضى مناسب يتدرب فريض كرة القدم التابع لمدينة القدس فى ملاعب جمعية الشبان المسيحية، ولم يقتصر الأمر على هذا فحاول المتدينون شراء فريف "مكابى تل أبيب" شريطة أن يلعب يوم الجمعة بدلا" من السبت(٩١).

ولعل أحدث جولات الصراع حول هذا الموضوع، ماشهدته مدينة القدس عام ١٩٨٧م، حين ورشق بالحجارة والزجاجات الفارغة، احتجاجا على فتح دور السينما لصالتها فى المدينة، حيث ادعى المتدينون أن دور السينما تتهرب من الالتزام بعدم العمل أيام السبت، تقوم بعرض الأفلام السينمائية، وأن نوادى السينما تتحايل على القانون فتقوم بتنظيم أمسيات ثقافية للأعضاء، يتم خلالها عرض أفلام سينمائية، وأن هذه النوادى امتدت لتشمل دور السينما التى انقلبت رلى نواد سينمائية ليوم واحد فقط، وعندما رُفع الأمر إلى القضاء عام ١٩٨٧م، خسر المتدينون هذه القضية، فقد قررت قاضية محكمة البلدية فى القدس "إيالة بروكتشيه" أن عرض الأفلام مساء الجمعة، هو أمر مشروع، ولا يخالف أية قوانين أو أنظمة بديلة، واحتج المتدينون على هذا الأمر وادعوا أن إتفاقية الائتلاف البلدى الموقعة بينهم وبين القوى الأخرى فى المدينة، تنص على تطبيق قانون السبت، ورأوا أن قرار المحكمة من شأنه أن يجعل القدس (المقدسة) لا تختلف كثيرا عن تل أبيب "الملحدة"، التى تنشط فيها الحفلات واللقاءات وأعمال اللهو فى ليالى السبت بشكل خاص، وطالبت الأحزاب الدينية بسن قانون فى الكنيست يحظر عرضَ الأفلام مساء الجمعة، فيما هددت الأوساط المتدينة فى القدس، بالإعلان عن عصيان مدنى رداً على قرار المحكمة، والامتناع عن تسديد الضرائب والرسوم للبلدية(٩٢).

هذا وقد تقدمت الأحزاب الدينية بعد إنتخابات الكنيست الثانى عشر عام

١٩٨٨م بمجموعة من الطلبات المرتبطة بموضوع السبت، وذلك كشرط لدخولها الإئتلاف الحكومي ومنح ثقتها لأحد الحزبين الكبيرين، وكان من هذه الطلبات إلغاء نظام التوقيت الصيفي، وعدم منح تصاريح عمل يوم السبت في المجالات الصناعية والتجارية والمهنية، وإيقاف جميع وسائل النقل العامة والخاصة والترفيه، والملاهي الليلية، والأفلام السينمائية، وتحويل مباريات كرة القدم من يوم السبت إلى عصر الجمعة، وسن قانون (الصلاحيات) الذي يؤمن للسلطات المحلية صلاحيات واسعة، تمكنها من إغلاق دور السينما والمقاهي وأماكن اللهو خلال ساعات السبت(٩٤).

وبالرغم من أن هذه المتطلبات لم تتحقق، وأن المتدينين لم يسجلوا نصراً واضحاً في الصراع على السبت، إلا أن الحكومة تسعى إلى عدم إستفزازهم، فتجاريهم في طلباتهم، بما لا يتعارض مع مصالحها، ولعل هذه الحقيقة تتأكد بوضوح في مسألتين هما : حركة الطيران، والبث الإذاعي.

أما بخصوص المسألة الأولى، فقد نجح المتدينون لسنوات طويلة في تعطيل حركة مطار "بن جوريون" (وهو المطار الرئيسي لدولة إسرائيل) أيام السبت، إلا أن هذا الالتزام كان يتم إهماله، عندما لا يكون استمرار الحكومة معتمداً على دعم المتدينين، والتحايل عليه في أحيان أخرى باستخدام المرونة الكبيرة التي يؤمنها قانون العمل للحكومة بهذا الخصوص. ويبدو بوضوح في العقد الأخير عدم وجود رغبة حقيقية لدى وزارة المواصلات وسلطات المطار لإغلاقه يوم السبت. وبالرغم من أن الحكومة اتخذت قراراً في العام ١٩٨٠م يقضي بإغلاق مطار "بن جوريون" يوم السبت أمام حركة الطائرات ذهاباً وإياباً عبر المطار أيام السبت، وبالرغم من أن الأحزاب الدينية تبذل كل جهودها لوضع قرار الحكومة موضع التنفيذ، إلا أنها لم تفلح في ذلك حتى الآن. وقد أصدرت وزارة المواصلات، في يونيو ١٩٨٩م بياناً أكدت فيه أنه ليس في نيتها إغلاق المطار أيام السبت(٩٥) وبدلاً من إغلاقه كلية [illegible] سلطات المطار إلى إلغاء

حسن نواياها تجاه المتدينين فتعمد إلى التقليل من حركة العمل ومن عدد الطائرات القادمة والمغادرة أيام السبت.

وأما المسألة الثانية، وبالرغم من استمرار هيئة الإذاعة في البث يوم السبت، إلا أنها تختصر نشراتها الإخبارية بعد دخول السبت، وتتجنب إذاعة أية أنباء حزينة خلال ذلك اليوم، حيث يتم تأجيل بث هذه الأنباء إلى ما بعد خروج السبت، لذا دأبت الإذاعة الإسرائيلية على إذاعة نشرات أخبار مطولة بعد خروج السبت، لتعويض المستمعين عما فاتهم خلال ذلك النهار(٩٦).

شريعة السبت في المسيحية:

رفضت المسيحية الالتزام بشريعة قدسية السبت والكف عن ممارسة أي عمل فيه، وقد دارت بين المسيح والفريسيين والكتبه(٩٧) مواقف جدلية كثيرة حول الشريعة الموسوية. وكانت وجهة نظر المسيحية في هذه المواقف الجدلية، هي إنه إذا كانت في الشريعة الموسوية نصوص عديدة تنظم السلوك الخارجي كفريضة دينية، وغايتها أن تظهر لليهود تفوقهم على غيرهم وبذلك تحصنهم دون أي تسرب يأتيهم من الشعوب الوثنية التي تحيط بهم، وتحفظ فيه وديعة الايمان بالله سليمة، إلا أن هذه المظاهر الخارجية كانت تحتكر كل المجهود الديني وتصرف النفس عن الاهتمام بما هو من جوهر الدين، أي نقاوة القلب وسموه في الداخل والطهارة والعدل والمحبة، لذلك فبقدر ما كان رؤساء الدين يتشددون في التقيد بمظاهر العبادة الخارجية، كان الانبياء يلفتون النظر، بأقسى الكلام، إلى ضرورة تقويم الداخل، قبل الخارج، وتنقية القلب قبل الجسد.

وهكذا فإن وجهة نظر المسيحية، كما جسدتها الاناجيل الاربعة (متى - مرقص - لوقا - يوحنا)، كانت، هي أن المسيح لم يأت لينقض الناموس أو الأنبياء، وإنما جاء ليكمل. وإنه إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول من الناموس ياء ولا نقطة حرف حتى يتم الكل (متى٥:١٧-٢٠). لأن الناموس، في

المفهوم المسيحى، هو إرادة الله كما أعلنها فى كتابه وبحسب الروح التى أوحى بها. والناموس فى مفهوم الكتبة والفريسيين هو النصوص الموسوية والنبوية كما عجنتها وكيفيتها أدمغة الربانيم فى تفاسيرهم وتقاليدهم.

ومن هنا كان موقف المسيحية من السبت هو: "السبت جعل لأجل الانسان، لا الإنسان لأجل السبت"، بمعنى أن الشريعة الالهية إنما الهدف منها هو سعادة الإنسان لاشقائه. وقد حفلت الاناجيل (كما ذكرت) بالعديد من المواقف الجدلية حول قدسية يوم السبت وضرورة الكف عن العمل فيه بين الفريسيين والكتبه من ناحية، والمسيح، من ناحية أخرى.

ففى إنجيل لوقا نقرأ ما يلى: "وإذا جاء إلى بيت أحد رؤساء الفريسيين فى السبت ليأكل خبزا كانوا يراقبونه. وإذا إنسان مستسق كان قدامه، فأجابه يسوع وكلم الناموسيين والفريسيين قائلا هل يحل الإبداء فى السبت. فسكتوا. فأمسكه وأبرأه وأطلقه. ثم أجابهم وقال من منكم يسقط حماره أو ثوره فى بئر ولا ينشله حالا فى يوم السبت، فلم يقدروا أن يجيبوه عن ذلك" (لوقا١٤:١-٦).

ووردت كذلك فى انجيل لوقا القصة التالية بشأن موقف المسيح من قدسية يوم السبت:

"وكان يعلم فى أحد المجامع(٨٠) فى السبت. وإذا إمراءة كان بها روح ضعف ثمانى عشرة سنة وكانت منحنية ولم تقدر أن تنتصب البته، فلما رآها يسوع دعاها وقال لها يا إمرأة إنك محلولة من ضعفك، ووضع عليها يديه ففى الحال استقامت ،مجدت الله، فأجاب رئيس المجمع وهو مغتاظ لأن يسوع أبرأ فى السبت وقال للجمع هى ستة أيام ينبغى فيها العمل ففى هذه إئتوا واستشفوا وليس فى يوم السبت، فأجابه الرب وقال يا مرائى ألا يحل كل واحد منكم فى السبت ثورة أو حماره من المذود ويمضى به ويسقيه. وهذه هى ابنة ابراهيم قد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة أما كان ينبغى أن تحل من هذا الرباط فى يوم السبت" (لوقا١٣:١٠-١٧).

وفى إنجيل يوحنا ترد ايضا قصة مشابهة بشأن إبراء المسيح لرجل سقيم إعتراه المرض منذ ثمان وثلاثين سنة، وكان ذلك اليوم سبتا، فابتدر الرجل نفر من الكتبة والفريسيين قائلين له: اليوم سبت فلا يحل لك أن تحمل فراشك؛ وعلموا منه أن الذى أبرأه هو المسيح، ولهذا كان اليهود يطلبون المسيح تقتله لأنه عمل هذا فى يوم سبت" (راجع تفاصيل القصة فى إنجيل يوحنا ٥:١-١٨).

وفى إنجيل متى كذلك تتكرر مواقف الجدل بين المسيح والفريسيين:

"فى ذلك الوقت ذهب يسوع فى السبت بين الزروع فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون[٩٩]، فالفريسيون لما نظروا قالوا له هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله فى السبت. فقال لهم أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه، كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذى لم يحل أكله له ولا الذين معه بل للكهنة فقط[١٠٠]. أو ما قرأتم فى التوراة أن الكهنة فى السبت فى الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء. ولكن أقول لكم أن ههنا أعظم من الهيكل، فلو علمتم ما هو. إنى أريد رحمة لا ذبيحة[١٠١]. لما حكمتم على الأبرياء، فإن ابن الانسان هو رب السبت أيضا، ثم إنصرف من هناك وجاء إلى مجمعهم. وإذا إنسان يده يابسة، فسألوه قائلين هل يحل الابراء فى السبوت لكى يشتكوا عليه. فقال لهم أى إنسان منكم يكون له خروف واحد فإن سقط هذا فى السبت فى حفرة أفما يمسكه ويقيمه. فالإنسان كم هو أفضل من الخروف، إذ يحل فعل الخير فى السبوت. (راجع متى١٢ :١-١٣؛ ومرقص٣:١-٥؛ ولوقا٦:٦-١٠).

وهكذا تتأكد من خلال هذه المواقف الرؤية المسيحية للسبت، وهى أن "السبت جعل للإنسان لا الإنسان لأجل السبت".

"واستنادا إلى ما سبق غيرت المسيحية يوم السبت كيوم مقدس فجعلته الأحد، لإنه فى يوم الأحد كمل معنى الراحة بالقيامة، لإنها دليل على راحة البشرية بالانتصار على الموت."[١٠٢]

الجمعة فى الإسلام:

نظرا لإنه حدث، كما بيننا، اختلاف حول طبيعة اليوم المقدس بين اليهود والمسيحيين، حيث أصر اليهود على قدسية السبت لإنه اليوم الذى إنتهى فيه الله من خلق العالم، واختار المسيحيون يوم الأحد لإنه اليوم الذى بدأ فيه الله خلق العالم، ونظرا لنفور الإسلام مما زعمته التوراه من أن الله استراح من عمله فى اليوم السابع بعد أن فرغ من خلق العالم فى ستة أيام، وهو مايتنافى مع التصور القرآنى لقصة الخلق: "ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب"(ق٣٨).

وقد ورد فى تفسير ابن كثير (الجزء الأول) أن ابن عباس رضى الله عنه قال: إن الله إنما إفترض على بنى اسرائيل اليوم الذى إفترض عليكم فى عيدكم "يوم الجمعة" فخالفوا إلى السبت فعظموه، وتركوا ما أمروا به، فلما أبوا إلا لزوم السبت إبتلاهم الله به فحرم عليهم ما أحل لهم فى غيره".(١٠٣)

ونظرا لأن الانقطاع التام عن العمل، الذى يميز عطلات اليهود والمسيحيين لم يكن متفقا مع ما اعتاد عليه العرب، فقد جعل القرآن الكريم يوم الجمعه هو يوم الإحتشاد للصلاة: "يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون" (الجمعة٩)، وأوجب على المسلمين إن يخفوا عقب الصلاة إلى مزاولة أعمالهم، بما يختلف عن عادة اليهود والمسيحيين: "فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله وأذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون" (الجمعه١٠).

ولصلاة الجمعة شروط، إذا ما إجتمعت فى مسلم، وجب عليه أداء فريضة الجمعة، ومن هذه الشروط:

١ - الذكورة، فلا تجب على إمرأة.

٢ - الحرية، فلا تجب على عبد مملوك.

٣ – البلوغ، فلا تجب على صبي.

٤ – العقل، فلا تجب على مجنون.

٥ – الصحة، فلا تجب على مريض.

٦ – الإقامة، فلا تجب على مسافر.(١٠٤)

الوصية الخامسة:-

"أكرم إباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب الهك" (الخروج٢٠:٢١)

"أكرم أباك وأمك كما أمرك الرب الهك لكى تطول أيامك وتصيب خيرا فى الأرض" (التثنية٥:١٦).

وقد وردت هذه الوصية بصيغة "إفعل" وليس بصيغة "لا تفعل" (إحترم أباك وأمك..)، بالرغم من أنه لا يوجد مضمون ايجابى فى هذه الوصية أكثر مما هو وارد فى وصية تقديس يوم السبت. وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الوصية لم يرد فيها ما الذى يجب فعله من أجل إقامة وصية إحترام الأب والأم وكيف ينبغى على الفرد أن يحترم أباه وأمه.

وهذه الوصية تقع فى الوسط، بين الوصايا التى بين الإنسان والرب والوصايا التى بين الإنسان وقريبه. ووصية إحترام الأب والأم هى من الوصايا التى بين الإنسان وقريبه، ووردت قبل وصية "لا تقتل" و"لا تزن" و"لا تسروق" و"لاتكذب" لتأكيد أن الذى يخطئ بعدم إكرام والديه هو أكثر خطيئه من الذى يرتكب الجرائم التالية لها. وقد وردت وصايا مشابهة لهذه الوصية تتعلق بالعلاقات بين الوالدين وأبنائهم:

"ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا" (الخروج٢١:١٥)، وهى الفقرة التى تكررت فى نفس الإصحاح فى الفقرة السابعة عشرة ولكن مع استبدال الشتم بالضرب: "ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا"؛ و"كل إنسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل قد سب أباه أو أمه دمه عليه" (اللاويين٢٠:٩)؛ و"ملعون من يستخف بأبيه أو أمه" (التثنية٢٧:١٦)، كما وردت عدة أحكام بشأن الابن المعاند الذى "لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدبانه فلا يسمع لهما"، (فى سفر التثنية٢١:١٨ فصاعدا).

وقد وردت وصية إحترام الأب والأم ملاصقة كذلك لوصية تقديس يوم السبت الواردة في سفر اللاويين ١٩:٢٣ وتربط كذلك ما بين سلسلة الوصايا التي تتناول العلاقات بين الإنسان والرب، وبين سلسلة الوصايا التي تتناول العلاقات بين الإنسان وقريبه. وقد فسر القدامى مغزى هذا الموقع لهذه الوصية في إثر الوصايا التي بين الإنسان والرب بأن ثلاثتهم (الرب والأب والأم) شركاء فيما يأمر به الرب(١٠٥)

والوصية الواردة في اللاويين نصها: "تهابون كل إنسان أمه وأباه وتحفظون سبوتي أنا الرب الهكم"، ومغزى المهابة في نص هذه الوصية هو، إنه إذا أراد الابن إرتكاب خطيئة يتصور أنه واقف أمام والديه، وهذا لا يرضي والديه فسيخجل ويرجع عن الخطيئة، وقد جاء في التكوين ٣٩:١١، ما نصه "حدث نحو هذا الوقت ودخل يوسف إلى البيت ليعمل عمله ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك بالبيت فأمسكته بثوبه قائلة إضطجع معي". وهنا استنتج المفسرون من قوله "ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك"، أن إنسانا من أهل البيت لم يكن هناك، أما من غير أهل البيت فكان، وهذا الإنسان الذي من غير أهل البيت والذي كان موجودا هو صورة يعقوب أبيه، ولولا هذه الصورة التي منعته فربما إرتكب الخطيئة.

وقوله "أنا الرب إلهكم"، بمعنى أن مخافة الرب مفروضة عليكم أنت ووالديك. وهنا نلاحظ أن كلمة "إنسان أمه وأباه" جاءت في صورة الإفراد، بينما وردت كلمة "تخافون" في صورة الجمع. ومن هنا قالوا في التلمود، أن كلمة إنسان تعني الرجل الذي في مقدرته أن يعول أبيه ويخدمه، أما المرأة المتزوجة فغير مكلفة بترك خدمة زوجها لتخدم والديها، وكلمة "تهابون" وردت جمعا لأنها مكلفة بكل إكرام ومهابة بما لا يمنع خدمة زوجها، وأيضا كلمة "تهابون" وردت جمعا لتشير إلى أن الابن وأبيه كلهم ملزمون بمهابة والديهم. وقد جاء في "براخوت" (البركات) أن أحد الحاخامات كان عنده عشرة أولاد، ومع هذا عندما

كان يسمع أبيه الشيخ يطرق الباب لم يكن يكلف أحدا من أولاده بفتح الباب لجده، بل هو بنفسه كان يقوم بخدمة أبيه"(١٠٦)

ويقول التلمود الأورشليمى عن وصية إكرام الأب والأم أنها سداد دين: "قال ربى أبين: إن مسألة سداد الدين واردة فى نص الوصية، وهى "لكى تطول أيامك وتصيب خيرا فى الأرض". وقال ربى ليفى: عظيم هو الأمر الذى ينطوى على سداد الدين أكثر من الذى هو ليس بسداد دين". واحترام الأب والأم هو سداد دين، لأنه "كل ما يفعله لأبيه ولأمه ليس إلا سداد ادين لأنهم راعوه على أحسن ما يكون فى ولادته وتربيته وتعليمه"، وذلك إستنادا إلى ما ورد فى كتاب "بْنى موشيه" (وجه موسى).(١٠٧)

وهذه الوصية الخاصة بإحترام الأب والأم هى من الوصايا التى كان البشر معتادون على إحترامها دون أن يؤمروا بها فى الوصايا العشر أو فى أى مكان آخر فى التوراة. فلماذا وردت هذه الوصية فى الوصايا العشر، لقد فسر ربى يوسف بنيحور هذا الأمر بقوله: "بالرغم من إننى قلت لك لا تحترم ولا تعبد إلاى، فاحترم أباك وأمك. ولا تفى كل ما أسدوه اليك، لأنهم أتوابك إلى العالم واعتنوا بك إلى أن أصبحت كبيرا، ويشقون من أجلك وكل كدهم ليس إلا من أجلك، وإذا إحترمتهما ورددت لهما الجميل، ستعرف أنك بذلك تحترمنى من أجل كل الخير الذى أسديته اليك".

والوصية بصيغتها التى تتضمن الجزاء الذى ينطوى على طاعتهما "لكى تطول أيامك على الاحسن التى يعطيك الرب الهك"، تعتبر الوصية الوحيدة التى تتضمن هذا الجزء دونا عن سائر الوصايا الواردة فى الوصايا العشر، ومعنى هذا أن من يحترم أباه وأمه حتى شيخوختها، ويهتم بكل ما ينقصهما ويمنع عنهما كل ما يسئ اليهما، فإنه بأعماله هذه يطيل أيامها، وهو بهذه الأعمال يكون قدوة لأبنائه ويعلمهم كسف ينفذون وصية إحترام الأب والأم، وحين يتدم في السن فإن أبناءه سوف يتصرفون بهذه الطريقة وبذلك تطول أيامه. وقد كتب

ربى يوسف بيخور شور: "إذا تمسكت بهذه الوصية، سيحترمك أبناؤك ويساندوك فى وقت الشيخوخة، فلا تموت فى غير أوانك".

والدليل الذى يسوقه العهد القديم على أن من لا يعمل بهذه الوصية لا ينال الجزاء الخاص بأن أيامه تطول على الأرض، ما حدث بالنسبة ليعقوب الذى خدع أباه اسحق، وأخذ بركته منه بمكر وخداع مستغلا إصابته بالعمى، حيث لم تطل أيامه على لاأرض كما كان الأمر بالنسبة لأبائه، ويعبر عن ذلك بقوله لفرعون مصر:

"قليلة وردية كانت أيام سنى حياتى، ولم تبلغ إلى أيام سنى حياة أبائى" (تكوين٤٧: ٩)

ومن المحتمل أن يكون هناك مغزى آخر لهذه الوصية، فكما سبق أن أشرت، فإن هذه الوصية، هى الوصية الوحيدة التى صيغت بصيغة "إصنع"، بينما صيغت سائر الوصايا العشر بصيغة "لا تصنع" (فيما عدا وصية "أنا الرب إلهك"). ومن المحتمل أن المغزى الكامن وراء هذا هو أن الأب والأم يعلمون الابن منذ طفولته السلوك القويم، حتى ينال رضا الرب والناس، فإذا ما احترم أباه وأمه وخافهم، فإنه لن يستهين بأوامرهم ولا بالتوراة التى عودوه على أن يتصرف وفقا لها، فيسير فى طريق الأخيار، إذن، فإن إحترام الأب والأم هو مصدر الوصايا التى بين الإنسان وقريبه التى ترد بعد هذه الوصية، ومن لا يعترف بإحترامهما، فإنه لن يعترف بتلك الوصايا ولن يفعلها. وبناء على ذلك فإن إحترام ومخافة الأب والأم يشبه إحترام ومخافة الرب، لإنه هو الذى يبين لعبيده كيف يتصرفون، ولكى يسمعوا ويفعلوا وصاياه عليهم أن يخافوه وأن يعبدوه. وقد قال ربى موشيه هادرشان: "إن عظمة احترام الاب والام تعادل دراسة التوراة، لإنه ورد فى التثنية٣٠: ٢٠؛ "لأنه هو حياتك والذى يطيل أيامك"، وقد ورد بشأن إحترام الاب والأم: "لكى تطول أيامك"، لكى يعلمك أن من يحترم أباه وأمه فقد ضمن أنه سيكون ابن العالم الآخر بالرغم من أنه ليس ابن توراة". وعلى

هذا الأساس، فإن وصية احترام الاب والام هى من الوصايا التى تدخل فى نطاق وصايا عبادة الرب التى وردت فى الوصايا الأربعة الأولى، بالإضافة إلى كونها من الوصايا التى تتعلق بالعلاقة بين الإنسان ورفيقه، التى وردت فى الوصايا الخمس الأخيرة.(١٠٨)

وقد حددت التوراة أن عدم العمل بهذه الوصية عقوبتها الموت: "من ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا .. ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا" (الخروج٢١:١٥، ١٧). وتؤكد التوراة هذه العقوبة فى موضع أخر: "كل إنسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل، قد سب أباه وأمه دمه علينا" (لاويين٢٠:٩).

ولم تكن عقوبة القتل قاصرة على من يضرب أبويه أو يشتمهما،. وإنما كانت أيضا للابن المعاند غير المطيع: "إن كان لرجل ابن معاند ومارق، ولا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه، ويؤدبانه فلا يسمع لهم: يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به إلى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه ويقولان لشيوخ مدينته: إبننا هذا معاند ومارق، ولا يسمع لقولنا، وهو مسرف وسكير، فيرجمه رجال مدينته بحجارة حتى يموت، فتنتزع الشر من بينكم" (التثنية ٢١:١٨-٢١). وقد كان اللاويون يقفون على جبل عيبال، ويصرخون بصوت عال: "ملعون من يستخف بأبيه أو أمه "فيقول جميع الشعب: "آمين" (التثنية٢٧:١٦). وورد فى سفر الأمثال:

"العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة إطاعة أمها، تقورها غربان الوادى، وتأكلها فراخ النسر" (الأمثال٣٠:١٧)

وبالرغم من أن الوصية تنص على احترام الاب والأم من قبل الأبناء، فإنه فى مقابل هذا، تعتبر واجبات الأب تجاه ابنه عظيمة، وقد حصرها علماء اليهود فى عشرة بنود:

١ - ختانه فى اليوم الثامن من عمره، تبعا لما هو وارد فى (اللاويين ١٢-٣)

٢ – الأغداق عليه بالغذاء والكساء بلا تقتير.

٣ – تعليمه الأدب والدين كما أنزل فى التوراه.

٤ – تعليمه اللغة والكتابة العبرية.

٦ – تعليمه مهنة يتعيش منها.

٧ – تعليمه الرياضة.

٨ – انتقاء زوجة مناسبة له تصونه من الفساد.

٩ – إن كان البكرى فله مزيد من الأرث.

١٠ – فدو البكرى. (١٠٩)

إكرام الوالدين فى الإسلام:

أوصى المولى عز وجل فى أكثر من موضع بالقرآن الكريم، وهذه المواضع هى:

١- "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهم أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما"(الإسراء ٢٣-٢٥).

٢ - "قل تعالوا أتلُ ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا"(الأنعام١٥١).

٣ - "وإذ قال لقمان لإبنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم. ووصينا الإنسان بوالديه وحملته وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير. وإن جاهداك على أن تشرك بما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الىَّ ثم الىَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون" (لقمان١٤).

٤ - "ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنه قال ربى أوزعنى أن أشكر بنعمتك التى أنعمت عليَّ وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين" (الاحقاف١٥)

٥ - "ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس به علم فلا تطعهما إلىَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون" (العنكبوت٨).

٦ - "وإذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حُسنا وأقيموا الصلاة وآتوا

الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون" (البقرة٨٣).

٧ - " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا" (النساء٣٦).

ونلاحظ على هذه المواضع التى وردت فيها وصية الله سبحانه وتعالى بالوالدين ما يلى:

١ - أن الله سبحانه وتعالى قرن بين الوصية بالوالدين وبين أمره بتوحيده تعالى وعدم الشرك به فى خمس من هذه المواضع، وكان هذا الاقتران بصيغة الحكم النهائى الواجب النفاذ والملزم لمن صدر اليه: "وقضى ربك"، "الا تشركوا به شيئا"، "لا تشرك بالله"، "لا تعبدون إلا الله"، "واعبدوا الله ولا تشرزكوا به شيئا"، ومدلول هذا أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يعلمنا أن النشأة الأولى كما تستوجب التوحيد، فإن التنشئة الثانية، وهى التربية التى يقوم بها الوالدان تستوجب كذلك جميل الإحسان اليهما وصادق الاحترام لهما.

٢ - ركزت وصية الإسراء بصفة خاصة على حالة الكبر، لإنها الحالة التى يحتاج فيها الوالدان التوصية مخافة أن ينسى الأبناء ما قدمه لهم الأباء، ولأنهما يكونان فى أشد الحاجة فى هذه المرحلة للبر ومراعاة أحوالهما .

٣ - أشار القرآن الكريم فى أربع مواضع إلى الإحسان بالوالدين: "وبالوالدين أحسانا"

"ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا" فى موضع واحد.

"ووصينا الإنسان بوالديه حُسنا" فى موضع واحد.

"ووصينا الإنسان بوالديه" فقط، فى موضع واحد.

ومعنى هذا أن الله سبحانه وتعالى يأمر بالإحسان إلى الوالدين على جميع الصور، وحدد صور هذا الإحسان فيما يلي:

أ - "فلا تقل لهما أف" أي لا تقل لهما ما يجرح مشاعرهم وتعامل معهما بكريم الخلق ولين الجانب.

ب - "ولا تنهرهما" أي لا تتصرف معهما تصرفا لا يليق.

وهما أمران بالنهي عن القول والفعل السيئ، بالإضافة إلى أوامر مباشرة ايجابية وهي:

١ - "وقل لهما قولا كريما"

٢ - "وقل رب إرحمهما كما ربياني صغيرا"

٣ - "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة"

وإذا كان الإنسان المسلم مكلف بالإحسان إلى والديه بكل ما يمكنه من طرق الإحسان قولا وعملا ورحمة ورعاية وودا، فإنه في مقام التفاضل نجد أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى الأم النصيب الأكبر والقسط الأوفى، لإنها هي التي حملته وهنا على وهن، والتي عانت في وضعه، وفي إرضاعه، وفي تربيته، كما أنها في بعض الحالات تكون أحوج عادة من الأب إلى الرعاية والعطف والحنان. ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام - فيما يروية أبو هريرة أنه سأله قائلا:

"يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال ثم أمك، قال ثم من؟ قال: ثم أبوك".(١١٠)

الوصيه السادسة:

"لا تقتل" (الخروج ٢٠:١٣، والتثنيه ٥:١٧)

وتنص هذه الوصيـة على تحريم قـتل الإنسـان بما يتـعارض مع حكم الشـريعـة. ولكن من يطالع أسـفـار التـوراه يجـد فى أحـيـان كـثـيره، أن حكم الشريعة نفسـه، ليس فقط أنه يسمح بقتل الإنسان، بل يأمر بقتل الإنسان، وقد تضمنت التوراه نفسها عقوبة الموت كجزاء لمخالفات كثيرة (سيأتى ذكرها فيما بعـد). ولذلك فـإن الوصـيـة بصـورتهـا الغـامـضـة هذه لا تحـدد لليـهـود كـيف يتـصـرفون بموجبـها، لأنهم لا يعـرفون مـا هـى عمليـات القـتل التى تسـمح بهـا الشريعة أو التى لا تسمح بها، ناهيك عن أن شعوبا كثيرة من التى لم تسمح بذلك التـحـريم على جبل سيناء، كانت قراعى هذه الوصـيـة. والوصيـة، على أى الحالات، هى تعبير عن تقديس حياة الإنسان، بروح ما ورد فى التوراه: "لأن الله على صـورته عمل الإنسان" (التكوين٩:٦). ويقول شـالوم البك فى تفسيره لهذه الوصـيـة: "إن هذا التحـريم ليس إلا المبدأ الذى يعطى للعدل لونا خاصـا، على غـرار ذلك الذى ورد فى المشنا: "السنهـدورين الذى يقـتل واحـدا فى الاسـبـوع يدعى مخـربا ... وربى طرفون وربى عـقـيبا يقـولان: "لو كنا فى السنهـدرين مـا قـتل إنسـان على الإطلاق"، وذلك لإنـه على الاطلاق، حـينمـا يكون هنـاك شك فى كـيفـيـة التصـرف، أو حـينمـا يكن العمل مـحـتـمـلا لمبدأين مـخـتلفين، فـإنه ينبـغى التصرف وفقا للمبدأ الذى يستبعد سفك الدماء. ووفقا لهذا المبدأ صدر الحكم التـالى: "ليس هناك من شـئ يعادل القـضـاء على حـياة إنسـان فيمـا عدا عـبادة الاصنام وكـشـف العـورات وسـفك الدمـاء" (يوما٨٢:١)؛ وكـذلك ايضـا: "يمكن التـسـاهل فى كل شئ ما عـدا عـبادة الاصنام وكـشـف العـورات وسـفك الدمـاء" (بسـاحـيم٢٥:١)؛ و"إذا قـالوا لإنسـان إرتكب مـخـالفـة ولا تُقـتل، فـإنه يرتكب المخـالفـة ولا يقـتل مـا عـدا عـبادة الاصنام وكـشـف العـورات وسـفك الدمـاء"

(سنهدرين٧٤:١)، وقالوا كذلك: "بجريرة سفك الدماء يخرب الهيكل المقدس وتبتعد الروح القدس عن اسرائيل" (شبات٣٣:١).

والتوراه تستخدم للقتل ثلاثة أفعال مترادفه هى: الفعل "رَصَح"، وهو الفعل المستخدم فى صيغة الوصية: "لو تِرْصَح" (لا تقتل)، والفعل "هَرَج": "كى هاروج تهرجنو" أى "قتلا تقتله" (التثنيه١٣:١٠)، والفعل المبنى للمجهول من المجرد المعتل العين بالياء "ميت" وهو "هومَت" (أميت): "موت يومَت داماف بو" أى" تقتل دمه عليه" (اللاويين ٢٠:٩).

والقتل فى اليهودية أحكام تقسمه إلى ما يلى:

١ - القتل العمد: وينقسم الى: (٩٤)

أ - قتل واجب: وهو ما يحدث فى حالة الدفاع عن النفس.

ب - قتل مباح: وهو ما يحدث أثناء الحروب: "حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها الى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للسخرة ويستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها. وإذا دفعها الرب الهك الى يدك فإضرب جميع ذكورها بحد السيف... وأما مدن تلك الشعوب التى يعطيك الرب الهك ميراثا فلا تستبق منها نسمة ما. بل تحرمها تحريما الحيثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب الهك" (التثنيه٢٠:١٠-١٨).

جـ - قتل محرم: وهو المقصوده به الوصية، وهو القتل بالتريص أو مع سبق الاصرار والترصد، وجزاء القاتل فى هذه الحاله القتل: "من جذب إنسان فمات يقتل قتلا" (الخروج٢١:١٢)، "وإذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحى تأخذه للموت" (الخروج٢١:١٤).

وفى هذه الحالة لابد من تطبيق القصاص على القاتل بواسطة ولى الدم وعدم قبول الدية:

"ولكن إذا كان إنسان مغضبا لصاحبه فكمن له وقام عليه وضربه ضربة قاتلة فمات ثم هرب إلى إحدى تلك المدن يرسل شيوخ مدينته ويأخذونه من هناك ويدفعونه الى يد ولى الدم فيموت. لا تشفق عينيك عليه" (التثنيه١٩:١١-١٢).

وقد ورد فى سفر العدد تفصيل لشريعة القتل العمد مع سبق الاصرار والترصد، تتضمن النقاط التالية :

١ - أن القاتل الذى يستخدم فى القتل وسيله قاتلة مثل الاداة الحديدية، أو أداة يد من خشب، أو الدفع باليد ببغضة، أو ألقى على القتيل شئ بتعمد أدى الى قتله، أو ضربه بيد بعداوة فمات، هذا القاتل عقوبته الدم.

٢ - يقوم ولى الدم بقتل القاتل حين يصادفه.

٣ - إذا حدث القتل بلا عداوة أو بلا تعمد أو بلا رؤية وهو ليس عدوا ولا طالبا لأذية تقضى الجماعه بين القاتل وبين ولى الدم، وتنقذه من يد ولى الدم وترده الى مدينة ملجئه التى هرب اليها فيقيم فيها الى أن يموت الكاهن الأعظم فيعود الى أرض ملكه.

٤ - إذا خرج القاتل من مدينة ملجئه ووجده ولى الدم يكون من حق ولى الدم، فى هذه الحالة، أن يقتل القاتل ولا يكون له دم.

٥ - أن يتم قتل القاتل على يد شهود، ولا تصح شهادة شاهد واحد.

٦ - رفض الفدية على نفس القاتل المذنب وضرورة قتله.

٧ - رفض الفدية ليتيح للقاتل أن يهرب الى مدينه ملجئه، طالما أن القتل العمد ثابت عليه.

٨ - إعتبار أن الدم (القتل) يدنس الأرض، ولا يكفر عن هذا الدم إلا بدم سافكه.

وفيما يلى نورد النص الكامل لهذه الشريعة كما وردت فى سفر العدد:

"إن ضربه بأداة حديد فمات فهو قاتل. إن القاتل يقتل وإن ضربه بحجر يد مما يقتل به فمات فهو قاتل إن القاتل يقتل. وإن ضربه بأداة يد من خشب مما يقتل به فهو قاتل. إن ولى الدم يقتل القاتل حين يصادفه يقتله. وإن دفعه ببغضة أو ألقى عليه شيئا فتعمد فمات أو ضربه بيده بعداوة فمات فإنه يقتل الضارب لأنه قاتل. ولى الدم يقتل القاتل حين يصادفه، ولكن إن دفعه بغتة بلا عداوة أو ألقى عليه أداة بلا تعمد أو حجرا مما يقتل بلا رؤية أسقطه عليه فمات وهو ليس عدوا له ولا طالبا أذيته تقضى الجماعة بين القاتل وبين ولى الدم حسب هذه الأحكام. وتنقذ الجماعة القاتل من يد ولى الدم وترده الى مدينة ملجئه التى هرب اليها فيقيم هناك إلى موت الكاهن العظيم الذى مسح بالدهن المقدس، ولكن إن صرخ القاتل من حدود ملجئه التى هرب اليها ووجده ولى الدم خارج حدود مدينة ملجئه وقتل ولى الدم القاتل فليس له دم. لإنه فى مدينة ملجئه يقيم إلى موت الكاهن العظيم. وأما بعد موت الكاهن العظيم فيرجع القاتل إلى أرض ملكه. فتكون هذه فريضة حكم إلى أجيالكم فى جميع مساكنكم. كل من قتل نفسا فعلى فم شهود ويقتل القاتل. وشاهد واحد لا يشهد على نفس للموت. ولا تأخذوا فدية عن نفس القاتل المذنب للموت بل إنه يقتل. ولا تأخذوا فدية ليهرب الى مدينة ملجئه فيرجع ويسكن فى الأرض بعد موت الكاهن. لا تدنسوا الأرض التى أنتم فيها لأن الدم يدنس الأرض، وعن الأرض لا يكفر لأجل الدم الذى سفك فيها إلا بدم سافكه" العدد٢٥:١٦-٣٢).

٢ - القتل بغير عمد أو القتل الخطأ:

وقد أشارت الشريعة اليهوديه بشأنه، إلى إن القاتل الذى يصيب شخصا ويقتله عن طريق الخطأ، لأنه لم يكن مبغضا له، ولا متربصا به، فإنه يمكنه فى هذه الحالة الالتجاء الى مكان أمين (مدن الملجأ)، لحمايته من ولى الدم، وليس عليه حكم الموت: "تفرز لنفسك ثلاث مدن فى وسط أرضك التى يعطيك الرب الهك لتملكها. تمهد الطريق وتثلث تخوم أرضك التى قسم لك الرب إلهك فتكون لكى يهرب اليها كل قاتل. وهذا هو حكم القاتل الذى يهرب الى هناك فيحيا. من ضرب صاحبه بغير علم وهو غير مبغض له منذ أمس وما قبله. ومن ذهب مع صاحبه فى الوعر ليحتطب حطبا فاندفعت يده بالفأس ليقطع الحطب وأفلت الحديد من الخشب وأصاب صاحبه فمات فهو يهرب إلى إحدى تلك المدن فيحيا لئلا يسعى ولى الدم وراء القاتل حين يحمى قلبه ويدركه إذا طال الطريق ويقتله وليس عليه حكم الموت لأنه غير مبغض له منذ أمس وما قبله، لأجل ذلك أنا آمرك قائلا : ثلاث مدن تفرز لنفسك. وإن وسع الرب الهك تخومك كما حلف لأبائك وأعطاك جميع الأرض التى قال إنه يعطى لأبائك إذا حفظت كل هذه الوصايا لتعملها كما أنا موصيك اليوم لتحب الرب إلهك وتسلك فى طرقه كل الأيام فزد لنفعك ايضا ثلاث مدن على هذه الثلاث. .حتى لا يسفك دم برئ فى وسط أرضك التى يعطيك الرب الهك ميراثا فيكون عليك دم" (التثنيه١٩:٢-١٠).

ويلاحظ فى النص السابق أن مدن الملجأ كانت ثلاثة ثم زيدت إلى ست مدن للملجأ، وهو ما يشير اليه نص سفر العدد: "مُر بنى اسرائيل وقل لهم إذا أنتم إجتزتم الأردن إلى أرض كنعان. فعينوا لكم مدنا تكون لكم مدن ملجأ يهرب اليها القاتل من قتل نفسا سهوا. فتكون تلك المدن ملجأ لكم من الولى فلا يقتل القاتل حتى يقف أمام الجماعه للحكم عليه. والمدن التى تفرزونها للملجأ ست مدن تكون لكم. ثلاث منها فى عبر الأردن وثلاث فى أرض كنعان تكون مدن

ملجأ . لبنى إسرائيل وللغريب والدخيل فيما بينكم تكون هذه المدن الملجأ الست ملجأ يهرب اليها كل من قتل نفسا سهوا" (العدد٣٥:١٠-١٥).

٣ - **القتل شبه العمد:** وجزاؤه القتل، ويدخل ضمنه ما إذا تعارك قوم فصدموا إمرأة حاملا فسقط جنينها ميتا، أو ماتت وسقط جنينها حيا أو ماتا معا، وكذلك إذا كان لرجل ثور نطاح وأعلم بذلك، ولكنه تمادى فى إطلاقه فقتل رجلا أو إمرأة أو صبيا أو صبية من الأحرار، فصاحب الثور يقتل، ولكن لا يرخص له فى افتدأ نفسه (قضائيا). أما إذا كان المقتول عبدا فلصاحب العبد ثلاثون مثقالا من فضه يغرمها صاحب الثور تعويضا له ويرجم الثور:

"إذا تخاصم رجال وصدموا إمرأة حبلى وسقط ولدها ولم تحصل أذيه يغرم، كما يضع عليه زوج المرأة ويدفع على يد القضاة. وإن حصلت أذية تعطى نفسا بنفس وعينا بعين ويدا بيد ورجلا برجل وكيا بكى وجرحا بجرح ورضا برض" (الخروج٢١:٢٢-٢٥)

"إن كان ثورا نطاحا من قبل وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلا أو إمرأة فالثور يرجم وصاحبه أيضا يقتل وإن وضعت عليه فدية يدفع فداء نفسه كل ما يوضع عليه. أو إذا نطح إبنا أو نطح إبنة فبحسب هذا الحكم يفعل به. إن نطح الثور عبدا أو أمه يعطى سيده ثلاثين شاقل فضه والثور يرجم" (الخروج٢١:٢٨-٣٢).

إجراء القسامة :

من تشريعات القصاص الخاصة بالقتل فى اليهوديه، ورد كذلك فى سفر التثنيه ذلك التشريع الخاص بالقتيل الذى لا يعرف قاتله، وهو ما يعرف عند المسلمين بالقسامة. وينص هذا الإجراء على ما يلى:

١ – إذا قتل قتيل فى الحقل ولم يعرف قاتله يؤتى بأهل أقرب البلاد من موضع القتيل.

٢ – يأتون بعجلة من البقر لم يحرث عليها ولم تجر بالنير.

٣ – يأتى شيوخ القرية بها الى واد دائم السيلان لم يحرث فيه ولم يزرع ويكسرون عنق العجلة فى هذا الوادى.

٤ – يتقدم الكهنة من بنى لاوى فيباركون الله ويغسل جميع الشيوخ الذين من القرية القريبة أيديهم على العجلة ويصرخون قائلين "أيدينا لم تسفك هذا الدم وعيوننا لم تر":

"إذا وجد قتيل فى الأرض التى يعطيك الرب الهك لترثها مطروحا فى الصحراء لا يعرف من قتله. فليخرج شيوخك وقضاتك ويقيسوا المسافة منه إلى المدن التى حول القتيل. فأية مدينة كانت أقرب إليه يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر لم يحرث عليها ولم تجر بالنير، ويهبط بها شيوخ تلك المدينة واديا لا ينضب ولم يفلح ولم يزرع ويكسرون عنقها فى الوادى. ثم يتقدم الكهنة بنو لاوى لأن الرب الهك اختارهم ليخدموه ويباركوا باسم الرب وبكلامهم تفصل كل خصومة وكل ضربة، ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبة من القتيل أيديهم على العجلة المكسورة العنق فى الوادى، ويجيبون قائلين أيدينا لم تسفك هذا الدم وعيوننا لم تر. اللهم اغفر لشعبك اسرائيل الذى فديته يارب ولا تجعل الدم البرئ فيما بين شعبك اسرائيل فيكفر عنهم الدم، فتزيل الدم البرئ من بينكم لأنك صنعت القويم فى عينى الرب" (التثنية٢١:١-٩).

ويلاحظ أن الشريعة الاسلامية تقرر كذلك انه إذا وجد قتيل لا يعلم قاتله أجريت القسامة على أهل البلدة التى وجد فى طرقها أو بالقرب منها، وإنه إذا وجدت جثته بين بلدين أجريت القسامة على أقربها مسافة من مكان جثته.

والقسامة فى الإسلام أن يستحلف ولى الدم خمسين رجلا يتخيرهم من أهل البلدة فيحلفون أنهم ما قتلوه، ولا علموا له قاتلا فحينئذ يسقط القصاص، ولكن تجب الدية على أهل البلدة جميعا يدفعونها متضامنين لأسرته.

وإذا قارنا بين ما ذكر فى سفر التثنيه عن إجراءات القسامة وبين ما قررته الشريعة الاسلامية فى هذا للاحظنا ما يلى:

١ - يتفق سفر التثنيه مع الشريعة الاسلامية فى إجراء القسامة على أقرب بلد الى جثة القتيل وفى اختيار طائفة من أهل البلد ليحلفوا أنهم ما قتلوه ولا علموا له قاتلا حتى يسقط عنهم القصاص. واتفاق سفر التثنيه مع الشريعة الاسلاميه فى هذه الأمور يجعلنا نرجح أن محررى هذا السفر قد استمدوا هذه الأحكام فى جملتها من توراتهم الصحيحة، وأن الله تعالى قد شرع للمسلمين فى صددها ما سبق أن شرع مثله أو قريبا منه لليهود، أى أنها من الأمور المشتركه بين الشريعتين والتى ذكرها الله فى كتابه الكريم إذ يقول: "شرع لكم من الدين ما أوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى.." (سورة الشورى١٣)

٢ - نجد فى سفر التثنيه بجانب الأمور السابق ذكرها اجراء غريبا أقحم اقحاما على اجراءات القسامة، وهو الخاص بالعجلة التى يحضرها كبراء البلد وينحرونها من قفاها فى جدول ويغسلون ايديهم فوقها مقسمين انهم لم يقتلوا القتيل ولم يعلموا له قاتلا، ويزيد من غرابة هذا الاجراء إنه لا يصلح أن يكون حتى مجرد رمز للحقيقة التى يريد أهل البلد أن يقرروها وهى براءتهم من دم القتيل، لأن غسل أيديهم فى جدول ملوث بدماء العجلة التى نحروها بأيديهم وصب الماء فوق هذه العجلة كل ذلك لا يصلح أن يكون رمزا لبراءتهم من جريمة القتل، بل إنه لخليق أن يكون رمزا لاقترافهم اياها. (١١١)

وقد ورد للبقرة الواردة فى سفر التثنية ذكر فى القرآن الكريم وذلك فى سورة البقرة إذ يقول تبارك وتعالى: "وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، قالوا أتتخذنا هزوا، قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما هى، قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك، فافعلوا ماتؤمرون، قالوا أدع لنا ربك يبين لنا مالونها، قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين، قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما هى إن البقر تشابه علينا، وإنا إنشاء الله لمهتدون. قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث، مُسلَمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كانوا يفعلون. وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا أضربوه ببعضها، كذلك يحيى الله الموتى ويريكم أياته لعلكم تعقلون" (البقرة٦٦-٧٢).

وأشهر تفسير من تفاسير هذه الآيات وأصحها جميعا أنه قد وقعت فى عهد موسى عليه السلام حادثة قتل، فطلب بنو اسرائيل إلى موسى أن يدعو ربه أن ينبئهم بمن ارتكب هذا الجرم، فقال لهم موسى إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، فعجبوا لذلك إذ لم تظهر لهم علاقة بين ذبح البقرة، والكشف عن القاتل، وظنوا أن موسى يهزأ بهم. ولكن موسى بين لهم أن هذا هو ما أمر الله به لاظهار الحق فى هذا الحادث، فأخذوا يستفسرون منه عن سن البقرة التى ينبغى أن يذبحوها وعن لونها وعن عملها. فلما شرح لهم ذلك كله بوحى من الله بحثوا حتى وجدوا بقرة تتوافر فيها هذه الصفات جميعا فذبحوها. وأوحى الله الى موسى أن يضربوا جثة القتيل بجزء من هذه البقرة فضربوها به، فأحياه الله تعالى وذكر لهم اسم قاتله، ثم مات ثانيا، فكان فى هذا معجزة لموسى من جهة، وبيان حى من جهة أخرى لقدرة الله تعالى على إحياء الموتى، وهو الأمر الذى كان يرتاب فيه بنواسرائيل. ولذلك يختتم الله تعالى هذه القصة بقوله "كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون"، وفيه كذلك إشارة إلى

أن بعث الله تعالى الحياة فى ميت لا يتوقف على سبب من الأسباب التى تدركها عقولهم، وإنما أمر الله إذا أراد ذلك أن يقول له كن فيكون، فيحدث بدون سبب ما أو يجئ عقب أمر لا يتصور العقل أن يكون سببا له، وذلك أن العقل لا يتصور أن ضرب جثة الميت بجزء من جثة ميت أخر يمكن أن يكون سببا لبعث الحياةفيه.(١١٢)

ومن الملاحظ أن أوصاف البقرة المذكورة فى معجزة موسى تفق فى جملتها مع أوصاف العجلة المذكورة فى سفر التثنيه فى إجراءات القسامة "عجلة من البقر لم يحرث عليها ولم تجر بالنير "أى" بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك؛ لاذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث"، ولكن ذبح البقرة الذى ورد فى القرآن كان فى حادث قتل معين لم يعلم مقترفه، بينما ذبح البقرة الذى ورد فى سفر التثنيه هو إجراء يتم كلما وجد قتيل لم يعرف قاتله.

والشريعة اليهودية تنص على عقوبة القتل لغير من قتل نفسا فى حالات كثيرة نذكر منها:

١ - "كل إنسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل، قد سب أباه أو أمه دمه عليه (أى جنى على نفسه) ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا". (اللاويين ٢٠:٩؛ والخروج٢١:١٥، ١٧)

٢ - "إذا زنى رجل مع إمرأة فإذا زنى الرجل مع إمرأة قريبه (أى يهوديه) فإنه يقتل الزانى والزانية" (اللاويين٢٠:١٠).

٣ - وفى حالة زواج رجل من فتاة ولا يجدها عذراء "يخرجون الفتاة الى باب أبيها ويرجمها أبيها ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت لإنها عملت قباحة فى اسرائيل بزناها فى بيت أبيها" (التثنيه٢٢:١٣:٢١).

٤ - "إذا وجد رجل مضطجعا مع إمرأة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل

المضطجع مع إمرأة والمرأة" (التثنية٢٢:٢٢).

٥ - "إذا إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل فى المدينة واضطجع معها فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا، والفتاة من أجل إنها لم تصرخ فى المدينة والرجل من أجل إنه أذل إمرأة صاحبه. ولكن إن وجد الرجل الفتاة المخطوبة فى الحقل وأمسكها الرجل وإضطجع معها يموت الرجل الذى اضطجع معها وحده. وأما الفتاه فلا تفعل بها شيئا. وليس على الفتاة خطية للموت، بل كما يقوم الرجل على صاحبه ويقتله قتلا هكذا هذا الأمر". (التثنية٢٢:٢٣-٢٦)

٦ - "إذا وجد رجل قد سرق نفسا من إخوته بنى اسرائيل واسترقه وباعه يموت ذلك السارق". (التثنيه٢٤:٧).

٧ - "إذا سجد أحد من بنى اسرائيل لإله آخر أو للشمس أو للقمر أو لكل من جند السماء: "فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة الذى فعل ذلك الأمر الشرير الى أبوابك الرجل أو المرأة وأرجمه بالحجارة حتى يموت، على فم شاهدين أو ثلاثة شهود يقتل الذى يقتل" (التثنيه٢٤:٧).

"فقال موسى لقضاة اسرائيل اقتلوا كل واحد من تعلق من قومه ببعل فغور" (العدد٢٥:٦).

٨ - "إذا اضطجع رجل مع إمرأة أبية فقد كشف عورة أبيه، إنهما يقتلان كلاهما دمهما عليهما". (اللاويين٢٠:١١).

٩ - "إذا اضطجع رجل مع كنته (امرأة الابن أو الأخ) فإنهما يقتلان كلاهما. قد فعلا فاحشة دمهما عليهما" (اللاويين٢٠:١٢).

١٠ - وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا رجسا إنهما يقتلان دمهما عليهما (اللاويين٢٠:١٣).

١١ - "وإذا اتخذ رجل إمرأة فذلك رذيلة بالنار يحرقونه وإياهما لكى لا يكون رذيلة بينكم" (اللاويين٢٠:١٤).

١٢ - "وإذا جعل رجل مضجعه مع بهيمة فإنه يقتل والبهيمة تميتونها" (اللاويين٢٠:١٥،الخروج٢٢:١٩).

١٣ - "وإذا إقتربت إمرأة الى بهيمة لنزائها تميت المرأة والبهيمة. إنهما يقتلان دمهما عليهما" (اللاويين٢٠:١٦).

١٤ - "وإذا أخذ رجل أخت بنت أبيه أو بنت أمه ورأي عورتها ورأت هى عورته فذلك عار، يقطعان أمام أعين بنى شعبهما. قد كشف عورة أخته. يحمل ذنبه" (اللاويين٢٠:١٧).

١٥ - "وإذا اضطجع رجل مع إمرأة طامث وكشف عورتها، عرى ينبوعها وكشفت هى ينبوع دمها يقطعان كلاهما من شعبهما" (اللاويين٢٠:١٨).

١٦ - "عورة أخت أمك أو أخت أبيك لا تكشف. إنه قد عرى قريبته يحملان ذنبهما (اللاويين٢٠:١٩).

١٧ - "إذا اضطجع رجل مع إمرأة عمه فقد كشف عورة عمه. يحملان ذنبهما. يموتان عقيمين" (اللاويين٢٠:٢٠)

١٨ - "وإذا أخذ رجل إمرأة أخيه فذلك نجاسة، قد كشف عورة أخيه. يكونان عقيمين"(اللاويين٢٠:٢٣).

١٩ - "والنفس التى تلتفت الى الجان والى التوابع لتزنى وراءهم أجعل وجهى ضد تلك النفس وأقطعها من شعبها" (اللاويين٢٠:٦).

٢٠ - "من جدف على إسم الرب فإنه يقتل" (اللاويين٢٠:٢٧).

٢١ - "كل من أكل مختمرا تقطع تلك النفس من جماعة اسرائيل الغريب مع مولود الأرض" (اللاويين١٢:١٩).

٢٢ - "كل من صنع مثاله (يقصد العطور الخاصه بخيمة الاجتماع) ليشمه يقطع من شعبه" (الخروج٣٠:٣٨).

٢٣ - فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم. من دنسه يقتل قتلا ... كل من صنع عملا فى يوم السبت يقتل قتلا" (الخروج ٣١:١٤-١٥؛ والخروج٣٥:٢).

٢٤ - "إذا أغواك سرا أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو إمرأة حضنك أو صاحبك الذى مثل نفسك قائلا نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك... فلا ترضى منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلا تقتله. يدك تكون عليه أولا لتقتله ثم أيدى جميع الشعب أخيرا ترجمه بالحجارة حتى يموت" (التثنيه١٣:٦-١٠).

٢٥ - "الاجنبى الذى يقترب (من خيمة الاجتماع) يقتل" (العدد٣:١٠؛ والعدد١٧:١٣)

٢٦ - "كل من كان طاهرا وليس فى سفر وترك عمل الفصح تقطع تلك النفس من شعبها لإنها لم تقرب قربان الرب فى وقته" (العدد٩:١٣).

٢٧ - "إذا كان لرجل ابن معاند ومتمرد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدبانه فلا يسمع لهما. يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به الى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه ويقولان لشيوخ مدينته.) إبننا هذا معاند ومتمرد ولا يسمع لقولنا وهو مسرف وسكير. فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت".(التثنيه٢١:١٨-٢١).

٢٨ - "... كل من يمس الجبل (جبل سيناء) يقتل قتلا". (والمقصود أثناء تلقى موسى للوصايا العشر). (الخروج١٩:١٢).

٢٩ - "حين تقرب من مدينه لكى تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها لك للتسخير ويستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها. وإذا دفعها الرب الهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب الهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريما" (التثنية٢٠:١٠-١٧).

٣٠ - " كل إنسان من بنى اسرائيل ومن الغرباء النازلين فى اسرائيل أعطى من زرعه لُمولك فإنه يقتل يرجمه شعب الأرض بالحجاره". (اللاويين٢٠:٢-٥).

وقد ارتضى موسى بن ميمون دون عناء فى مؤلفه (مشناتوراه)(تثنية التوراه) عقوبة الاعدام التى يفرضها العهد القديم جزاء السحر، والقتل، ومضاجعة المحارم، وعبادة الأوثان، والسرقه بالاكراه، وخطف الأشخاص، وعصيان الأبناء والأباء، وخرق حرمة يوم السبت.

وفى هذه الحالات التى أباحت فيها الشريعة اليهوديه تطبيق عقوبة القتل على مرتكبها، كان بعضها قاصرا على عصر موسى - عليه السلام - وطبق على من عليه المخالفه عقوبة القتل ومن ذلك:

١ - تدنيس يوم السبت، حيث طبقت عقوبة القتل رجما على احتطب يوم السبت.

(راجع وصية المحافظه على شريعة السبت، وكذلك سفر العدد ١٥: ٣٢-٣٦).

٢ - السجود لغير يهوده فى حادثة العجل الذهبى، أى قتل النفس تكفيرا عن عبادة العجل: "ولما رأى موسى الشعب إنه لا عنان له. لأنه هارون قد أرخى له العنان للهزء بين أعدائه. فوقف موسى فى باب المحلة. وقال من للرب فإلىّ - فاجتمع اليه جميع بنى لاوى. فقال لهم هكذا قال الرب إله اسرائيل ضعوا كل واحد سيفه فخذوه ومروا وارجعوا من باب الى باب فى المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه. ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى. ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل" (الخروج ٣٢: ٢٥-٢٩).

ويرى بعض الباحثين فى أسفار التوراه أن فى ذلك إشاره الى حرب أهليه وقعت بين بنى أسرائيل بعد خروجهم من مصر الى سيناء، وخاصة أنهم يرون أن اللاويين أو بنى لاوى لم يكونوا سبطا من أسباط بنى اسرائيل وإنما كانوا حرس موسى وخدمه الخصوصيون وكتبته وأنصاره المقربين كما هو واضح من النص التوراتى - هم الذين بدأوا الحرب الأهليه ضد المنشقين من عباد العجل(١١٣).

وهناك شواهد على هذا التفسير تؤكد تأجج نار الصراع بين موسى عليه السلام وبنى اسرائيل بسبب جعله الاشراف على مناسك العباده وقفا على كهنه مختصين، ثم اصطفى للكهانة أخاه هارون وأولاده وحفدته من بعدهم وعين لهم الأرزاق الموفورة يؤديها اليهم أفراد الرعيه صاغرين، وسجل ذلك فى توراته فريضة مفروضة أبدا لأسرته على رعيته "وأما بنو لاوى فإنى قد أعطيتها كل عشرة فى اسرائيل ميراثا، عوض خدمتهم التى يخدمونها خدمة خيمة الاجتماع ... فإن عشور بنى اسرائيل التى يرفعونها للرب تقدمة قد أعطيتها

للاويين ميراثا" (العدد١٨:٨-٢٤). وقد ورد في سفر العدد أن بني اسرائيل قد أرجعوا كل ما جاء بهم من النكبات الى استئثار موسى - عليه السلام - بالسلطان وبدأوا يتألبون عليه وعلى أخيه هارون: "فاجتمعوا على موسى وهارون. وقالوا لهما كفاكما. إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب. فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب" (العدد١٦:٣). وكانت نتيجة ذلك التمرد من هذا النفر من بني اسرائيل أن "... خرجت نار من عند الرب وأكلت المئتين والخمسين رجلا" (العدد١٦:٣٢-٣٥). وأدى هذا الى تأجج نار الفتنة ووقوف القوم صفا واحدا في وجه موسى - عليه السلام - وجابهوه بتهمة القتل: "فتذمر كل جماعة بني اسرائيل في الغد على موسى وهارون قائلين أنتما قد قتلتما شعب الرب" (العدد١٦:٤١). وانتهت الواقعه بوباء تفشى حل بالجميع سواء من عصى أو من أطاع "فكان الذين ماتوا بالوباء أربعون ألفا وسبع مائة عدا الذين ماتوا بسبب قورح" (العدد١٦:٤٩).

وقد صَدَّق القرآن الكريم على واقعة عُبَّاد العجل في قوله تعالى:

"إنكم ظلمتم أنفسكم بإتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم"(سورة البقرة٥٤).

ويرى المفسرون المسلمون أن قتل النفس على هذا النحو كان شرطا لغفران تلك الجريمة الفظيعة التي أقدم عليها بنو اسرائيل بإرتدادهم عن دين الله واتخاذهم العجل الها معبودا، ويقولون أن التطور الإنساني الكبير الذي جاء به الإسلام بعد ذلك هو أن مغفرة الله للعصاة من المسلمين لم تعد تتطلب قتل النفس وإنما أصبح يكتفى فيها بالنية الصادقة.

٣ - الشريعة الخاصه بقتل كل من يقع في أيديهم من أعدائهم، وهي الشريعة التي طبقوها بوحشية وبلا رحمة مع كافة الشعوب التي صادفوها في

طريقهم ووقعت فى أيديهم، وتمتلئ بأحداثها سجلات تاريخهم المدون فى "العهد القديم" بأسره وليس فى أسفاره التوراه فحسب، ومن الغريب أنه بالرغم من أن شريعتهم فى الحرب تنص على قتل الأعداء وإبادتهم فقد ملأوا مدوناتهم بالتهجم على الإسلام وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم لإنه طبق هذه الشريعة مع بنى قريظة لحنثهم بالعهد الذى عاهدوا النبى (صلعم) عليه.(١١٤)

٤ - الشريعة الخاصه بقتل الزاني والزانية، حيث وردت فى سفر العدد قصة فنحاس بن العازار بن هارون الكاهن الذى قتل زانيا من بنى اسرائيل وزانية مديانية (العدد٢٥:١-٩)ويعتقد اليهود إنه إذا سفك امرؤ دم آخر خرجت روح القتيل من جثمانه مع الدم ولم تنفك تجأر بالشكوى: "صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض"(تكوين٤:١٠).

ومن هنا نشأ تحريم سفك الدم ووجوب تطهر الجنود بعد القتال من إهراق دم العدو ومن لمسه حتى لا ينقلوا ذلك الدم الى عشيرتهم فتنتقل معه أرواح القتلى من الأعداء فيتاح لها الاقتصاص من قتلة أصحابها. ومصداق ذلك قول موسى - عليه السلام - لجنوده وقد عادوا بعد ما أعملوا السيف فى رقاب أهل مدين: "وأما أنتم فانزلوا خارج المحلة سبعة أيام، وتطهروا كل من قتل نفسا وكل من مس قتيلا فى اليوم الثالث والسابع أنتم وسبيكم وكل متاع من جلد، وكل مصنوع من شعر ماعز وكل متاع من خشب تطهرونه" (العدد٣١:١٩-٢٠).

ومرجع ذلك أن اليهود يعتقدون أن دم الإنسان أو الحيوان هو حياته أو - على الأقل - أن روحه تكمن فى دمه. ومن هنا نشأ تحريم أكل الدم عند اليهود: "لكن إحترز أن لا تأكل الدم لأن الدم النفس فلا تأكل النفس مع اللحم" (التثنيه١٢:٢٣).

ويرى ول ديورانت فى "قصة الحضارة" أن هذه الوصية مبدأ مثالى صعب المنال، وذلك لأننا لا نرى فى أى كتاب ما نراه فى أسفار العهد القديم من حديث القتل والتدمير، ففصوله كلها ما بين وصف لمذابح وتناسل لتعويض آثارها. لقد كان النزاع بين الاسباط، والانقسامات الحزبيه، وعادة الأخذ بالثأر المتوارثه، كل هذه كانت لا تبقى على فترات السلم المتقطعه المملة إلا قليلا. ولم يكن أنبياء بنى اسرائيل من دعاة السلم رغم ما جاء فى بعض أقوالهم من تمجيد للمحاريث ومناجل التشزيب، وكان الكهنة أنفسهم - إذا جاز لنا أن نحكم عليهم من خطبهم التى يُنطقون بها يهوه - مولعين بالحروب ولعهم بالمواعظ. ولقد قتل ثمانية من ملوك اسرائيل التسعة عشر، وكانت العادة المتبعة أن تدمر المدن التى يستولون عليها فى حروبهم، وأن تقطع بحد السيف رقاب جميع الذكور من سكانها، وأن تتلف الأرض حتى لا تصلح للزرع إلا بعد زمن طويل، شأنهم فى ذلك شأن الشعوب الأخرى فى تلك الأيام(١١٥).

النهى عن القتل فى الإسلام:

وردت وصية النهى عن القتل فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم، ولكن وصية النهى عن القتل وردنت قاطعة فى سورة الإسراء:

"أتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا" (الاسراء٣٦).

كما وردت كذلك فى سورة الأنعام: "ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون" (الأنعام ١٥١).

أما نظرة الإسلام إلى القتل فيمكن أن نوجزها فيما يلى:

١ - **القتل العمد:** يقول تعالى: "يا أيها الذين آمنو كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعين بالعين والانثى بالانثى، فمن عُفِى له من أخيه

شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم. ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون" (البقرة١٧٨).

هذه الآية الكريمة توضح لنا القصاص أو حد القتل المتعمد. ومناسبة نزول هذه الآية الكريمة توضح لنا القصاص أو حد القتل المتعمد، ومناسبة نزول هذه الآية هو أن العرب فى الجاهلية كانوا إذا قُتل عبدلهم وكانوا أولى قوة، فإنهم يطالبون بقتل حر وإذا قتلت إمرأة طالبوا بقتل رجل مكانها تنويها بشرفهم وفضلهم على جماعة القاتل، فكانت هذه الآية دحضا لحكمهم الباطل. أما قوله تعالى "ولكم فى القصاص حياة" فمعناه أن القاتل إذا علم حكم القتل وإنه إذا قتل قُتل أمسك عن الفعل فكانت حياته.(١١٦)

وكما هو واضح فى الآية فإن الرجل أو المرأة عبيدا أم أحرارا إذا قتل أحدهم حراً ذكرا أو انثى كان حكمهما القتل. ولمسألة القتل فروع أذكرها هنا بإيجاز:

* إذا قتل الحر العبد لا يقتل به وكذلك إذا قتل المسلم الذمى (غير المسلم من أهل الذمة) ولهم أدلة من الكتاب والسنة لا مجال لأن نذكرها فى هذا المقام.

* وإذا قتل الوالد ولده لا يقتل به. وإذا أشترك الجماعة فى قتل الواحد قتلوا جميعا.

* أما صفة القتل التى يُقتل بها القاتل فمختلف فيها كذلك على قولين: القول الأول أن يقتل بالصفة التى قتل بها. والقول الثانى يقتل بالسيف دوما لأن الغرض هو إتلاف نفسه فقط.

ب - القتل الخطأ:

يقول تعالى: "وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة وجزية مسلمة إلى أهله، إلاّ أن يصدّقوا. فإن كان من قوم عدوّ لكم وهو مؤمن، فتحرير رقبة مؤمنة. وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق، فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله، وكان الله عليما حكيما. ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها، وغضب الله عليه ولعنه، وأعد له عذابا عظيما. يا أيها الذين آمنوا، إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم فتبينوا، إن الله كان بما تعملون خبيرا" (النساء٩٢-٩٤).(١١٧).

وسبب نزول هذه الآية "... وكان الله عليما حكيما"، إن أسامة بن زيد رضى الله عنه لقى فى المعركة مشركا فعلاه بالسيف، فقال المشرك: لا إله إلا الله، لكن أسامة أجهز عليه وقتله ولما رجع إلى رسول الله وقص عليه الخبر قال له: أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ؟

وسبب نزول الآية الثانية "يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى الأرض..." أن أحد المشركين مر بجماعة من المسلمين يسوق غنما، وكان يكره أصحاب محمد، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منّا فقتلوه وساقوا غنمه إلى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية.

وعموم هذه الآيات تحدثنا فى البداية على إنه ليس من شأن المؤمن الحق قتل المؤمن إلا أن يكون القتل خطأ، فإن وقع الخطأ وجب عليه تحرير رقبة من المؤمنين (ونلاحظ هنا حكمة التشريع الإسلامى ودعوته إلى القضاء على الرق) وفى نفس الوقت يدفع دية إلى أهل القتيل، وكذلك الحكم فى المعاهد أو الذمى،

وإن أسقط الولى عن القاتل الدية فله ذلك، أما إذا كان القتيل مسلما وأهله أعداء للمسلمين فالحكم هو تحرير رقبة فقط، وبخصوص الرقبة إذا كان القاتل لا يملك حق تحريرها وجب عليه صيام شهرين متتابعين.

جـ - القتل شبه الخطأ:

وهو ما كان بضرب المقتول بما ليس من شأنه أن يقتل (عصا خفيفة أو حجر صغير .. الخ) فأدى إلى موته، فهذا خطأ فى القتل وعمد فى الضرب فسمى تسميه وسطى (١١٨).

وحكم هذا الصنف النظر فى قرائن الأحوال وترجيحه إما إلى العمد وإما الى الخطأ وليس له حكم خاص به.

الوصية السابعة :

لا تزن (الخروج٢٠:١٤، والتثنية٥:١٨)

والفارق بين نص سفر الخروج ونص سفر التثنية، هو أن الكلمة الدالة على الوصية جاءت فى سفر التثنية مسبوقة بواو العطف "ولا تزن"، وهى السمة التى تميز سائر الوصايا الواردة فى هذا السفر اعتبارا من هذه الوصية، مما يشير (كما ذكرنا من قبل) إلى أن نص سفر التثنية هو نص لاحق للنص الوارد فى سفر الخروج.

وهذه الوصية تحرم العلاقات الجنسية بين الرجل وزوجة رجل آخر، وذلك هو معنى الفعل العبرى المستخدم فى الوصية، وهو "نأف" فى لغة "المقرا" : "وإذا زنى رجل مع إمراءة فإذا زنى مع إمرأة قريبة" (اللاويين٢٠:١٠)؛ و"زنيا بنساء أصحابهما" (إرميا٢٩:٢٣)، و"أيتها الزوجة الفاسقة تأخذ أجنبيين مكان زوجها" (حزقيال١٦:٣٢). ونظرا لوجود فعل مرادف فى العبرية للفعل "نأف" للدلالة على الزنا هو "زانا"، فقد حاول المفسرون أن يحددوا فارقا فى الاستخدام بين الفعلين "نأف" و"زانا". لقد أشاروا إستنادا الى أدلة من "المقرا" إلى أن الفعل "نأف" يستخدم فى حالة إتيان فعل الزنا مع إمرأة متزوجة، بينما يستخدم الفعل "زانا" فى حالة إتيان فعل الزنا مع فتاة عذراء. ويستدلون على ذلك بما ورد فى سفر حزقيال عن الفتاتين اللتان مارستا الزنا قبل أن يتزوجا، والتى ترد قصتهما فى الاصحاح الثالث والعشرين: "يا ابن آدم كان امرأتان إبنتا أم واحدة. وزنتا بمصر فى صباهما زنتا" (حزقيال ٢٣:٢-٣). وورد كذلك فى هوشع: "لا أعاقب بناتكم لأنهن يزنين، ولا كناتكم لأنهن يفسقن" (هوشع٤:١٣)، حيث استخدم مع البنات الفعل "زانا"، ومع البنات المتزوجات الفعل "نأف". ولكن هناك شواهد أخرى من "المقرا" تشير إلى أن كل من الفعلين يستخدمان دونما تمييز سواء كان فعل الزنا مع إمرأة متزوجة أو مع فتاة لم تتزوج:

"إمرأتك تزنى فى المدينة" (عاموس٧:١٧)، حيث استخدم فى هذا النص الفعل "زنا" للإشارة إلى إمرأة، أى زوجة رجل. وقد ورد كذلك فى سفر إرميا : "إذ زنت العاصية إسرائيل... وكان من هوان زناها أنها نجست الأرض وزنت مع الحجر ومع الشجر" (إرميا٣:٨-٩) حيث يستخدم هنا فى هذا النص الفعل "نأف" للإشارة إلى اسرائيل التى يتمثلها النبى ارميا فى صورة امرأة متزوجة. وبشكل عام، إذا التزمنا بحدود التحريم الوارد فى الوصية، على أنه قاصر على تحريم الاتصال الجنسى بين الرجل وزوجة رجل أخر، فإنه فى هذه الحالة، من الناحية اللغوية، يمكننى اعتبار أن كل "نئوف" (أى استخدام للفعل "نأف") هو زنا، ولكن ليس كل "زانوت" (أى استخدام للفعل "زانا") هو "نئوف" أى زنا محرم. وقد استخدم فعل "نجس" أو "دنس" (بالعبرية "طِمية") للإشارة الى فعل "الزنا". فعندما زنى شكيم مع دينة ابنة يعقوب، جاء فى سفر التكوين: "وسمع يعقوب أنه نجس دينة إبنته" (التكوين٣٤:٥). أما أولاد يعقوب فغضبوا جدا ودبروا حيلة قتلوا بها شكيم وكل رجال مدينته، لأنه كان قد دنس دينة أختهم" (التكوين ٣٤:١٣ ، ٢٧). ويقول حزقيال النبى عن الرجل الذى يزنى إنه "نجس إمرأة قريبه "(حزقيال ١٨:١١). ويقول الرب على لسان إرميا النبى إنه بهذا الأمر "تتنجس الأرض نجاسة"، ويقول لتلك العاصية: "نجست الأرض بزناك" (إرميا٣:١ ، ٢)، أى أن الزنا لا ينجس أصحابه فقط، وإنما ينجس الأرض أيضا.

كذلك فإن عبادة الأوثان اعتبرت بمثابة الزنا. فعندما عبد بنو اسرائيل الأصنام فى عصر القضاة، وصفت فعلتهم بأنها زنا: "لقضاتهم ايضا لم يسمعوا، بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها" (القضاة٢:١٧)، وقد أصبح هذا التعبير مألوفا فى العهد القديم، فحين وقعت مملكة إسرائيل ومن بعدها مملكة يهوذا فى عبادة الأصنام، قال الرب على لسان إرميا النبى: "زنت العاصية اسرائيل" انطلقت إلى كل جبل عال وإلى كل شجرة خضراء، وزنت هناك" ولم تخف أختها الخائنة يهوذا، بل مضت وزنت هى أيضا، وكان من هوان زناها أنها

نجست الأرض وزنت مع الحجر ومع الشجر" (ارميا ٣:٦-٩). وبنفقس المعنى قال الرب على لسان هوشع النبى: "زنى إفرايم، تنجس اسرائيل" (هوشع٦:١٠).

وقد ذكر "راشى" (ربى شلوموبريتسحاك، المفسر المشهور فى العصور الوسطى) فى تفسيره لهذه الوصية "ليس هناك زنا إلا بإمرأة رجل". ولكن فى مقابله نجد أن ربى ابراهام ابن عزرا يقول فى تفسيره لسفر الخروج: "لقد اعتقد كثيرون أن الزنا لا يكون إلا مع امرأة رجل... ولكن ليس معنى هذه الوصية هو حسبما اعتقدوا ... إن كلمة "ننوف" مثل "زانوت"(١١٩). ووفق تفسير ابن عزرا، فإن أى اتصال بإمرأة بما يتناقض مع حكم الشريعة هو زنا، ولكى نعرف ما هو الزنا لابد من معرفة كل تفاصيل الأحكام بشأن هذا الموضوع. إن زوجة الأخ محرمة على الإنسان، ولكن إذا مات أخوه دون أن يخلف نسلا، فإنه يحق له أن يتزوجها من بعده، وهو ما يعرف باسم "زواج اليبوم"، ولا يعرف من تحريم "لا تزن" ما هو المحرم وما هو المباح من النساء. وحتى لو كان الزنا قاصرا فحسب على المرأة المتزوجة، فلابد من معرفة تفاصيل قوانين الأحوال الشخصية لمعرفة ما إذا كانت المرأة هى إمرأة رجل أم لا. إن تحريم الزنا لا يشير إلى شئ من هذه الأمور، وليس إلا مجرد مبدأ من تلك المبادئ التى ورد لها تفسير فى أجزاء أخرى من التوراة، ولا يمكن الاستدلال على محتواه من أى مبدأ آخر عن طريق الاستدلال، ولذلك فإن التحريم بصورته الواردة فى نص الوصية ليس له أى معنى ولا تفسير ولا تبرير.

وعلى أى الحالات، فإن المفسرين اليهود قد وسعوا حدود التحريم الذى تتضمنه هذه الوصية ليشمل كافة العورات المحرمة. وبذلك فإن هذه الوصية تجعل الزواج هو الأساس الذى يجب أن تقوم عليه الأسرة. وتنهى عن الفسق والفجور بأى إمرأة حرمها التشريع اليهودى سواء كانت إمرأة رجل أو مطلقة أو أرملة أو عذراء أو من العورات المحرمة. والشريعة اليهودية، بالرجوع إلى

تفاسير هذه الوصيـة، فى أجزاء متفرقة من التوراة، لم تنه عن الزنا فقط، بل نهت كذلك عن تعريض النساء للظروف التى تجبرها على الزنا: "لا تدنس إبنتك بتعريضها للزنا لئلا تزنى وتمتلئ الأرض رذيلة" (اللاويين١٩:٢٩).

وقد وجد بعض الباحثين فى هذه الوصيـة، معيارا آخر، غير المعيار الأخلاقى والاجتماعى الأسرى، إستنادا إلى النظام الاقتصادى اليهودى الذى جعل لكل من الرجل والمرأة معيارا خلقيا خاصا. فقد جعلت الشريعة اليهودية للرجل الحق فى أن يتزوج بأكثر من واحدة، أما المرأة فقد اختصت برجل واحد، وبذلك فإن معنى الزنا، فى هذه الحالة، هو إتصال رجل بإمرأة إبتاعها رجل آخر بما له، ومن أجل ذلك كان إتصاله بها اعتداء على قانون الملكية، الذى يعاقب عليه كل من الرجل والمرأة بالموت. وبطبيعة الحال، فإن مثل هذه التفاسير لا تستند إلا إلى المنظور المادى البحت، دون النظر إلى الجوانب الخلقية والاجتماعية وضرورات الحفاظ على كيان الاسرة ونقاء النسل.

وإذا كان بعض المفسرين، قد ضمنوا التحريمات التى تنص عليها وصية "لا تزن" كشف العورات المحرمة، فإننا ينبغى أن نشير إلى أن بنى اسرائيل، قبل تحديد المحارم فى الوصايا التى أبلغها الرب "يهوه" لموسى لم يكونوا يعرفون المحارم من جهة الأب، فكان يجوز الزواج بالعمة وابنه الأخ بل والأخت لأب. فقد تزوج عمرام عمته "يوخابد" وولدت له هارون وموسى (خروج٦:٢٠). وتزوج ناحور ابنة أخيه هاران (التكوين١١:٢٢). ويقول ابراهيم – عليه السلام – عن إمرأته سارة: "وبالحقيقة أيضا هى أختى إبنة أبى. غير أنها ليست إبنة أمى فصارت لى زوجة" (التكوين٢٠:١٢). وحينما هام "إمنون" ابن داود فى حب "تامار" أخت أخيه "أبشالوم" إستمهلته واقترحت عرض الأمر على الملك فهو لن يمانع فى زواجهما. (صموائيل الثانى١٣:١٣). بل إن الاتصال الجنسى كان يحدث بين الأقارب والاصهار من الدرجة الأولى دون أن يلقى إستهجان الجماعة. فقد عاشر رأوبين سرية أبيه يعقوب (التكوين٣٥:٢٢)، ودعت

"تامار"حماها "يهوذا" إلى الدخول بها (التكوين٣٨:١٢ ومابعدها)، واضطجعت إبنتا "لوط" مع أبيهما نفسه وحملتا منه (التكوين١٩: ٣٠-٣٨)، وقد جمع "يعقوب" بين الاختين (التكوين٢٩: ٥ وما بعدها). وهناك دلائل على أن الزواج بالأخت لأب ظل مباحا حتى فى عصر الملكية. إذ تأمل "تامار" إبنة داود فى أن يوافق أبوها على الزواج بأخيها لأب "إمنون"(صموئيل الثانى١٣: ١٢ ومابعدها).

ولم يصدر النهى عن التصال بالأقارب والأصهار إلا فى سفر التثنية وهو السفر الذى قيل أن الكاهن "حلقيا، وجده فى المعبد عام ٦٢٢ق.م، أى بعد زوال مملكة اسرائيل فى الشمال على يد الاشوريين بمائة سنة (٧٢٢ق.م)، وأثناء الإصلاح الدينى داخل مملكة يهوذا فى الجنوب فى أثناء حكم الملك "يوشيا" (أخبار الأيام الثانى٣٤).

ومن خلال ثورة النبى "ارميا"، إنطبع سفر التثنية بتعاليم الأنبياء الذين قادوا حملة الاصلاح الدينى ضد الفساد الذى عم بنى اسرائيل وقارفوا ألوانا مختلفه من الشذوذ مثل اللواط والاتصال بالحيوان من الذكور والإناث، ومارس الرجال والنساء زوجات وبنات الدعارة المقدسة على أبواب المعابد فوق التلال(١٢٠).

وعند هذا الحد نجد أنم مرحلة من التحريم عندما بدأت فى الشريعة اليهودية شملت كل من: زوجة الأب، والأخت لأب والأخت لأم والحماة والبهيمة:

"ملعون من يضطجع مع إمرأة أبيه لأنه يكشف ذيل أبيه ... وملعون من يضطجع مع بهيمة ما... ملعون من يضطجع مع أخته بنت أبيه، أو بنت أمه... ملعون من يضطجع مع حماته..." (التثنية١٨: ٢٠-٢٣).

ولما دالت مملكة يهوذا هى الأخرى، وحمل "نبوخذ نصر" اليهود فى الأسر إلى بابل، إستقرت الزعامة فى شعب مغلوب على أمره بيد رجال الدين من كهنة وأنبياء على السواء. ثم قفل اليهود إلى أورشليم فى ظل الحكم الفارسى،

وتمكن زعماء الدين من تنفيذ حلمهم القديم فى إنشاء الدولة الثيوقراطية.
واستطاع زعماء الدين التوسع فى نطاق المحرمات حتى شملت زنا ذوى القربى مثل: زوجة العم وامرأة الابن والجمع بين الاختين أو بين الأم وابنتها وغير ذلك، وهو ما ورد تفصيله فى سفر اللاويين الاصحاح الثامن عشر:

"لا يقترب أى رجل من ذات قرابته لكشف عورتها. أنا الرب. عورة أبيك وعورة أمك لا تكشف. إنها أمك، لا تكشف عورتها. عورة امرأة أبيك لا تكشف. إنها عورة أبيك. عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة فى البيت أو المولودة خارجا لا تكشف عورتها. عورة إبنة إبنك أو إبنة إبنتك لا تكشف عورتها. إنها عورتك. عورة بنت أمرأة ابيك المولودة م أبيك لا تكشف عورتها إنها أختك عورة أخت أبيك لا تكشف إنها قريبة أبيك. عورة أخت أمك لا تكشف إنها قريبة أمك، عورة أخى أبيك لا تكشف. إلى إمرأته لا تقترب. إنها عمتك، عورة إبنك لا تكشف. إنها إمرأة إبنك. لا تكشف عورتها. عورة امرأة أخيك لا تكشف. إنها عورة أخيك، عورة إمرأة وبنتها لا تكشف ولا تأخذ إبنة إبنها أو ابنة بنتها لتكشف عورتها. إنهما قريبتاها. إنه رذيلة، ولا تأخذ إمرأة على أختها للغد لتكشف عورتها معها فى حياتها.

ولا تقترب إلى إمرأة فى نجاسة طمثها لتكشف عورتها. ولا تجعل مع امرأة صاحبك مضجعك لزرع فتتنجس بها. ولا تعط من زرعك محرقة لمولك لئلا تدنس إسم إلهك. أنا الرب. ولا تضاجع ذكرا مضاجعة إمرأة. إنها فاحشة. ولا تجعل مع بهيمة مضجعك فتتنجس بها. ولا تقف امرأة أمام بهيمة لنزائها. إنها فاحشة" (اللاويين١٨: ٦-٢٣).

وقد أشارت التوراة إلى بعض صور التحريم فى العلاقات الجنسية بين أى رجل وأى امرأة لرجل، حتى ولو كان فى صورة امساك المرأة لعورة الرجل، وحكمت بقطع يدها فى هذه الحالة:

"إذا تخاصم رجلان الواحد مع الآخر فتقدمت امرأة أحدهما لتنقذ رجلها من يد ضاربة، فمدت يدها فأمسكت بعورته، فاقطع يدها ولا تشفق عينك عليها" (التثنية٢٥:١١-١٢).

وقد نهت الشريعة اليهودية كذلك عن الزنا المقدس، الذى كان شائعا ضمن العبادات لدى الكنعانيين، والذى تمتلئ التوراة بإشارات استهجان كثيرة له (الملوك الأول ١٤:٢٤، ٢٢:٤٧، والملوك الثانى٢٣:٧، وهوشع٤:١٤)، حيث ورد فى سفر التثنية: "لا يكن فى بنات اسرائيل بغى مكرسة، ولا فى بنى اسرائيل مأبون مكرس. ولا تدخل الى بيت الرب الهك هدية زانية ولا ثمن كلب فى نذر ما، لإنهما كليهما قبيحة عند الرب الهك" (التثنية ٢٣:١٨-١٩)، ويقصد فى هذا النص بالمأبون الرجل الذى يعرض نفسه للزنا، ويشار اليه كذلك فى الفقرة التالية بكلمة "كلب".

وقد جعلت الشريعة اليهودية عقوبة كل من يقترف الزنا بمعنى وطء إمرأة محرمة شرعا، هو القتل: "وإذا زنى رجل مع إمرأة فإذا زنى مع إمرأه قريبة فليقتل الزانى والزانية" (اللاويين٢٠:١٠).

ومعنى هذا النص التشريعى هو إنه فى حالة وجود العمد أوالقصد الجنائى لدى طرفى الزنا "الرجل والمرأة" مع علمهما بأن هذا محرم: "زنا رجل مع إمرأة" فإنه يجب تطبيق عقوبة القتل على كليهما.

وقد وردت إشارة إلى تطبيق هذه العقوبة فى قصة فنحاس بن العازار بن هارون الكاهن الذى قتل رجلا من بنى اسرائيل وزانية مديانية:

"فإذا رجل من بنى اسرائيل قد أقبل وقدم إلى أخوته امرأة مديانية على عينى موسى وعيون كل جماعة بنى اسرائيل وهم يبكون عند باب خيمة الموعد، فلما رأى فنحاس بن العازار بن هارون الكاهن قام من وسط الجماعة وأخذ رمحا فى يده. ودخل وراء الرجل الاسرائيلى إلى القبه فطنعهما كليهما الرجل

الاسرائيلي والمرأة في بطنها فكفت الضربة عن بني اسرائيل" (العدد٢٥:٦-٩).
وهكذا فإن فنحاس بن العازار خاطر بحياته وقتل الزاني الاسرائيلي والزانية المديانية ولم يخش من الانتقام من أقارب زمري بن سالو وهو رئيس بيت أب من الشمعونيين، لأن هذا الاسرائيلي خالف الشريعة اليهودية، ولذلك فإن جزاء فنحاس كان عهد السلام من الرب "فلذلك قل هاأنذا معطيه عهد سلامي فيكون له ولنسله من بعده عهد كهنوت أبدي جزاء غيرته لإلهه وتكفيره عن بني اسرائيل" (العدد٢٥:١٣-١٤). "وقد ذهب بعض المفسرين اليهود إلى أن كلمة "رمح" العبرية في هذه الفقرات قد وردت دون واو حتى يكون مدلولها الرقمي هو٢٤٨ (الراء٢٠٠، والميم٤٠، والحاء٨)، وهو عدد أعضاء الجسم، وفق الشريعة اليهوديه، فيكون بعمله هذا قد اكتسب ثروة روحية وقدس كل أعضاء جسمه وروحه بعمل واحد، وبضربة واحدة من رمحه اخترقت جسدا الزاني والزانية"(١٢١).

وقد ورد في سفر اللاويين تأكيد لهذا الحد، وهو عقوبة القتل على كل من يطأ المحرمات: "وإذا زنى أي رجل بإمرأة رجل فإذا زني مع امرأة قريبه فإنه يقتل الزاني والزانية، وإذا إضطجع رجل مع كنته فإنهما يقتلان كلاهما. قد فعلا فاحشة، دمهما عليها. وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع إمرأة فقد فعلا كلاهما رجسا إنهما يقتلان، دمهما عليها. وإذا أخذ رجل امرأة وأمها فذلك رزيلة بالنار يحرقونه وإياهما لكي لا يكون رزيلة بينكما. وإذا جعل رجل مضجعه مع بهيمة فإنه يقتل والبهيمة تميتونها. وإذا اقتربت امرأة الى بهيمة لنزائها تميت المرأه والبهيمة. إنهما يقتلان دمهما عليها. وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت هي عورته فذلك عار، يقطعان أمام أعين بني شعبها. قد كشف عورة أخته. يحمل ذنبه، وإذا اضطجع رجل مع إمرأة طامث وكشف عورتها عرى ينبوعها وكشفت هي ينبوع دمها يقطعان كلاهما من شعبهما. عورة أخت أمك أو أخت أبيك لا تكشف، إنه قد عرى قريبته يحملان ذنبهما، وإذا اضطجع رجل مع امرأة عمه فقد كشف عورة عمه. يحملان

ذنبهما، يموتان عقيمين، وإذا أخذ رجل إمرأة أخيه فذلك نجاسة قد كشف عورة أخيه "يكونان عقيمين" (اللاويين٢٠:١٠-٢١).

ونلاحظ فى هذا النص أنه يعبر عن الوطء المحرم بتعبيرات مختلفه مثل: "زنى" (يْنأف)، و"اضطجع" (يِشْكَّب)، و"أخذ" (يِقَّحْ)، و"جعل مضجعه" (يِتِّين شوخبتُه)، و"إقتربت (إمرأة)" (تِقْرَف).

ونلاحظ هنا أن مدون النص التوراتى استعمل الفعل "زنا" ليعبر بشكل مباشر عن فعل الرجل لفاحشة مع امرأة رجل "ايشيت إيش" وهى المرأة المتزوجة بشكل عام، أو مع "إيشيت ريعيهو"، وهى زوجة صديقه أو قريبه، بينما استخدم أفعال مثل "أخذ" (لاقح)، و"اضطجع" (شَاكَبْ) للإشارة إلى فعل الفاحشة مع النساء اللائى لا يحل للرجل أن يتزوجهن وفقا للشريعة اليهودية، كما استخدم أفعال مثل "جعل مضجعه" (يِتِّين شُوخْبَتُه) لاضطجاع الذكر مع البهيمة، و"اقتربت" (تِقْرَفْ) لنزاء المرأة للبهيمة، وهو تنوع لغوى يدل، بطبيعة الحال، على الرغبة فى التفرقة الدقيقة بين هذه الأفعال ومدلولاتها اللغوية الدالة عليها.

وبالإضافة إلى اختلاف التعبيرات بالنسبه لفعل الزنا، وهى الاختلافات التى من الممكن أن ندخلها فى اطار "الترادف"، فإن النص ايضا استخدم لعقوبة القتل تعبيرات مختلفة مثل: "يُقتل" (مُوت يُومت)، "يحرقونه وإياهما" (بإيش يِسْرِفوا أوتو فيإتهين)، "يقطعان كلاهما" (نِخرْتوا)، و"يحملان ذنبهما" (عفونام يسّاوا)، و"يموتان عقيمين" (عريريم يوموتوا)، وقد ورد فى سفر التثنية نص قاطع بشأن عقوبة القتل على جريمة الزنا بين الرجل والمرأة المتزوجة: "إذا وجد رجل مضطجعا مع إمرأة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة، والمرأة" (التثنية٢٢:٢٢).

وقد وردت اشـارة صـريحـة لعـقـوبة الزنا برجم الزانيـة كـذلك فى سـفـر حزقيال بشأن الزانيتين أهولة وأهوليبة التى ترد قصتهما الرمزية فى الاصحاح ٢٣ اشارة الى زنا يهودا والسامرة فى أحضان بابل وأشور واستحقاقهما للعقاب وهو: "وترجمهما الجماعة بالحجارة" (حزقيال٢٣:٤٧).

"وكان الرجم هو وسيلة الإعدام الشائعة. فكان المحكوم عليه بالموت يساق خارج مضارب الخيام، فى العصر البدوى، أو خارج المدينة، فى العصور المتأخرة، فيرجمه الشهود بالحجارة، وكانت هناك وسائل أخرى للإعدام أقل استعمالا، وردت فى النص، وهى الحرق، وكانت تطبق غالبا فى حالة إشتغال الكاهن أو ابنة الكاهن بالدعارة، بالإضافة إلى الزواج من المحارم"(١٢٢).

وقد عطل اليهود تطبيق حد الزنا على الزانى والزانية، ففى الصحيحين عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال: "أن اليهود جاءوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم برجل وإمرأة قد زنيا، فقال لهم كيف تفعلون بمن زنى منكم، قالوا نحممهما ونضربهما، فقال لا تجدون فى التوراة الرجم، فقالوا لا نجد فيها شيئا، فقال عبدالله بن سلام، وكان اسرائيليا أسلم، وكان حبرا عالما، كذبتم، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مدراسها الذى يدرسها منهم كفه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم، فنزع بن سلام يده عن آية الرجم فقال ما هذه، فلما رأوا ذلك قالوا هى آية الرجم فأمر بهما فرجما" (١٢٣).

وقد ذكر القرطبى أنه روى مالك والبخارى ومسلم والترمذى وأبوداود عن جابر بن عبدالله ان النبى عليه الصلاة والسلام قال لليهود: ائتونى بأعلم رجلين منكم فجاءوا بابنى صوريا فنشدهما الله تعالى قائلا: "كيف تجدون حكم هذين فى التوراة (وكان يشير إلى رجل وإمرأة زنيا وهما من اليهود)، فقالا: نجده فى التوراه، إنه إذ شهد أربعة أنهم رأوا ذكره فى فرجها كالمرود فى المكحلة رجما، فقال لهما: فما يمنعكما من رجمها؟ قالا: ذهب سلطاننا فكرهنا القتل.

وأخرج مسلم فى صحيحه عن البراء بن عازب رضى الله عنه أنه قال: "مُر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودى محمم (طلى وجهه بالفحم) فدعاهم فقال: هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم؟ قالوا: نعم. فدعى رجلا من علمائهم فقال: أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم؟ قال: لا، ولولا إنك نشدتنى بهذا لم أخبرك، نجد الرجم، وإنه كثر فى أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه. وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا فلتجمع على شئ نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إنى أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فأمر به فرجم".

وأخرج أيضا ابوداود وغيره عن أبى هريره أنه قال: "زنى رجل من اليهود بأمرأة فقال بعضهم لبعض: لنذهب إلى هذا النبى، فإنه نبى بعث بالتخفيف، فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله، فقلنا نبى من أنبيائك، قالوا: فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم، وهو جالس فى المسجد فى أصحابه فقالوا يا أبا القاسيم ما ترى فى رجل وامرأة - منهم - زنيا، فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدراسهم فقام على الباب فقال أنشدكم بالله الذى أنزل التوراه على موسى ما تجدون فى التوراة على من زنى إذا أحضن؟ قالوا نحمم ونحبيه ونجلده - والتحبيه: أن يحمل الزانيان على حمارة ويقابل أقفيتهما، ويطاف بهما - قال وسكت شاب منهم، فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم ساكتا أنشده فقال: اللهم إذا نشدتنا فإننا نجد الرجم. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: فما أول ما ارتخصتم أمر الله ؟ قال : زنى ذو قرابة من ملك من ملوكنا فأخر عنه الرجم ثم زنى رجل من العامة فأرادوا رجمه فحال قومه دونه، وقالوا: لا يرجم صاحبنا حتى تجئ بصاحبك فنرجمه فاصطلحوا هذه العقوبة بينهم. قال النبى صلى الله عليه وسلم: فإنى أحكم بما فى التوراة، فأمر بهما فرجما"(١٢٤).

وقد وضع الإسلام عقوبة محددة لجريمة الزنا تختلف بإختلاف ما إذا كان

الجانى بكرا أو محصنا، فإذا كان الجانى بكرا فإن العقوبة هى الجلد، وإذا كان محصنا فإن العقوبة هى الرجم.

وكانت عقوبة جريمة الزنا فى الإسلام فى أول الأمر، الحبس فى البيوت والإيذاء تنفيذا لقوله تعالى:

"واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فإستشهدوا عليهن أربعة منكم، فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا، واللذان يأتيانها منكم فآذوهما، فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما، إن الله كان توابا رحيما"(سورة النساء١٥-١٦)

ثم نسخ الحكم الوارد فى هاتين الآيتين الكريمتين، وأصبحت العقوبة هى الجلد والتغريب للزانى البكر، والرجم للزانى البكر، والرجم للزانى المحصن، ويستدل على ذلك بقوله تعالى:

"الزانية والزانى فاجلدوا كل منهما مائة جلدة. ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين" (سورة النور٢).

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "خذوا عنى، فقد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة".[١٢٥] ومن الملاحظ أن عقوبة الزانى البكر أخف من عقوبة الزانى المحصن، وذلك إنه إذا صح أن يكون للبكر بعض العذر فى ارتكابه لجريمة الزنا، فإن المحصن لا يعذر اطلاقا إذا أقدم على رتكاب هذه الجريمة[١٢٦].

وقد تناولت الشريعة اليهودية كذلك حالات اقتراف الفتاة العذراء لجريمة الزنا وجعلت عقوبتها هى الرجم وذلك فى عدة حالات:

١ - **الحالة الأولى** : حين يشيع رجل عن زوجته أنه لم يجدها عذراء، فإنه فى هذه الحالة إذا ثبت كذب إدعائه فإنه يدفع غرامة لوالد الفتاة مائة من

الفضة وتكون الفتاه له زوجة لا يقدر أن يطلقها كل أيامه. أما اذا ثبت إنه على حق، فإن الفتاة فى هذه الحالة ترجم حتى الموت:

"إذا اتخذ رجل إمرأة وحين دخل عليها، أبغضها ونسب اليها أسباب كلام وأشاع عنها اسما رديا وقال هذه المرأة اتخذتها ولما دنوت منها لم أجد لها عذرة. يأخذ الفتاة أبوها وأمها ويخرجان علامة عذريتها إلى شيوخ المدينة إلى الباب، ويقول أبو الفتاة للشيوخ أعطيت هذا الرجل ابنتى زوجة فأبغضها، وها هو قد جعل أسباب كلام قائلا لم أجد لبنتك عذرة وهذه علامة عذرة ابنتى ويبسطان الثوب أمام شيوخ المدينة فيأخذ شيوخ تلك المدينة الرجل ويؤدبونه، ويغرمونه بمئة من الفضة ويعطونها لأبى الفتاة لأنه أشاع اسما رديا عن عذراء من اسرائيل، فتكون له زوجة لا يقدر أن يطلقها كل أيامه. ولكن إن كان هذا الأمر صحيحا لم توجد عذرة للفتاة. يخرجون الفتاة إلى باب أبيها ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت لأنها عملت قباحة فى اسرائيل بزناها فى بيت أبيها، فتنزع الشر من وسطك"(التثنية٢٢:١٣-٢١).

٢ - **الحالة الثانية** : إذا كانت الفتاة العذراء مخطوبة وارتكبت جريمة الزنا مع رجل برضاها فإنهما يرجمان حتى الموت:

"إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل فى المدينة واضطجع معها فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا الفتاة من أجل أنها لم تصرخ فى المدينة والرجل من أجل إنه أذل إمرأة صاحبه، فتنزع الشر من وسطك" (التثنية ٢٢:٣-٢٤).

ولكن إذا كانت الفتاة المخطوبه أمة لم تحصل على حريتها وزنى رجل معها فإن عقوبة القتل لا تطبق عليهما بل يجب على الرجل المغتصب فى هذه الحالة أن يكفر عن جريمته بكبش الآثم ليصفح له عن خطيئته التى ارتكبها:

"وإذا اضطجع رجل مع إمرأة إضطجاع زرع وهى أمة مخطوبة لرجل ولم تفد فداء ولا أعطيت حريتها فليكن تأديب. لا يقتلا لأنها لم تعتق. ويأتى الى

الرب بذبيحة لاثمه أمام باب خيمة الاجتماع كبشا ذبيحة اثم. فيكفر عنه الكاهن بكبش الاثم أمام الرب من خطيئه التى أخطأ فيصفح له عن خطيئه التى أخطأ" (اللاويين١٩: ٢٠-٢٢).

٣ - **الحالة الثالثة:** إذا كانت الفتاة عذراء مخطوبة واغتصبها رجل فإنه فى هذه الحالة يطبق حد الرجم على الرجل دون الفتاة لأنها صرخت ولم تجد من يخلصها من يده: "ولكن إن وجد الرجل الفتاة المخطوبة فى الحقل وأمسكها الرجل واضطجع معها يموت الرجل الذى اضطجع معها وحده. وأما الفتاة فلا تفعل بها شيئا، ليس على الفتاة خطية للموت بل كما يقوم رجل على صاحبه ويقتله قتلا هكذا هذا الأمر، إنه فى الحقل وجدها فصرخت الفتاة المخطوبة فلم يكن من يخلصها" (التثنية٢٢: ٢٥-٢٧).

٤- **الحالة الرابعة:** إذا كانت الفتاة العذراء غير مخطوبة وزنى بها رجل فإنه فى هذه الحالة يدفع مهرها لأبيها ويتزوجها ولا يقدر أن يطلقها كل أيامه: "إذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فأمسكها واضطجع معها وضبطا. يعطى الرجل الذى اضطجع معها لأبى الفتاه خمسين من الفضة وتكون هى له زوجة من أجل إنه قد أذلها. لا يقدر أن يطلقها كل أيامه" (التثنية٢٢:٢٨-٢٩).

وبالإضافة الى ما تقدم فإن الشريعة اليهوية تنفرد بطقس فريد يتصل بحالة اشتباه الرجل فى خيانة امرأته أو ممارستها الزنا مع رجل أخر، وهذا الطقس يخضع لسيطرة الكهنة الذين يقومون بتعريض المرأة المشتبه فيها لتجربه التعذيب بالماء المر، ضمن سلسلة طويلة من الطقوس الغريبة :

"وكلم الرب موسى قائلا. كلم بنى اسرائيل وقل لهم إذا زاغت امرأة رجل وخانته خيانة، واضطجع معها رجل زرع(١٢٧) وأخفى ذلك عن عينى رجلها واستترت وهى نجسة وليس شاهد عليها وهى لم تؤخذ(١٢٨) فإعتراه روح

الغيرة وغار على امرأته وهى نجسة أو إعتراه روح الغيرة وغار على امرأته وهى ليست نجسة(١٢٩). يأتى الرجل بإمرأته الى الكاهن ويأتى بقربانها معها عُشر الايفة من طحين الشعير لا يصب عليه زيتا ولا يجعل عليه لبانا لأنه تَقْدِمة غيرة تقدمة تَذْكار تُذكر ذنبا، فيقدمها الكاهن ويوقفها أمام الرب. ويأخذ الكاهن ماء مقدسا فى إناء خزف ويأخذ الكاهن من الغبار الذي فى أرض المسكن ويلقيه فى الماء، ويوقف الكاهن المرأة أمام الرب ويكشف رأس المرأة ويجعل فى يديها تقدمه التذكار التى هى تقدمه الغيرة وفى يد الكاهن يكون ماء اللعنة المر. ويستحلف الكاهن المرأة ويقول لها إن كان لم يضطجع معك رجل وإن كنت لم تزيغى الى نجاسة من تحت رجلك فكونى بريئة من ماء اللعنة هذا المر، ولكن إن كنت قد زغت من تحت رجلك وتنجست وجعل معك رجل غير رجلك مضجعة. يستحلف الكاهن المرأة بيمين اللعنة ويقول الكاهن للمرأة يجعلك الرب لعنة ويمينا بين شعبك بأن يجعل الرب فخذك ساقطة وبطنك وارما. ويدخل ماء اللعنة هذا فى أحشائك لورم البطن ولإسقاط الفخذ، فتقول المرأة أمين أمين.، ويكتب الكاهن هذه اللعنات فى الكتاب ثم يمحوها فى الماء المر. ويسقى المرأة ماء اللعنة المر فيدخل فيها ماء اللعنة للمرارة. ويأخذ الكاهن من يد المرأة تقدمة الغيرة ويردد التقدمة أمام الرب ويقدمها الى المذبح، ويقبض الكاهن من التقدمة تذكارها ويوقده على المذبح وبعد ذلك يسقى المرأة الماء، ومتى سقاها الماء فإن كان قد تنجست وخانت رجلها يدخل فيها ماء اللعنة للمرارة فَيَرِم بطنها وتسقط فخذها فتصير المرأة لعنة فى وسط شعبها. وإن لم تكن المرأة قد تنجست بل كانت طاهرة تتبرأ وتحبل بزرع"(العدد ٥:١١-٣١).

وهذا الطقس الذى يعرف باسم "قانون الغيرة" يكشف عن النفوذ الكهنوتى الذى تغلغل فى الكثير من القضايا الدينية لتكون لهم الكلمة العليا فيها. فالكاهن فى هذه الحالة يختلى بالمرأة المشكوك فى أمرها ويسقيها ماء اللعنة، الذى كما هو معلوم، وفق وظائف الأعضاء، لايدخل المرارة، كما أن وظائف الأعضاء لا علاقة لها بالمسلك الخلقى، ولكنها مجرد إجراءات خادعة

تتخذ لتعزيز سلطة الكاهن على المرأة، فهو ينفرد بها فى خلوة ثم يخرج راضيا أو ساخطا وينطق بالقول الفصل حسبما يهوى فيدينها بالموت مجللة بالعار أو يدعها تنعم بالحياة مرفوعة الرأس ناصعة الجبين مردودة الشرف.

ومن الغريب أن التلمود أبقى على اختبار ماء اللعنة هذا فى اثبات واقعة الزنا، وأضاف اليها أنواعا أخرى من التنكيل، فإذا أقرت المرأة بخيانتها وبممارسة جريمة الزنا حرمت من مؤخر الصداق وتذهب الى حال سبيلها أى تطلق من زوجها. أما إذا قالت إنها بريئة فإنها تحمل إلى البوابة الشرقية التى على مدخل بوابة نيقانور حيث يسقون هناك المشبوهات بالزنا ويطهرون النساء النافسات ويطهرون المصروعين فيمسك الكاهن ملابسها ويمزقها حتى يكشف عن بطنها وينثر شعرها وينزع عنها حليها الذهبية من أقراط وخواتم، ويلبسها رداءا أسود ويأتى بحبل خشن (مصرى) ويربطه فوق ثدييها العاريين، وكل من يريد أن يشاهد هذا المشهد من نساء المدينة يأتى لمشاهدته فيما عدا إمائها وخدمها، ويبدأ الكاهن بالكشف عن أفخاذها لأنها كشفت عنها أولا عند ارتكاب الفاحشة، وبعد ذلك يكشف عن بطنها، لأنها عرتها بعد ذلك، ثم يكشف عن سائر جسدها. وتقدم المرأة قربانا يحتوى على ما تأكل منه البهيمة، لأنها فعلت كما تفعل البهائم. ثم يشرع فى أعداء ماء اللعنة الذى يمزجه بتراب من تحت قدمى المرأة على مرأى منها. ويكتب الكاهن اللعنات بالحبر ثم يمحوها فى الماء المر بعد أن تقول عليها المرأة آمين. وبعد ذلك يسقى الكاهن المرأة ماء اللعنة، ومتى اجترعت المرأة الكأس المرة وانفعل جسدها من فرط ماتناولته من قانورات، ثبتت أدانتها وحملت خارج المعبد قبل أن تدنسه بما عسى أن يصدر منها من قئ أو حيض. وتحرم على زوجها وكذلك على عشيقها بعد ذلك(١٣٠).

وهذا الطقس الغريب، على هذا النحو، هو طقس فى مصلحة الزوج من كل وجه، فقد كان فى امكانه ان يستوثق من احترام زوجته من غير أن يخشى غائلة سعيه. فإذا ثبت اجترامها احتملت الجور، وإذا تبينت براءتها فلا خوف

عليه، ولا هو يحزن، لأنه لا سبيل إلى اتهامه بأنه تعمد الاضرار بها... أما زوجته الشرعية فلا شأن لها فى تصرفاتها، وعليها الخنوع لما تراه من مخادعته اياها"(١٣١).

وهذا الموقف اليهودى إنما يعنى فى المنطق التشريعى العام شيئا واحدا محددا وهو: افتراض الخطأ فى جانب المرأة افتراضا مبدئيا يلزمها - وهى المدعى عليها - بإثبات براءتها، بدلا من مطالبة الزوج المدعى بإقامة الدليل على صحة مارماها به من اتهام!(١٣٢).

ولم تتضمن مجموعة حاى بن شمعون (مجموعة الأحكام الشرعية لليهود المصريين) إجراءات التعذيب بالماء المر، ولكن ورد بالمجموعة أنه إذا ثبت شرعا زنا المرأة حرمت على زوجها وكلف بطلاقها بلا حقوق(المادة١٨١)، وليس لها غير ما هو موجود مما دخلت به فما فقد أو سرق أو تلف أو بيع لاحق لها فيه (المادة١٨٣).

أما إذا كان الزنا اغتصابا شرعا فلا تحرم الزوجة ولا تسقط حقوقها (المادة١٨٤) ما لم يكن الزوج كاهنا فتحرم عليه ويلزم بطلاقها مع بقاء حقوقها (المادة١٨٥)، إذ لا يليق بكاهن أن يعاشر امرأة تدنست من رجل آخر، ولو كان بغير خطأ منها. ويرتقى إختلاء المرأة برجل آخر الى مرتبة الزنا من حيث الاثار، فمتى نهى الرجل امرأته عن أحد وأنذرها بحضرة شاهدين ثم ثبت اختلاؤها به ومكثها معه وقتا ما حرمت على زوجها ولاحق لها (المادة١٨٨)(١٣٣).

ونظرا لأن الشريعة اليهودية جعلت أقل مدة للحمل سبعة شهور وغالبا تسعة وأقصاها سنة (المادة٢٨٩)، فإنه إذا وضعت المرأة بعد سنة من غياب الرجل يكون المولود ابن زنا (المادة٢٩١) وللرجل نفى النسب قبل الوضع وبعده (المادة ٢٩٢)، كما له أن يقر بالنسب (المادة٢٩٥).

وابن الزنا يدخل فى طائفة "المنبوذين": لا يدخل ابن زنا فى جماعة الرب. حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب" (التثنية٢٣:٢)، وهى الطائفة التى حددها التلمود بإنها طائفة لا تتزاوج إلا فيما بينها وتتكون من ست فئات هى: من إعتنق الدين اليهودى، والعبد الذى اعتق، وابن الزنا، "والنتينيم" (جمع نيتن) وهم العبيد من خدام يهوه الذين خصصوا لنظافة المعابد، ومن كان أبوه مجهولا، واللقطاء. وفى هذه الحالة فإن ابن الزنا لا يتزوج سوى بنت زنا مثله ومن درجته، فإبن المحرمة بنص التوراة (محرمات الدرجة الأولى) لا يتزوج سوى واحدة مثله، ولا يليق لبنت المحرمة بتفسير التلمود (محرمات الدرجة الثانية). وإذا كان المتعاقدان من زنا وجب النص على حالتهما فى العقد ليكون الناس على بينة من أمرهما (المادة٣١١). وإذا كان أحد المتعاقدين من الزنا فذريتهما إلى الأبد ذرية زنا لا يجوز العقد عليها (المادة ٣١٢). وإذا حملت بنت الزنا من اجنبى فالمولود لا ينسب وذريته مثله ذرية زنا (المادة٣١٤). ولا ينسب اللقيط ويعد من أبناء الزنا المشكوك فى أمره، فلا يجوز له العقد على واحده من الله حتى ولو كانت بنت زانى يقينا (المادة ٣١٧). (١٣٤)

ونظرا للمكانة العالية التى ميز بها الكهنة من رجال الدين أنفسهم، فإن سفر اللاويين(الاحبار) قد الزم الكاهن الأعظم أن يتزوج عذراء يهودية لم يمسها بشر، وحرم عليه الأرملة والمطلقه والمدنسه والزانية حتى لا يدنس زرعه بنى شعبه (اللاويين٢١:١٤-١٥).

وقد اعتمد التلمود نفس الاتجاه فمنع الكاهن الأعظم من الزواج من الأرمله والمدخول بها ومن خدشت بكارتها عرضا. وذكرت مجموعة الربانيين إنه "يحرم على الكاهن التزوج من مطلقه منه أو من غيره: وبالزانية. فإذا تزوج أجبرها على الطلاق وإذا أعقب كان النسل خارج عن الكهنوت والمرأه من هذا النسل لا تحل لكاهن" (الماده٤٦).(١٣٥)

ويتصل أيضا بموضوع سبق الارتباط بين الزوجين قيام علاقه غير مشروعه بينهما. وقد جاء فى التلمود إذا زنى رجل بإمرأة متزوجة، ثم طلقت هذه من زوجها واقترنت بشريكها فى الزنا ثم افتضح أمر علاقتهما الآثمه كان الزواج الثانى غير مشروع وأجبر الزانى على هجر إمرأته.

غير أن علاقة الزنا لا ترقى إلى مستوى الزواج بالنسبه الى نظام المحرمات فمن زنى بإمرأة جاز له الزواج بأبنتها أو أمها أو أختها، لأن حظر الجمع بين محرمين متوقف على قيام رباط الزوجيه ولا تكفى علاقة الزنا.

ويأخذ الربانيون بأحكام التلمود وتحرم الزانيه على الزانى وإذا عقد عليها كلف شرعا بطلاقها (مادة ١١٠)، ولو زرقت منه، ولا يلزم بما لها من الحقوق (المادة ٣٤٧). (١٣٦)

الزنا فى المسيحية:

تعتبر المسيحية أن الزنا هو بمثابة خطيئة تمس الجسد: "إهربوا من الزنا. كل خطيئة يفعلها الإنسان هى خارجة عن الجسد، لكن الذى يزنى يخطئ إلى جسده".

والخطيئة الى الجسد فى المسيحية تعادل الخطيئة إلى جسد المسيح، لأن المسيحية تجعل من الجسد كيانا مقدسا تماما مثل أعضاء المسيح ومثل هيكل الروح القدس حسبما تدل على ذلك النصوص الآتية:

" ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح. أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية؟ حاشا"

"أنتم هيكل الله الحى"

"أنتم تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم. إن كان أحد يفسد هيكل الله، فيفسده الله. لأن هيكل الله مقدس، الذى أنتم هو"

معنى هذه النصوص أن الذى يزنى، وفق الرؤية المسيحية للزنا، إنما يخطئ إلى أعضاء المسيح، ويفسد هيكل الله، هيكل الروح القدس.

وعلى غرار اليهودية، فإن الزنا يعتبر هو الآخر فى المسيحية بمثابة نجاسة:

"يحفظ الأثمة إلى يوم الدين معاقبين، ولا سيما الذين يذهبون وراء الجسد فى شهوة النجاسة" (رسالة بطرس الثانية٢:١٠)، حيث استخدم تعبير "شهوة النجاسة" بدلا من تعبير "شهوة الزنا".

وقد وردت تسمية هذه الخطيئة بالنجاسة وما يشبهها من معان فى رسائل القديس بولس الرسول ايضا إذ قال: "أعمال الجسد ظاهرة، التى هى زنا عهارة نجاسة دعارة." (رسالة بولس إلى أهل غلاطية٥:١٩). وقال فى رسالته إلى أهل كولوسى: "أميتوا أعضاءكم التى على الأرض: الزنا النجاسة الهوى الشهوة الردية" (رسالة بولس إلى أهل كولوسى٣:٥).

وقال فى رسالته إلى أهل أفسس: "وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع، فلا يُسم بينكم كما يليق بقديسيين... لأنه بسبب هذه الأمور يأتى غضب الله على أبناء المعصية" (رسالة بولس إلى أهل أفسس٥:٣-٦).

وقد وضع القديس بولس خطيئة الزنا قبل عبادة الأوثان، مما يدل على بشاعتها فى نظرة العقيدة المسيحية:

"لا تضلوا، لا زناة، ولا عبدة أوثان، ولا فاسقون، ولا مأبونون، ولا مضاجعوا ذكور، ولا سارقون ولا طامعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله" (رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى٦:٩:١٠).

وقد أمر القديس بولس بعدم مخالطة الزناة:

"لا تخالطوا الزناة .. لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا ... إعزلوا الخبيث من بنكم" (رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى٥:٩-١٣). وإعتبرت بمثابة

عداوة لله ومحبة للعالم، حيث قال عنها القديس يعقوب الرسول:

"أيها الزناة والزواني، أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله. فمن أراد أن يكون محبا للعالم فقد صار عدوا لله" (رسالة يعقوب٤:٤). ومن أهمية هذه الوصية في المسيحية أن الرسل عندما بحثوا مسألة الأمم الداخلة إلى الإيمان، وأرادوا أن يخففوا عنهم، فلا يثقل عليهم بوصايا كثيرة إقتصروا على منعهم عن أشياء قليلة هي أبشع ما عند الأمم، وكان الزنا إحدى هذه البشاعات، لذلك قال يعقوب الرسول:

"لذلك أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم، بل يرسل اليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الاصنام والزنا والمخنوق والدم" (أعمال الرسل١٥:١٩-٢٠).

كذلك فإن الزنا هو السبب الرحيد الذي ينحل بسببه الرباط المقدس، رباط الزوجية في المسيحية الذي قيل عنه أن "الذي جمعه الله لا يفرقه إنسان" (متى١٩:٦)، ذلك لأن الرب يعرف أن الرجل يمكنه أن يتحمل المرأة في كل شئ، ويغفر لها كل ذنب أيا كان ، ما عدا الزنا فإنه لا يحتمل، ولا يستطيع الرجل بعده أن يعيش مع المرأة، لأنه يحل رابطة الجسد الواحد، ويرجع الزوجان اثنين كما كانا قبل الزواج.

وإذا طلق الرجل في المسيحية زوجته لغير خطيئة الزنا، وتزوج بأخرى فإنه يعتبر زانيا:

"إن من طلق إمرأته إلا بسبب الزنا، وتزوج بأخرى يزني" (متى١٩:٩؛ ٥:٣٢).

"من طلق إمرأته وتزوج بأخرى يزني عليها" (مرقس١٠:١١).

"كل من يطلق إمرأته، ويتزوج بأخرى يزني" (لوقا١٦:١٨). كذلك فإن الزواج بالمطلقات في المسيحية يعتبر من قبيل الزنا:

"ومن يتزوج بمطلقة فإنه يزنى" (متى٥:٣٢؛١٩:٩).

"وكل من يتزوج بمطلقة من رجل، يزنى" (لوقا١٦:١٨).

"وإن طلقت إمرأة زوجها وتزوجت بأخر، تزنى" (مرقص١٠:١٢).

وهكذا فإن كل من الرجل والمرأة فى مثل هذا الزوج يعتبرا زناة، وذلك لأن الطلاق إما أن يكون قد حدث بسبب الزنا أو لغير هذا السبب. فإن كان الطلاق قد تم لسبب غير الزنا، فإنه طلاق باطل، ويعتبر الزواج الأول قائما. وإن تزوجت المرأة بغير رجلها الأول تكون كمن جمعت بين رجلين وتعتبر زانية. وإن كانت المرأة قد طلقت لزناها، فعقوبتها أن تبقى بلا زواج، لأنها لا يصح أن تؤتمن على زواج جديد.

وقد سرت شريعة عدم الزواج بالمحرمات الواردة فى الشريعة اليهودية (اللاويين١٨:٦-١٨) فى الشريعة المسيحية، ولذلك يعتبر زنا أن يتزوج رجل بإمرأة لا تحل أن تكون له زوجة، ومن هذا القبيل وقوف يوحنا المعمدان فى وجه هيرودوس قائلا له: "لا يحل أن تكون لك إمرأة أخيك" (مرقص٦:١٨).(١٣٧)

الوصية الثامنة:

"لا تسرق" (الخروج٢٠:١٥، والتثنية٥:١٩)، وجاء النهى عن السرقة كذلك فى اللاويين "لا تسرقوا ولا تكذبوا ولا يخدع أحد قريبه" (اللاويين١٩:١١).

ويقول موشيه جرينبرج فى معرض تعليقه على هذه الوصية: "لقد مرت هذه الوصية بتحول تفسيرى جدير بالاهتمام. فمن ناحية الاستخدام اللغوى، المقصود بالوصية هو "أخذ ممتلكات سرا"، أى بغير علم صاحبها أو دون إذن منه، والغالبية العظمى لاستخدام الفعل "سرق" (جانف) فى العهد القديم يقصد به الممتلكات. وبناء على ذلك، ومن خلال دافع ما، قرر حكماء التلمود، أن المقصود بهذه الوصية هو سارق النفس: "إن هذا الأمر يستشف، فحيث أن المكتوب يتحدث عن النفوس (لا تقتل نفسا، ولا تزن بنفس، أو عن عقوبة النفوس، حيث أن القاتل والزانى يستحقان الموت)، فإن المقصود هنا كذلك لابد وأن يكون هو النفوس (سارق النفس؛ أو السرقة التى يستحق عليها صاحبها الموت) (سنهدرين٨٦ . ٧١). وقد قرر عدد من الباحثين المعاصرين، كل واحد منهم وفقا لأسبابه، أن المقصود بهذه الوصية بالفعل هو سارق النفس، ولكن من المشكوك فيه، إذا كان من حقنا أن نحدد المقصود من هذا التحريم وفقا لعقوبته، بينما هو وارد فى وثيقة لا تتحدث على الاطلاق عن العقوبات، ولذلك فإنه ينبغى أن نتمشى مع المغزى العادى للفعل "سرق"، والذى ينصب، بوجه عام، على الممتلكات، والتى من الممكن أن تتضمن النفوس، وفقا للتفسير الشائع.(١٤٨)

وقد كانت السرقه تعتبر خسة وأمرا مكروها ومحتقرا حتى قبل الوصايا العشر، مما يدل على الإنسان بطبعه ينفر من هذا الأمر، ويحكم على السارق بالموت.

فعندما لحق لابان بيعقوب وإتهمه قائلا : " لماذا سرقت آلهتى؟" (يقصد أصنامه)، شعر يعقوب ببشاعة التهمه وأجابه: "الذى تجد آلهتك معه لا يعيش" (التكوين٣١: ٣٠-٣٢). وهكذا حكم على السارق بالموت، ومثل هذا الحكم نجده أيضا فى قصة يوسف وإخوته. فعندما إتهم أخوة يوسف بسرقة كأسه، إشمئزوا من التهمه جدا، وأجابوا فى عزة نفس: "لماذا يتكلم سيدى مثل هذا الكلام؟ حاشا لعبيدك أن يفعلوا مثل هذا الأمر.. الذى يوجد معه من عبيدك يموت.." (تك٤٤:٧-٩).

وأيا كان إتجاه المفسرين اليهود لهذه الوصية فإن ما يمكن أن يستخلص من هذه الوصية هو أنها تقرر حق الإنسان فى الملكية الفردية، وتنهى نهيا تاما عن السرقة، أيا كانت، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، ويعد سارقا من اغتصب مالغيره، ويجب عليه التعويض عن السرقة، وإن لم يكن لديه التعويض يبا ع بسرقته:

"إذا سرق إنسان ثورا أو شاه فذبحه أو باعه يعوض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاه بأربعة من الغنم، إن وجد السارق وهو ينقب فضرب ومات ذهب دمه هدرا، ولكن إن اشرقت عليه الشمس فلا يذهب دمه هدرا إنه يعوض، إن يكن له شئ فليبيع لرد ما سرقه، وإن وجدت السرقة فى يده حية من ثور أو حمار أو شاة فليعوض بدل الواحد أثنين" (الخروج٢١:٣٧، ٢٢:١-٤).

ويفهم من هذا النص التشريعى أن الشريعة اليهودية تقضى بالرق على السارق الذى لا يستطيع أن يدفع التعويض المالى الذى يحكم به عليه لصالح المسروق منه، فتوجب بيعه بيع الرقيق، وإستيفاء هذا التعريض من ثمنه: "فإن لم يكن شئ فليبيع لرد ما سرقه".

وهذه الشريعة تتعلق بمجتمع الرعى، الذى قام عليه المجتمع العبرى فى طوره الأول، أما بالنسبه لمجتمع الزراعه، فقد حددت الشريعة اليهودية مبدأ التعويض، فى حالة الضرر المقصود أو غير المقصود:

"إذا رعى إنسان حقلا أو كرما وسرح مواشيه فرعت فى حقل غيره، فمن أجود حقله وأجود كرمه يعوض، إذا خرجت نار وأصابت شوكا فاحترقت أكداس أو زرع أو حقل فالذى و قد الوقيد يعوض" (الخروج٢٢:٥-٦).

ويعتبر من قبيل السرقه، تبديد الأمانة، ويحق لصاحب الأمانة أن يحصل على تعويض من الذى حفظت لديه الامانة ولم يصنها:

"إذا أعطى إنسانا صاحبه فضة أو أمتعه للحفظ فسرقت من بيت الإنسان، فإن وجد السارق يعوض ضعفين، وإن لم يوجد السارق يتقدم صاحب البيت إلى الله ليحلف أنه لم يمدد يده إلى ملك قريبه. كل قضية مختلف عليها فى ثور أو حمار أو شاة أو ثوب أو أى شئ مفقود يقال فيها: الأمر كذا، فإلى الله ترفع قضية الطرفين، ومن يحكم الله عليه يعوض قريبه ضعفين" (الخروج ٢٢:٦-٨).

إذا أعطى إنسان صاحبه حمارا أو ثورا أو شاة أو بهيمة ما للحفظ فمات أو إنكسر أو نهب وليس ناظر. فيمين الرب تكون بينهما هل لم يمد يده إلى ملك صاحبه، فيقبل صاحبه،. فلا يعوض، وإن سرق من عنده يعوض صاحبها: "فأن افترست يحضرها شهادة. ولا يعوض عن المفترس". (الخروج٢٢:٧-١٣).

كذلك فإن من يستعير من صاحبه شيئا ويبدده يعتبر كمن سرقه، ويجب عليه تعويض صاحب الشئ:

"وإذا استعار إنسان من صاحبه بهيمة فانكسرت إحدى قوائمها أو ماتت وصاحبه ليس معه يُعوض. وإن كان صاحبه معه لا يعوض، إن كان مستأجرا

آتى بأجرتها لصاحبها" (الخروج٢٢:١٤-١٥).

وبطبيعة الحال فإن هذه الشريعة لم تطبق على بنى اسرائيل عند خروجهم من مصر ولجوئهم إلى خداع المصريين واستعارة الذهب والفضة منهم بحجة الاحتفال وغادروا مصر دون رجعة ولم يردوا ما استعاروه، وكان ذلك بناء على وصية من موسى - عليه السلام - نفسه: "فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل إمرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعه فضه وأمتعه ذهب وثيابا تضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين". (الخروج٣:٢١-٢٢).

كذلك فقد أوصت الشريعة اليهودية بعدم سرقة عمل الأجير، وأوصت بأن يوفى الأجير أجره قبل أن يجف عرقه:

"لا تستغل أجيرا مسكينا وفقيرا من أخوتك أو من الغرباء الذين فى أرضك وفى أبوابك، بل ادفع اليه أجرته فى يومه، ولا تغب عليها الشمس، لإنه مسكين واليها يطمح، لئلا يصرخ عليك إلى الرب، فتكون عليك خطيئة" (التثنية٢٤:١٤-١٥). وكذلك أيضا: "لا تكلم قريبك ولا تسلبه، ولا تبت أجرة الأجير عندك إلى الغد" (اللاويين١٩:١٣).

ويدخل فى باب السرقه كذلك من لايزن بالقسطاس أو يكيل كيلا ناقصا وأشارت الشريعة اليهودية إلى النهى عن ذلك دون تحديد عقوبة لمرتكب هذا الآثم.

"لا ترتكبوا جورا فى الحكم ولا فى القياس ولا فى الوزن ولا فى الكيل. بل موازين عادلة ووزنات حق، وإيفة حق وهين حق تكون لكم" (اللاويين١٩:٣٥-٣٦).

وورد كذلك فى التثنية:

"لا يكن لك فى كيسك أوزان مختلفة كبيرة وصغيرة. لا يكن لك فى بيتك مكاييل مختلفة كبيرة وصغيرة. وزن صحيح وحق يكون لك ومكيال صحيح وحق يكون لك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك. لأن كل من عمل ذلك كل من عمل غِشاً مكروه لدى الرب إلهك" (التثنية٢٥:١٣-١٦).

ولم تجعل الشريعة اليهويدية عقوبة الموت إلا لمن سرق انسانا من إخوته من بنى اسرائيل وباعه بيع العبيد:

"إذا وجد رجل قد سرق نفسا من إخوته بنى اسرائيل واسترقه وباعه يموت ذلك السارق" (التثنية٢٤:٧) وورد كذلك فى سفر الخروج:

"ومن سرق إنسانا وباعه أو وُجد فى يده يقتل قتلا" (الخروج٢١:١٦).

الوصية التاسعة:

"لا تشهد على قريبك شهادة زور" (الخروج٢٠:١٦، والتثنية٥:٢٠).
والفارق بين صيغة سفر الخروج وصيغة سفر التثنية هو وجود واو العطف فى بداية نص سفر التثنية: "ولاتشهد...".

وهذه الوصية تنهى اليهودى عن الشهادة على القريب حينما يكون "شاهد زور". والمقصود هنا، بطبيعة الحال، الشهادة أمام المحكمة، والتى تقوم بدورها إستنادا إلى الثقة التى تضعها فى الشهود، الذين حينما تنعدم الادلة والقرائن، يؤكدون أو ينقضون أقوال الخصماء، وبهذا يتيحون للحقيقة أن تخرج للنور، وحيث أن الشهود قد استخدموا كذلك من أجل أحكام الممتلكات، استنادا إلى ما ورد فى إرميا: "وأمام الشهود الذين أمضوا صك الشراء.." (ارميا٣٢:١٤)، فإنه من الواضح أن مجال التحريم فى هذه الوصية أوسع بكثير مما يفهم من ختام أحكام الشهود الكاذبين الواردة فى التثنية١٩، والتى تتناول فقط الاضرار الجسدية للإنسان. إذن فهذه الوصية تهدف الى الدفاع عن سير القضاء، الذى تعتبر الثقة فيه ضمانا لسلامة الناس.

وقد نصت الشريعة اليهودية، على أن العبرة فى أحكام القضاء لابد وأن تكون على أقوال شاهدين أوثلاثة: "لا يقوم شاهد واحد على أحد فى أى إثم وأية خطيئة يرتكبها، ولكن بقول شاهدين أو ثلاثة شهود تقوم القضية" (التثنية١٩:١٥).

ونفس الوضع يطبق كذلك فى جرائم التقل، حيث أن الحكم على القاتل لا يقبل بشهادة شاهد واحد، بل بشهادة شاهدين أو ثلاثة شهود:

"يقول شاهدين أو ثلاثة شهود يُقتل من يَقتل، ولا يقتل بقول شاهد واحد. أيدى الشهود تكون عليه أولا لقتله، وأيدى سائر الشعب بعدهم.." (التثنية١٧:٦-٧).

وقد اعتبرت الشهادة الزور جريمة يستحق عليها من يمارسها العقاب. فقد جاء فى الأمثال: "مقمعة وسيف وسهم حاد الرجل المجيب قريبة بشهادة زور" (الامثال٢٥:١٨).

وجاء فى سفر التثنية تحديد قاطع لعقوبة الشهادة الزور، وهى أت تكون بقدر ما نوى أن يفعل بصاحب الجريمة الذى شهد عليه زورا:

"إذا ما قام شاهد زور على إنسان ليشهد عليه بزيغ. يقف الرجلان اللذان بينهما الخصومة أمام الرب أمام الكهنة والقضاة الذين يكونون فى تلك الأيام. فإن فحص القضاة جيدا وإذا الشاهد شاهد كاذب قد شهد بالكذب على أخيه. فافعلوا به كما نوى أن يفعل بأخيه فتنزعون الشر من وسطكم، ويسمع الباقون فيخافون ولا يعودون يفعلون مثل ذلك الأمر الخبيث فى وسطك" (التثنية١٩:١٧-٢٠).

وتدخل فى باب الشاهدة الزور أو الكاذبة كذلك النميمة والفتنة وذم الغيبة، وهى الأمور التى تؤدى إلى الفتنة والايقاع بين الناس:

"لا تقبل خبرا كاذبا، ولا تضع حائلا وراء الكثيرين للتحريف. ولا تحاب مع المسكين فى دعواه" (التثنية٢٣:١-٣).

وقد ورد النهى عن الكذب كذلك فى مجموعة الوصايا الاخلاقية فى سفر اللاويين:

"لا تسرقوا ولا تكذبوا ولا يخدع أحد قريبه". (اللاويين١٩:١١).

الوصية العاشرة

يوجد اختلاف بين صيغة سفر الخروج وصيغة سفر التثنية فى الوصية العاشرة التى تنهى عن الحسد، ففى سفر الخروج جاءت صيغة الوصية على النحو التالى:

"لا تشته بيت قريبك› لا تشته إمرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك"‹ (الخروج٢٠:١٧)

أما فى سفر التثنية فقد جاءت صيغة الوصية على النحو التالى:

"ولا تشته إمرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك" (التثنية٥:٢١)

والفرق بين النصين هو :

١- استعمال حرف الواو للإضافة فى نص سفر التثنية.

٢ - تقديم البيت على المرأة فى نص سفر الخروج، بينما نجد أن تحريم إشتهاء إمرأة القريب ورد فى البداية فى نص سفر التثنية.

٣ - ورود الحقل فى نص سفر التثنية مما يشير الى بيئة زراعية.

٤ - عدم ورود الأمة فى نص سفر التثنية.

٥ - استخدام كلمة "لُوتَحْمود" (لاتشته) فى كامل صيغة سفر الخروج وفى مقدمة سفر التثنية مع "لا تشته إمرأة قريبك"، بينما استخدمت كلمة "لو تتآفيه" فى نص سفر التثنية مع "لا تشته بيت قريبك".

ومعنى هذه الوصية كان ومازال محل خلاف بين المفسرين اليهود بسبب معنى الفعل المستخدم فى صيغة الوصية فى سفر الخروج وهو الفعل "حمد" بمعنى اشتهى. وسبب الخلاف الاساسى هو هل الفعل "حمد" يعنى الاشتهاء

فى القلب، أم إنه يتعدى ذلك الى الاشتهاء بالفعل أى بالعمل من أجل استلاب الآخرين ما يملكونه بدافع الاشتهاء والحسد. وقد كان من أسباب هذا الخلاف هو أن صيغة الوصية فى سفر التثنية استخدم فيها الفعل "هتآفيه" فى مقدمة الوصية للإشارة ايضا إلى الاشتهاء، واستخدم الفعل "حمد" فى النصف الثانى من الوصية وهو ما اعتبره البعض، بأنه استخدام له مغزى فى الفارق الدلالى بين الفعلين، على نحو ما سنرى.

ففى مخيلتنا ربى شمعون بن يوحاى ورد بشأن هذه الوصية ما يلى:

"لقد وردت لا تشتـه (لوتحمود) وبعد ذلك يقول لا تشتـه بيت قريبك (لو تتآفيه)... فما هى الشهوة (تأفاه) التى يعنيها وما هى الشهوة (حِمدا) التى يجب أن يتمالك نفسه معها..." وفى مخيلتنا ربى يشمعئيل:

"هل يمكن أن تكون الشهوة (حِمدا) بالقول؟ إن التوراه تقول: لا تشتـه ما عليها من الذهب والفضة" (التثنية٧:٢٥) فهنا تمخضت الشهوة عن فعل، والوصية ايضا تعنى إنه يقوم بفعل".

وقد دعم ربى ليفى بن جرشوم هذا التفسير بقوله:

"وموضوع الاشتهاء هو أن يسعى المرء لأن تكون له كأن تقول إنه يعطى أموالا لقريبه لكى يطلق زوجته حتى يتزوجها هو أو لكى يبيعه عبده وأمته وثورة وحماره.. لأن هذه صفه سيئة جدا أن يسعى المرء إلى استلاب قريبه ممتلكاته. وقد تعلمنا أن الاشتهاء (هاحمدا) ليس بالقلب فقط ولكن لابد أن يصحبه فعل على غرار ما ورد فى التوراه : "لا تشته عليه من الذهب والفضه" (التثنية٧:٢٥)، وقالت التوراه: "لا يشتـه أحد أرضك" (الخروج٣٤:٢٤) حيث إنه يعنى بذلك ألا يسعى أحد فى أخذها عندما تذهب للحج. وورد فى التوراه كذلك "واشتهوا الحقول وسلبوها" (ميخا ٢:٢). ولذلك لزم أنه لا يخالف أحد هذا النهج ما لم يفعل فعلا يؤدى إلى حصوله على الشئ الذى اشتهاه".

ووجهة نظر ابراهام بنى عزرا أكثر توزانا، وفيما يلى أقواله التى وردت فى تفسيره لنص سفر التثنيه ٥:١٦:

"إن كلمة "حَمَد" فى اللغة المقدسة (يقصد اللغه العبريه حيث كانت تسمى بهذا الاسم فترة العصور الوسطى "لشون ها قوديش") تفسر على وجهين الوجهه الأول بمعنى سرق واغتصب وأخذ ما لدى الأخرين بالقوة والاغتصاب، ومثل ذلك "لا يشته أحد أرضاك" (الخروج ٣٤:٢٤) لإنه ما لم يكن معناه هكذا فإن الأرض تكون سيئة والمكتوب هنا لم يكتب إلا لإمتداحها. والمعنى الثانى هو، لغة الشهوة بالقلب (تأفا) التى لا تخرج الى حيز الفعل. وهنا نجد "لو تحمود" لا تشته بيت قريبك الوصية التاسعة (فى صيغة سفر التثنية، إذا استثنيا "أنا الرب إلهك" من تعداد الوصايا) و"تشتهى إمرأة قريبك (فى صيغة سفر الخروج) والوصية العاشرة... والدليل (على أن "حمد" تعنى نفس معنى "تأفا") هو ما قاله موسى فى هذا الكتابُ الذى فسر التوراه فقال "لو تتأفيه" بدلا من "لوتحمود". (١٣٩)".

وقد ذكر الكسندر روفيه فى معرض تعليقه على الخلاف حول معنى "الاشتهاء" فى هذه الوصية: "إن هذا التفسير، الذى فيه الاشتهاء بالعمل، هو إذن التفسير "الهالاخى"(١٤٠) القديم، ومنه أخذ موسى بن ميمون، الذى فسره بتفصيل وتوسع: "والوصية المائتان وخمس وستون - هى التحذير الذى حذرنا من أن نحول أفكارنا إلى مكائد، أى أن نحصل على ما يمتلكه الآخرون من إخواننا، وذلك فى قوله تعالى" "لا تشته بيت قريبك". ولغة "المخيلتا" هى "لا تشته"، ولو كان حتى الاشتهاء بالقول؟... الخ. فالتفسير هنا هو أن هذا النهى يحذر من عمل المكائد، لكى نحصل لأنفسنا على شئ إشتهيناه من ممتلكات إخواننا، ولو كان عن طريق الشراء وإعطاء مقابل كبير، لأن كل هذا يعتبر نقضا لوصية "لا تشته".

وبدون أن نعرف مصادر "الهالاخاه" و"البوسقيم" (حكماء الهالاخا)(١٤١)، فإن اللاهوتيين البروتستانت. الأحرار، فسروا الوصيه على هذا النحو، فى محاولة لإيجاد فارق بين العهد القديم والعهد الجديد. وقد سار على نهجهم كذلك باحثون ومفسرون محدثين، لم يكونوا بالضرورة خاضعين لنفس الاتجاه، وهذا التفسير هو التفسير الشائع حاليا لدى معظم الباحثين فى أمم العالم، للاعتبارات التالية:

أ - الدهشة من أنه من بين سلسلة الوصايا التى تأمر بشأن الافعال توجد وصية واحدة تنهى عن الأفكار.

ب - إنه إذا كان لابد من النهى عن الأفكار، فلماذا النهى عن شهوات الامتلاك، التى تؤدى إلى السرقة والاغتصاب بالذات؟ ولماذا لم تنه الوصية عن الغيرة، على غرار غيرة قابيل (التكوين٣) التى من شأنها أن تؤدى إلى القتل؟

جـ - إن الفعل "حمد" (اشتهى) يشير إلى العاطفة، التى تؤدى بالضرورة إلى فعل مناسب لها، ولذلك يشير توالى الفعل "حمد" إلى "لاقح" (أخذ)، وهو ما شعر به حكماء التلمود: "لا تشته ما عليها من الفضة والذهب" (التثنية٧:٢٥)؛

د - يوجد للفعل "حمد" نفس المعنى بالفعل فى اللغة الفينيقية، حسبما يشير إلى ذلك نقش قرطبة (النقش الأول، العمود الثالث، السطر١٢-١٨)، حيث تشير كلمة الاشتهاء "حمدت" إلى الرغبة والحب، ولكن الفعل يعبر عن الرغبة والاستيلاء معا، حيث يعبر النص عن الرغبة فى أخذ "المدينة"، وكذلك السيطرة عليها بالفعل.

إذن فإنه استنادا لهذا التفسير، تكون وصية "لا تشته بيت قريبك.. الخ"، قد جاءت ليس فقط للنهى عن المشاعر المجردة، بل ايضا عن المكائد العملية والأعمال، الموجهة من أجل السيطرة على أملاك الغير. وإذا كان الأمر كذلك، فليس من المحتم أن يكون المقصود هو التآمر للقيام بعمل غير قانونى، بل، حسبما أكد ربى موسى بن ميمون "...إن هذا النهى يحذر من عمل المكائد، لكى

نحصل لأنفسنا على شئ اشتهيناه من ممتلكات اخواننا، ولو كان عن طريق الشراء وإعطاء مقابل كبير، لأن كل هذا يعتبر نقضا لوصية "لا تشته".

والتفسير الأخر، هو التفسير الذى ظهر لأول مرة فى الترجمة السبعينية، حيث ترجموا "لا تشته" بفعل معناه لا ترغب، لا تشتاق، لا تتمنى، وهو فعل مشتق من فعل معناه الروح، والنفس والرغبة والاشتياق، وهنا نجد أن الوصية تفسر على إنها تحرم أفكار التقدير ومشاعر الغيرة والحسد بالنسبة لكل ما هو مملوك للغير، حتى لو لم يكن فيها أى مشروع عملى وتخطيطات تنفيذية. وقد حظى هذا التفسير بتطوير مثير للاهتمام عند فيلون السكندرى، الذى فسر هذه الوصية ووسع فيها. وفى رأى فيلون، "أن كل الحروب والوجود المأساوى لليونانيين والبربر، بينهم وبين أنفسهم وبينهم وبين بعض، قد جاءت من معين واحد، وهو الاشتهاء، سواء اشتهاء الممتلكات أو المجد أو المتعة، وهى التى تؤدى إلى ضياع الجنس البشرى".

ولم يكن هناك من سار على نهج التفسير المدراشى عند فيلون، وفى مقابل هذا، فإن المفسرين اليهود، إعتبارا من العصور الوسطى، كرروا – وكان الأوائل من بينهم عن غير وعى – تفسيرا للترجمة السبعينية، مع رفضهم، عن وعى، أقوال "المخيلتا". وعلى هذا النحو كان ابن عزرا وشموئيل دافيد لوزاتو، وفى أيامنا ابنه يعقوب، وكاسوتو، وليبوفيتس وجرينبرج، والمفسرون المسيحيون فى أيامنا يتمسكون بالتفسير "الهالاخى". وهناك قسم من الباحثين المسيحيين، ممن يؤمن بأقوال المسيح فى موعظة الجبل، يسعى لأن يجد فى الوصايا العشر، الوثيقة الأساسية لدين موسى، مبادئ وجهة النظر الشرعية التى ينسبونها لليهودية، ولكن هناك من اليهود من يرد على أقوالهم ويريد أن يثبت أن مبدأ "الشهوة فى القلب" موجود أيضا فى الوصايا العشر، ولكن لابد من القول، بأنه كالعادة لا تقدم مثل هذه المناقشات ما يساعد على فهم النصووص، وليس هناك من شك فى أن نوايا القلب قد احتلت مكانا محترما فى عقيدة "المقرا"، حسبما

تشير إلى ذلك نصوص كثيرة مثل قواعد الدخول إلى الهيكل ، والتي تشبه الوصايا العشر فى طابعها، وحيث يطلب من الذى يصعد إلى الجبل ألا يكون "طاهر اليدين" فحسب بل كذلك ايضا "طاهر القلب" (المزامير٢٤:٤)، ولكن مع هذا لا يجوز أن نربط هذا بتفسير أى وصية أيا كانت من الوصايا العشر ذاتها(١٤٢).

وقد حسم جرينبرج هذا النقاش حول مدلول كلمة "لو تحمود" (لا تشته) فقال فى تعليقه على وجهات النظر المختلفه:

"بناء على ما تقدم ينبغى أن يعطى معنى خاص لكل من "لو تحمود" و"لوتتآفيه"، ويبدو كذلك ايضا، أن وجهة النظر التى يجب أن تكون نصب أعيننا، هى أن الوصايا العشر تتصف بأن لها مكانة الأحكام المفروضة.

وبناء على ذلك، فإنه يكون من الأفضل دائما إضفاء طابع الفعل والعمل كلما أمكن على "الاشتهاء" (حِمدا)، وإخراجه بقدر لامكان من المجال الداخلى للتفكير ومن المجال الاشكالى للوصية، ونحن لا نملك. فى الحقيقة، إلا الاستدلال بالاستخدام اللغوى، وهذا الاستدلال لا يجنح إلى جانب توصيف "حَمَد" (إشتهى) مثل "لاقح" (أخذ) وماشابه ذلك بل على العكس نم ذلك، حيث أن ما يستدل عليه من الفقرات، هو أنه لابد من إكمال الفعل "حَمَد" بالفعل "لاقح" (أخذ) و"جزل" (سرق – اغتصب) لأنه لا يتضمن شيئا من هذا). ونحن نستنتج من استبدال "لوتحمود) بـ "لو تتآفيه" أن "حمد"= هنآفيه؛ ومن مقارنة "حمد" و"جزل" (ميخا٢:٢) نجدها تساوى "زامم" (تآمر) و"لاقح" (الأمثال٣١:١٦)، إذن، فإن "حمد"= "زامم"، أى إنه خطط أفكارا حول الكيفية التى يمتلك بها ما يمتلكه الآخرين، ومن التعبير "حمد باليف" (تاق) الوارد فى الأمثال٦:٢٥، والذى يختلف عن "حمد" كفعل قائم بذاته، مثل اختلاف "آمرباليف" (قال فى نفسه) عن الفعل "آمر" (قال)، يمكن أن نستنتج أن هناك تمييز بين الاشتهاء الداخلى (فى القلب) والاشتهاء الذى يترجم نفسه إلى فعل خارجى أيا

كان – قولا أو سلوكا: وسواء كان هذا أو ذاك، فإن هذه الوصية هى أرق الوصايا، لإنها جاءت لتمنع الشرور المبيتة عن طريق تغلب الغريزة الدافعة للإنسان لأن يفعلها. (١٤٣)

ويقول الكسندر روفيه "إن هناك عدة قوانين فى سفر التثنية هى بمثابة تفسير للوصية العاشرة، وهذا التفسير مرتبط بالقوانين، ولذلك فهو تفسير عملى نموذجى، وليس معنويا، وبناء على ذلك، فإنه لا يجوز الشك فى التفسير، على اعتبار إنه من الممكن أن يكون عبارة عن صياغة نظرية، حديثة جاءت لتغير روح القانون القديم، وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا التفسير ليس بالضرورة صحيحا، لأنه من الممكن أن يصاغ على إنه نموذج لوجهة نظر ثانوية لمغزى الوصية، ولكن على أى حال، فإنه إذا كان هناك ثمة تفسير، فإن هذا التفسير يكون هو التفسير الاقدم الذى أعطى لوصية "لا تشته". ومقصدى من هذا هى القوانين التالية، القريبة ن بعضها من حيث اللغة والمضمون:

١ – "لا تنقل حدود قريبك التى حددها الأولون فى ميراثك الذى ترثه فى الأرض التي يعطيك الرب الهك إياها لترثها" (التثنية١٩:١٤)

٢ – "إذا دخلت كرم قريبك فكل من العنب على قدر شهوتك حتى تشبع ولا تجعل منه شيئا فى سلتك". (التثنية٢٣:٢٥)

٣ – "وإذا دخلت السنبل القائم الذى لقريبك، فاقطف بيدك فريكا ولا تلق منجلا على سنبل قريبك" (التثنية٢٣:٢٦).

٤ – "إذا اقرضت قريبك قرضا ما، فلا تدخل بيته لتأخذ رهنا منه، بل قف خارجا والرجل الذى أقرضته يخرج لك الرهن إلى الخارج (التثنية٢٤:١٠–١١).

وهذه القوانين الاربعة تتعلق "بالقريب" وهى القوانين الوحيدة فى سفر

التثنية التى تتعلق "بالقريب" وتأمر بكيفية السلوك مع الآخرين. و"قريبك" (ريعيخا) الوارد فى هذه القوانين يختلف عن "قريبك الذى هو كنفسك" الوارد فى قانون عبادة الآلهة الأخرى: "إن أغراك سرا أخوك، ابن أمك، أو ابنك أو ابنتك أو إمرأتك التى فى حضنك أو قريبك الذى هو كنفسك قائلا: هلم نعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت وآباؤك من آلهة الشعوب التى حواليكم.." (التثنية١٣:٧-٩). إن "قريبك الذى هو كنفسك" ليس المقصود به هم الآخرون، بل الصديق المقرب، والدليل على ذلك الآخرون الذين ذكروا كأقرباء للإنسان: الأخ والأبن والأبنة والزوجة. ولكن قوانين سفر التثنية بشكل عام تطلق على هؤلاء صفة الأخرين بطريقة أخرى هى: "اخوتك" (آحيخا) والتى وردت خمس عشرة مرة، و"اخوته" (ايحاف) التى وردت أربع مرات و"صديقه" (ريعهو) التى وردت عشر مرات، إذن فإن استخدام "ريعيخا" (قريبك) الوارد فى القوانين الإربعة، يجب ألا ينظر إليه على إنه استخدام لغوى شائع فى سفر التثنية، ولا كذلك على إنه مترادف لكلمة "اخوتك" (ايحيخا)، ولابد من البحث عن تفسير لدواعى استخدام المؤلف لكلمة "ريعيخا" بالذات.

إن القوانين الأربعة من حيث مضمونها قد تناولت جميعها الدفاع عن ممتلكات الغير، وبالذات من الاصابات البسيطة والجانبية بالتحديد. ومن الممكن أن نصفها باللغة القانونية بأنها قوانين تمنع الصور المختلفة من نقل الحدود فى الأراضى. وبناء على ذلك فإن هذه القوانين تنضم إلى التحريم الوارد فى وصية "لا تشته" على النحو الذى فسر لأول مرة فى "المخيلتا"، والذى يشير إلى أن الاشتهاء هو اشتهاء بالفعل والعمل. وهنا تبدو العلاقة بين وصية "لا تشته" وهذه القوانين على إنها علاقة بين مبدأ أساسى شامل وحالات تفصيلية هى بمثابة نماذج له؛ نماذج - من الحقل، ومن الكرم ومن السنبل ومن الأقراض والدق على الأبواب.

إن القانون الأول، على سبيل المثال "لا تنقل حدود قريبك" قد جاء ليحذر

من التحريك (التحريك للخلف) لعلامات الحدود، وعلى الأخص الحجارة "إلى داخل حقل صديقة لكى يوسعه".

ومثل هذا التحذير معروف جيدا فى الحضارات اليونانية والرومانية، كما إنه يحمل أسماء الآلهة ورموزها، ولا يجوز تحريكه. وهذا القانون أقرب فى مضمونه لما هو وارد فى أدب الحكمة. فقد ورد فى سفر الامثال: "لا تنقل حدود العالم ولا تقترب من حقول اليتامى" (الامثال ٢٣:١٠-١١).

وهذه القوانين الأربعة الخاصة "بقريبك" فى سفر التثنية مفرقة حاليا فى ثلاثة أماكن مختلفة. ويبدو أن المسئول عن ترتيبها الحالى هو ذلك المحرر لهذا السفر، والذى رتبها وفقا لاعتبارات خاصة به، ولكن هذه القوانين لها أصداء واضحة فى أدب الحكمة (الامثال ٢٣:١٠؛ وكذلك فى أيوب ٢٤:٢-٣، وكذلك فى الامثال ٢٢:٢٦-٢٨، التى تتناول فى تتابع واحد أخذ القرض عن طريق المقرض وتحريك الحدود.

ويتضح من ذلك، أن قوانين "قريبك" الاربعة، هى كلها من مصدر واحد، ولمؤلف واحد ربما وقع تحت تأثير أدب الحكمة، وكتبها معا لتفسير الوصية العاشرة التى تنهى عن المساس بما يملكه الأخرون (١٤٤).

وإذا كان الرب يقصد بهذه الوصية ألا ينظر اليهودى إلى ما لدى قريبه (أى اليهودى)، لأن هذا يؤدى إلى مشاعر الحقد والكراهية، إلا إنه لا ضير فى أن يحسد اليهودى أو يشته أمرءاً من "الجوييم" (عير اليهود). فقد أباح يهوه لشعبه المختار أرواح أهل الأمم الأخرى وجعل أموالهم غنيمة للإسرائيلين فى الحرب والسلم على حد السواء، وقد قال الله تعالى فى القرآن الكريم "ذلك بإنهم قالوا ليس علينا فى الامين سبيل" (آل عمران٧٥) أى لا تثريب علينا أن نظلم العرب وغيرهم ممن ليسوا منا. وقد أجاز للإسرائيلى أن يقرضهم المال بالربا الفاحش: "للاجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا" (التثنية١٤:٢١). وكذلك أن يطعمهم جيف الحيوانات النافقة:

"لا تأكلوا جثة ما، تعطيها للغريب الذى فى أبوابك فيأكلها أو يبيعها لأجنبى" (التثنية١٤: ٢١)، أما فى داخل اسرائيل فقد حرمت هذه الموبقات تحريما قاطعا، وحظر على اليهودى أن يحسد قريبه أى ابن قبيلته ويشتهى ماليه لأنه أخاه فى العقيدة الدينية، لأن فشو هذه الآفة فى أسباط اليهود يعرضها لحظر هو خفى ولكنه مقيم يرفرف على أعضائها جميعا، ولهذا جعلإاشتهاء ممتلكات هؤلاء الإقرباء إنتهاكا لتابو، فمن فعل ذلك أوشك أن يلحق الأذى بجماعته، فقد ورد فى سفر ميخا: "ويل للمفتكرين بالباطل والصانعين الشر على مضاجعهم فى نور الصباح يفعلونه لأنه فى قدرة يدهم. فإنهم يشتهون الحقول ويغتصبونها والبيوت ويأخذونها ويظلمون الرجل وبيته والإنسان وميراثه، لذلك هكذا قال دالرب، هاأنذا أفتكر على هذه العشيرة بشر لا تزيلون منه اعناقكم ولا تسلكون بالتشامخ لأنه زمان ردئ" (ميخا٢: ١-٣).

وكانت هناك الفاظ خاصة يحرص اليهود على التفوه بها وحركات معلومة يلوحون بها استعاذة لأنفسهم ولأقربائهم من شر الحاسدين وتحرزا من كيد الأرواح الشريرة التى توشك أن تدهمهم بما يورثهم وهن الجسم وضعف العقل ويفقدهم الجمال وينبويهم عن التوفيق فى أعمالهم. فكانوا يدرأون عن أطفالهم شر الحسد بأن يضعوا فى جيوبهم كسرة من الفطير غير المختمر وشيئا يسيرا من الملح. وإذا أراد أحدهم أن يعرب عن اعجابه بإمرئ قدم لذلك بكلمة تبطل أثر الحسد فيقول مثلا: "كنتهور" Kenanhore "ياله من طفل جميل"، أو كما يقول العامة فى مصر: "اللهم صلى على النبى"(١٤٥).

مراجع وهوامش الباب الثالث

(١) اليك. شالوم: م.س.ذ، ص٢٠١

(٢) ملكاه. سلمون: م.س.ذ، ص٢١٥

ولاحظ هنا الفـــرق بين أسلوب الخطاب فى التـــوراه، وأسلوب الخطاب القرآنى الذى يتوجه دائما إلى طائفة المؤمنين بقوله "يا أيها الذين آمنوا".

(٣) وردت إشـارة واحدة فى التوراة إلى مـصـر دون ربطها "ببيت العبـودية"، وعلى إنهم أصـحـاب جـميل على بن اسـرائيل: "لا تكره مـصـريا لأنك كنت نزيلا فى أرض مصر" (التثنية ٢٣:٦).

(٤) البك. شالوم: م.س.ذ، ص٢٠٢.

(٥) ديورانت. ول: م.س.ذ، الجزء الثانى من المجلد الأول، الباب الثانى عشر، الفصل الثالث، ص٣٣٨.

(٦) توجد آثار أخرى من عبادة الحيوان بين اليهود الاقدمين فى سفر الملوك الأول ١٢:٢٨، وفى سـفـر حـزقـيـال ٨: ١٠، وقـد عـبـد أهـاب ملك اسـرائيل الابقار بعد سليمان بقرن واحد.

(٧) سفر العدد٢١:٨-٩؛ وسفر الملوك الثانى ٢٨:٤.

(٨) ديورانت. ول: م.س.ذ، ص٣٣٩.

(٩) نفس المرجع.

(١٠) نفس المرجع.

(١١) من بين الاثار التى وجدت فى كنعان عام ١٩٣١ قطعا من الخزف من بقايا العصر البرونزى (٣٠٠٠ق.م) عليها إسم كنعانى يسمى "ياه" أو "ياهو".

(١٢) سفر الخروج ٢٢:٧. ٣١.

(١٣) سفر الخروج ٣٣:١٩.

(١٤) سفر التكوين ٣١:١١-١٢

(١٥) سفر الخروج ٣٣:٢٣.

(١٦) الملوك الأول ٢٠:٢٣.

(١٧) سفر الخروج ٢٥:٣

(١٨) صموئيل الثانى ٢٢:٣٥.

(١٩) سفر الخروج ٢٣:٢٧-٣٠.

(٢٠) سفر اللاويين ٢٥:٢٣.

(٢١) سفر الخروج ٢٤:١٨.

(٢٢) سفر العدد ٢٥:٤

(٢٣) سفر الخروج ٢٠:٥-٦

(٢٤) نفس المرجع.

(٢٥) سفر العدد ٢٤:١٣-١٨.

(٢٦) سفر التكوين ٢٨.

(٢٧) سفر التثنية ٢٨:١٦-٢٨.

(٢٨) سفر الخروج:٢٠:٥؛ ٣٤:١٤؛٢٣:٢٤.

(٢٩) سفر روث ١:١٥؛ وسفر القضاة ٢١:٢٤.

(٣٠) سفر الخروج ١١:١٥؛ ١١:١٨.

(٣١) سفر التثنية ٣:٢٤

(٣٢) سفر المزامير ٨٢:١

(٣٣) سفر المزامير ٩٧:٧

(٣٤) سفر التثنية ١٠:١٧

(٣٥) سفر المزامير ٣٦:٢-٣

(٣٦) أخبار الأيام الثانى ٢:٥

(٣٧) أخبار الأيام الثانى ٦:١٤.

(٣٨) سفر حزقيال ٨:١٤.

(٣٩) سفر ارميا ٢:٢٨؛ ٣٢:٣٥.

(٤٠) ديوزنت، ول: م.س.ذ، ص٣٤٤.

(٤١) سفر التثنية ٣:٢٤.

(٤٢) سفر التثنية ٤:٧.

(٤٣) سفر التثنية ٤:٣٦- ٣٩.

(٤٤) سفر التثنية ١١:١٦-١٧.

(٤٥) جرينبرج، موشيه: م.س.ذ، ص٨٠

(٤٦) البك، شالوم: م.س.ذ، ص٢٠٢-٢٠٣

(٤٧) ملكاه، سلمون: م.س.ذ، ص٢٠٢-٢٠٣

(٤٩) "فانك لا تسجد لاله آخر، لأن الرب اسمه غيور. اله غيور هو"

(خروج٣٤:١٤)

(٤٨) ديورانت. ول: م.س.ذ، ص٢٧٢-٢٧٣

(٥٠) البابا شنوده الثالث: الوصايا العشر، الجزء الأول (الوصايا الأربع الأولى)، الطبعة السابعة، القاهره أغسطس ١٩٨٩، ص٣٠

(٥١) نفس المرجع، ص٣١.

(٥٢) نفس المرجع: ص٣٣-٣٤.

(٥٣)جرينبرج. موشيه: م.س.ذ، ص٨١ - ٨٢.

(٥٤)البك. شالوم: م.س.ذ. ص٢٠٣ - ٢٠٤

(٥٥) الشامى. رشاد (دكتور) : جولة فى الدين والتقاليد اليهودية، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة ١٩٧٧، ص٧٢.

(٥٦) يكاد التابو الذى يحرم النطق باسم الله يكون قد عم الاديان البدائية كافة، فاسم "براهما" مقدس عند اليهود الهنود، واسم "ردرا" (أى العاوى أو المولول) مقدس عند الودا. وقد ذكر سيشرون إنه كانت هناك فرقة من أهل مصر تعد ذكر اسم أحد الآلهة المصرية من الجرائر. وما فى أحد يعرف الاسم الحقيقى لكل من أمون وآتون. فقد كان كبار الكهنة هم وحدهم الذين يؤتمنون على الأسماء المقدسة والأسماء السرية للآلهة. فإذا ما اقتضاهم الأمر أن يلفظوا بتلك الأسماء فعلوا ذلك بصوت منخفض على تهيب وخشوع، وكذلك كنت الحال بالنسبة لأسماء الملوك والأشخاص المقدسين. وعند بعض الفرق الإسلامية أن لك غير أسمائه الحسنى سبحانه وتعالى ما يطلق عليه "الاسم الاعظم" وبه يدعى تضرعا وخفية فيقال "بحق الآله الأعظم".

(٥٧) لاحظ التناقض فى هذه الفقرة بين مقدمتها التى تشير الى أن الله فرغ من عمله فى اليوم السابع، وبين النصوص الواردة فى الوصايا العشر بشأن وصية السبت والتى تشير إلى أن الرب خلق السموات والأرض والبحر وجميع ما فيها فى ستة أيام، واستراح فى اليوم السابع.

(٥٨) ناصف. عصام الدين حفنى: اليهودية بين الأسطورة والحقيقة، دار المروج، القاهرة ١٩٨٥، ص٢٧٦.

(٥٩) البك. شالوم: م.س.ذ، ص٢٠٦.

(٦١) البك. شالوم: م.س.ذ، ص٢٠٦.

(٦٠) جرينبوم. موشيه: م.س.ذ، ص٨٢.

(٦١) البك. شالوم: م.س.ذ، ص ٢٠٦

(٦٢) عبد المجيد محمد بحر (دكتور): اليهودية، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة ١٩٧٨، ص ٢٦

(٦٣) على. فؤاد حسنين (دكتور): اليهودية واليهودية المسيحية، ص ٦٦.

(٦٤) ملكاه. سلمون: م.س.ذ، ص١١٧-١١٩

(٦٥) ظاظا: حسن (دكتور): الفكر الدينى الاسرائيلى، ص٢٠٠-٢٠١.

(٦٦) الشامى. رشاد: م.س.ذ، ص٧٣.

(٦٧) ظاظا. حسن: م.س.ذ، ص٢٠١.

(٦٩) الهفطاراه: كلمة آرامية "أفطارا" أو "أفطرتا"، بمعنى إعفاء وهى تسمية تطلق على ذلك الجزء من أسفار الانبياء الذى يقرأ فى المعبد بعد قراءة "البراشاه" (الجزء) الخاصة بالأسبوع أو "البراشاه" الخاصة بالعيد.

وبالرغم من أن عادة قراءة أقوال الأنبياء بعد قراءة التوراة قد ذكرت فى المشنا (مجلا الفصل الرابع) وفى التلمود، إلا أنه لا توجد فى هذه المصادر أسباب لهذه العادة وفرضها، وفى كتاب أبو درهام، وردت اشارة، إلى أنهم بدأوا فى هذه العادة منذ عهد أنطيوخس الرابع (القرن الثانى ق.م) حيث حكم على اليهود ألا يقرأوا فى التوراة. ففى مقابل السبعة الذين كانوا يصعدون لقراءة التوراة ولا يقرأون أقل من ثلاث فقرات بالنسبة لكل واحد، حددوا قراءة إحدى وعشرين فقرة من الأنبياء، وإذا اكتمل الأمر بعدد أقل من الفقرات، مثل "هفطارات تشوفا" (هفطاراة التوبة) والتى هى صغيرة- لا تكون هناك ضرورة لقراءة المزيد؛ ولذلك دعيت "هفطاراة" لأنهم كانوا بموجبها "نفطاريم" أى (معفون) من قراءة التوراة، ويقومون بقراءة الأنبياء، التى كان الرومان لا يعتبرونها من أساس الدين اليهودى، ولذلك لم يخشوا من قراءة اليهود لها فى المعابد. وبالرغم أن من فترة الاضطهادات إنتهت إلا أن هذه العادة استمرت وحافظ عليها اليهود.

(٧٠) إيخا: سفر من أسفار المكتوبات فى العهد القديم، وقد سمى "إيخا" (كيف) نسبة الى مقدمته "كيف جلست وحدها المدينة" (إيخا يشفا باداد هاعير). ويسمى كذلك "المراثى" (قينوت) نسبة الى مضمونه، حيث يشتمل على خمسة اصحاحات من النواح والمراثى عن خراب فلسطين والقدس والهيكل اليهودى على يد البابليين. واستنادا الى تقاليد حكماء التلمود، فإن كاتب هذا السفر هو إرميا النبى. وقد جرت العادة بين اليهود أن يقرأوا سفر مراثى إرميا فى ليلة التاسع من آب (أغسطس) وفى اليوم ذاته. وتتم قراءة هذا السفر بينما يكون الجمهور جالسا على الأرض أو على أرائك منخفضة. وقد ألفت عن هذا السفر عدة تفسيرات هاجادية،

وأكبر هذه التفاسير هو "مدراش ربا" عن إيخا.

(٧١) الجاؤون: لقب رؤساء الاكاديميات التلمودية الكبرى (اليشيفوت) فى حصورا وبومبديثا فى العراق، واعتبارا من القرن السادس الميلادى وحتى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى، وكان الجاؤونيم طوال هذه الفترة الذين يمثلون الصلاحية العليا على صلة بكل طوائف اليهود عن طريق المراسلة ليردوا على كافة استفساراتهم فى الشريعة، والتى كانت تعتبر بمثابة قانون قاطع لكافة اليهود، ومن أشهر هؤلاء الجاؤونيم ربى سعديا جاؤون، وربى شريرا جاؤون وربى حاى جاؤون. وبالرغم من أن رؤساء الاكاديميات التلمودية فى فلسطين قد حصلوا على لقب جاؤون، إلا أنهم لم تكن لهم لا سلطة ولا شهرة الجاؤونيم فى بابل (العراق).

(٧٢) أيام التوبة العشرة: راجع مقدمة البحث بشأن مدلول الرقم عشرة فى الفكر الدينى الاسرائيلى.

(٧٣) أريئيل. شلومو: زلمان: م.س.ذ، ص١٦١.

(٧٤) يختلف اليهود فى هذا النظام عن التقويم الاسلامى، الذى يبدأ مع شروق الشمس، وليس مع غروبها.

(٧٥) اريئيل. شالوم زلمان: م.س.ذ، ص١٦٠.

(٧٦) نفس المرجع، ص١٠٠.

(٧٧) اريئيل. شالوم زلمان: م.س.ذ، ص١٠١.

(٧٨) Jewish values: Isarel Packet library, Keter baooks, Israel, Jerusalem, 1974, P. 286.

(٧٩) Encyclopydia Judaica, vol. 14, P. 568.

(٨٠) الزور . صلاح : المتدينون في المجتمع الإسرائيلي، رابطة الجامعيين . مركز الأبحاث . الخليل، ١٩٩٠، الفصل السادس، ص ٤٧٧.

(٨١) Black. Jeff, the next sabbath battle, jerusalem post, june 23, 1989.

(٨٢) جريدة القدس، ١٩٩٠/٢/٥

(٨٣) Black. Jeff. op. cit

(٨٤) Encyclopydia judaica, vol. 14, P.567.

(٨٥) سيجف. توم : الإسرائليون الأوائل ١٩٤٩م ، ترجمة خالد عابد وآخرون، الطبعة الأولي، موسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٦، ص ٢٤٠.

(٨٦) نفس المصدر، ص ٢٤٣.

(٨٧) نفس المصدر، ص ٢٤٤.

(٨٨) نفس المصدر، ص ٢٥٩، ٢٦٠.

(٨٩) نفس المصدر، ص ٢٦٠، ٢٦١.

(٩٠) نفس المصدر، ص ٢٦٢.

(٩١) الجعبرى . جواد : الحكومات الإسرائيلية، مجلة " العودة"، العدد ٢٦، ١٩٨٣، ص ٨٧.

(٩٢) مجلة "البيادر السياسى، العدد ١٨٩، ١٩٨٦، ص ٥٥.

(٩٣) نفس المصدر.

(٩٤) صحيفة "هاآرتس"، ١٩٨٨/١١/٦.

(٩٥) Jerusalem post, june 20, 1989.

(٩٦) المسيرى . عبد الوهاب : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجسة. الأهرام، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٦٤.

(٩٧) الفريسيون والكتبه: الفريسيون حزب دينى يهودى يهدف إلى تحقيق المثال الأعلى للتدين اليهودى فى إتباع الشريعة وسنة الحاخامات اليهود (التلمود) فى أدق مراسيمها. ويعود أصلهم إلى زمن المكابيين، حين قام بعض اليهود من ذوى الغيرة على الدين لمقاومة كل ما تسرب اليه من الحضارة اليونانية الوثنية. وكانوا يلقبون أحيانا "الحسيديم"، ويرى فيهم البعض صورة من "المعتزلة" إستنادا الى تسمية "الفريسى" التى تعنى المنعزل عن الجماعة، ولأنهم كانوا يحتقرون عامة الشعب ويترفعون عليهم.

أما الكاتب فهو رجل التوراة الذى يشغل درسها حياته كلها، وكان الكتبه يلقون دروس الشريعة فى المجامع اليهودية ولا سيما فى أيام السبت والأعياد، وكانت الشريعة فى نظرهم قسمان: النص الموسوى التاريخى (شريعة موسى أو التوراة)، والتفاسير التى حيكت حوله على مر العصور، وهى إما تفاسير قانونية، أو تفاسير أدبية، وتسمى بالعبرية "المدراش" وتطلق عليها الأناجيل "تقاليد الأقدمين" أو "سنة الشيوخ"، وكانت بمثابة "توراة ثانية" استخدم الكتبة فى سبيل تكوينها كل ما يمكن أن تتمخض عنه أدمغة البشر من المحاولات التفسيرية، واحتلت نفس مكانة النص التوراتى، مع إنها كانت وليدة عقلية ضيقة متحجرة أسيرة الحرف دون الروح، وعاطفة دينية تتمسك بالقشور. وكان جميع الكتبه ينتمون إلى حزب الفريسيين.

(٩٨) المجمع اليهودى: لم يكن لليهود هيكل إلا هيكل أورشليم، أما سائر معابدهم فى المدن الأخرى والقرى فكانوا يسمونها "مجامع"، وكانت كلها

على طراز واحد، ولم يكن المجمع بيتا للعبادة والصلاة فحسب، وإنما كان ايضا مكانا لتعليم اليهود شئون الدين، وإذكاء الروح القومية، وكانت المجامع اليهودية المنتشرة فى أرجاء فلسطين فى عصر المسيح تعتبر امتداد لهيكل أورشليم حيث كان لايزال قائما، بعد أن اعادوا بنائه، بعد عودته من السبى البابلى فى القرن الخامس ق.م. وكانت المجامع هى الرابطة القومية بين جاليات اليهود، أفرادا وجماعات، فى كل مدينة حلوا فيها فى العالم الرومانى؛ وكانت من ثم الحصن الروحى لهم. وتعود الجذور التاريخية للمجامع اليهودية، من حيث هى مؤسسة دينية، إلى أيام السبى البابلى والآشورى، حيث حرم اليهود فى بابل، من وجود هيكل للعبادة، فمالوا عفوا الى الاجتماع فيما بينهم للصلاة وقراءة أورادهم الدينية عزاءاً وتدينا، ولما عادوا إلى فلسطين، فى عهد قورش ظلوا متمسكين بهذه العادات تجاوبا مع عاطفتهم الدينية، وتيسيرا لمهمة الكتبه فى تعليم اليهود أمور دينهم. وفى القرن الثانى قبل المسيح أصبحت المجامع مؤسسة قانونية تعم الأوساط اليهودية فى فلسطين وأماكن الشتات اليهودى خارجه، وكان عدد المجامع يتزايد وفقا لعدد السكان وثرائهم، وقد كان عدد المجامع فى أورشليم وحدها أربع مائة وثمانين مجمعا، كما يذكر التلمود، كان بعضها لليهود سكان المدينة الأصليين، وبعضها الآخر للجاليات اليهودية المقيمة فيها، وللجاليات التى تأتى للحج إلى أورشليم فى الأعياد اليهودية الكبرى.

والمجمع عبارة عن ردهة كبرى، قبلة الحضور فيها أورشليم والهيكل، وكان يقسمها أحيانا صفان متوازيان من الأعمدة فيتألف من ذلك ثلاثة أسواق؛ وفيها منبر لقراءة التوراة وأسفار الأنبياء، وتفسيرها يسمى "المقرأة"؛ وفى الصدر شبه قبة فى شبه خزانه تحوى ملف الشريعة من الرق ملفوفة على محور من

الخشب أو النحاس فى شكل أسطوانى؛ وكانت الخزانة مغشاة بغطاء من قماش مزركش، يضئ أمامها سراج لا ينطفئ. وكان فى المجمع كذلك شمعدان صغير يمثل بشكله ومعناه الشمعدان الكبير ذى السبعة فروع المحفوظ فى الهيكل، وكانت أرض المجمع مفروشة عادة بفسيفساء رسمت عليها، كما على الجدران، مشاهد ورموز، وأحيانا أشخاص من تاريخ اسرائيل، وإذا لم يكن فى أوقات الاجتماع أى اختلاط بين الرجال والنساء، كان للنساء قسم خاص غالبا ما يكون شرفة على أعمدة يصعد عليها بسلم عند باب المدخل، أما المقاعد فكانت على الجانبين وكان أميزها ما كان أقربها إلى خزانة تابوت الشريعة، وكان لكل مجمع رئيس تنتخبه الجالية أو المحلة من بين أعيانها وشيوخها مهمته أن يرأس مجلس ادارة الاوقاف، والمحفل المحلى، والحفلات الدينية، ويعين فيها من يقرأ التوراه ويفسر الشريعه ويسهر على سلامة البناء والأثاث، وكان يعاونه موظف يدعى "الخازن" يخدم فى المجمع وينفذ أحكام الشريعة، وخاصة الجلد بأربعين جلدة إلا جلدة، أو الغرامة المالية، ويعلن بالبوق ابتداء اليسبت وانتهاءه، ويقوم احيانا بتعليم الاطفال اليهود أصول الدين وشيئا من مبادئ القراءة والحساب.

(٩٩) لا تشجب الشريعة الموسويه هذه العادة، حيث ورد فى سفر التثنية: "إذا دخلت كرم صاحبك، فكل من العنب على قدر شهوتك وشعبك، ولا تجعل منه شيئا فى وعائك، وإذا دخلت زرع صاحبك، فاقطف بيدك فركا ولا تلق منجلا على سنبل صاحبك" (التثنية٢٣: ٢٥).

(١٠٠) وردت هذه القصة فى سفر صموئيل الثانى وتحكى عن قصة هروب داود أمام إبنه أبشالوم، فأتى إلى نوب حيث كان تابوت الشريعة، وإذ كان جائعا هو ورجاله، طلب إلى الكاهن طعاما فقدم له الكاهن الخبز المقدس، لإنه لم يكن لديه مأكل سواه، فأكل داود

ورجاله منه.

(١٠١) هذه الجملة "أريد رحمة لا ذبيحة" جمله وردت على لسان هوشع(هوشع٦:٦).

(١٠٢) البابا شنوده الثالث: السيد المسيح المعلم الصالح، صحيفة الأهرام القاهرية، ١٩٨٨/١/٧، ص٧.

(١٠٣) محمد. محمد عبدالسلام (دكتور): بنو اسرائيل فى القرآن الكريم، مكتبة الفلاح، ص١٦٩.

(١٠٤) الهوارى. محمد (دكتور): السبت والجمعة فى اليهودية والإسلام، دار الهانى للطباعة، القاهرة، ١٩٨٨، ص١٨٢.

(١٠٥) ملكاه. سلمون: م.س.ذ، ص١٥٠ - ١٥١.



(١٠٦) جرينبرج. موشيه: م.س.ذ، ٨٢ - ٨٣.

(١٠٧) البك. شالوم: م.س.ذ، ص٢٠٨

(١٠٨) نفس المرجع ص ٢٠٨ - ٢١٠.

(١٠٩) الشامى. رشاد : م. س. ذ، ص ٧٣ - ٧٤.

(١١٠) رواه البخارى، كتاب الأدب باب "من أحق الناس بحسن الصحبة".

(١١١) وافى . على عبدالواحد (دكتور): الاسفار المقدسة فى الاديان السابقة للاسلام، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٦٤، ص٣٥ - ٣٦.

(١١٢) وافى . على عبدالواحد: م.س.ذ، ص٣٧.

(١١٣) موسى محمد العزب : دراسات إسلاميه فى التفسير والتاريخ،

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠، ص٩٨.

(١١٤) راجع: الندوى. أبو الحسن على الحسنى: السيرة النبوية، ديوان المطبوعات الجامعيه، الجزائر ١٩٨٦، ص٢٢٦ - ٢٢٧.

(١١٥) ديورانت. ول: قصة الحضارة، م.س.ذ، ص٣٧٦ - ٣٧٧.

(١١٦) انظر : الصابونى الجزء الأول، ص١٨٦، بن العربى الجزء الأول ص١٦٠، والجصاص الجزء الأول ص١٢٣.

(١١١٧) انظر : الصابونى ص٤٩١. وابن العربى ص٤٧٩.

(١١٨) نفس المرجع.

(١١٩) البك. شالوم: م.س.ذ، ص٢١٤.

(١٢٠) الاسيوطى. ثروت انيس (دكتور): نظام الاسرة بين الاقتصاد والدين (الجماعات البدائية - بنو اسرائيل دار الكاتب العربى، القاهره، ص١٧٤ - ١٨٠.

(١٢١) ملكاه. سلمون: م.س.ذ، ص١٩٦

(١٢٢) موسكاتى. سبتينو: الحضارات السامية القديمة، ترجمة د.السيد يعقوب بكر، مراجعة د. محمد القصاص، دار الكاتب العربى، القاهرة، الفصل السادس، ص١٧١.

(١٢٣) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصريه،القاهرة، الجزء السادس،ص١٧٦ ومابعدها.

(١٢٤) ابن تيمية : الجواب الصحيح عن من بدل دين المسيح، الجزء الأول ،مكتبة المدنى، جدة، القاهرة ص٣٧٢ - ٣٧٤.

(١٢٥) الحديث رواه مسلم والترمذى وأبوداود.

(١٢٦) يحيى. ياسين محمد (دكتور): المجتمع الاسلامى فى ضوء فقه الكتاب والسنة، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٨٤، ص٢٥١-٢٥٦.

(١٢٧) اضطجاع زرع: المقصود به الاتصال الجنسى فى اللغة العبرية القديمة، لأن الفكر الدينى كان ينتظر إلى اضطجاع الرجل مع المرأة على إنه وسيلة للاستيلاء فقط، وقد استند بعض رجال الكنيسة المسيحية الى هذا فلم يبيحوه بين الزوجين إلا محدودا بهذا الهدف.

(١٢٨) لم تؤخذ: أى لم يتم ضبطها فى حالة تلبس.

(١٢٩) معنى هذا أن يصدر الاتهام عن مجرد الغيرة الطائشة والشك الأرعن.

(١٣٠) راجع: الاسيوطى. ثروت انيس:م.س.ذ، ص٢٦٥-٢٦٦.

وكذلك: المشنا. فصل النساء (ناشيم)، الجزء الثالث، باب "سوطة".

(١٣١) ريك. جان اميل: مركز المرأة فى قانون حمورابى والقانون الموسوى ص٤٦-٤٧.

(١٣٢) غنيم. أحمد (دكتور) المرأة منذ النشأة بين التجريم والتكريم، دراسة تقارنية فى المصادر العليا للأديان الثلاثة، القاهرة ١٩٨٠، ص١٩٧.

(١٣٣) نفس المرجع، ص٢٦٦-٢٦٧.

(١٣٤) نفس المرجع، ص٢٥٤ -٢٥٧.

(١٣٥) الاسيوطى: م.س.ذ، ص٢٣٦-٢٣٧.

(١٣٦) نفس المرجع، ص٢٣٤-٢٣٥.

(١٣٧) البابا شنودة الثالث: الوصايا العشر (الكتاب الرابع)، الوصية السابعة

(لاتزن) الطبعة السابعة، مايو١٩٨٩، القاهرة،ص٨-١٩.

(١٣٨) جرينيرج. موشيه: م.س.ذ، ص٨٤.

(١٣٩) جرينبرج. موشيه: م.س.ذ،ص ٨٥.

(١٤٠) الهالاخا: كلمة "الهالاخا" كلمة آرامية الأصل من الجذر "هالخ" ومعناها الأصلي: "سار على الدرب"، و"خطى"، ومن هنا، فمعنى الكلمة فى الاستعارة هو "القانون" أو "العرف" و"النهج" أو "السنة"، ويطلق هذا الاصطلاح على ذلك الجزء من اليهودية الذى يتناول الحياة العملية لليهودى، ويحدد له ما هو المحرم وما هو المسموح به، وما هى التزاماته التى ينبغى فعلها لكسب رضاء الرب وما الذى ينبغى أن يتجنبه. وتحتل الهالاخا" أو "السنة اليهودية" مكانة كبيرة سواء فى التوراة المكتوبة أو التوراة الشفهية (التلمود). ويتناول معظم الأدب التلمودى والربانى موضوعات "الهالاخا"، وتتناول الهلاخا العلاقات بين الإنسان وصاحبه، وبين الفرد والجمهور، وبين الجمهور وبعضه البعض، وبين اليهود والشعوب الأخرى، وما بين الشعوب وبعضها البعض. ويعتبر المصدر الرئيسى للهالاخا استنادا "للماسورة" هو التلمود، التى يرى حكماء التلمود إنها أعطيت لموسى فى سيناء من أجل تفسير وتكملة التوراة المكتوبة (أسفار موسى الخمسة) التى أعطيت له فى نفس الموقف على جبل سيناء: "تلقى موسى التوراة من سيناء وسلمها ليشوع، ويشوع للشيوخ، والشيوخ للأنبياء، وسلمها الانبياء لرجال المجمع الكبير" (فصول الآباء١، مشنا١). وقد كان أوائل أصحاب الهالاخا مفسرين أكثر مما

كانوا مشرعين، وكان همهم الأكبر هو تفسير توراة موسى، ومن هنا يمكن أن نفهم أنه فى المرحلة الأولى من "الهالاخا" لم تكن قد تحددت بعد الحدود بين "الهالاخا" (الشريعة النظرية) و"الهاجادا" (الأسطورة)، أى بين تفسير قوانين التوراة وتفسير قصصها، وقد ظلتا متداخلتين حتى العصور المتأخرة، وظلت أمور هاجادية كثيرة مصاغة فى صورة هالاخية. وبالرغم من أن الفترة الأولى للهالاخا يلفها الضباب، إلا أنه يمكن الافتراض بأنه فى زمن عزرا بدأت فترة جديدة فى تطور الهالاخا واستمرت من عصر عزرا ورجال المجمع الكبير حتى عصر الحشمونائيم (القرن ٥-٣ق.م) حيث صنعوا "سياجا للتوراة" أى شرعوا تشريعات جديدة، و"أحكاما" للمحافظة بدرجة عالية من الدقة على الأحكام الأولى وشرعوا قوانين لصالح المجموع، وكل هذه التشريعات والأحكام "والهالاخوت" هى التى تشكل "التوراة الشفهية" (التلمود).

(١٤١) البوسقيم: حكماء الهالاخا فى الفترة التى تلت ختام التلمود، ممن حددوا التشريعات والأحكام فى المسائل التى ظلت معلقة أو أثيرت فى فترة متأخرة بعض الشئ. وقد أدى عمل هؤلاء "البوسقيم" إلى بلورة لمجموعات من القوانين الملزمة وقد قام بخطوة للأمام فى سبيل تنظيم المادة التلمودية ربى اسحق الفاسى، الذى يعرف بالحروف الأولى من اسمه بإسم "ريف" حيث جمع فى مؤلفه المشهور "هالاخوت" كل الاستنتاجات الهالاخية وحذف كل الجدل الزائد، ومن بين الآراء التى هى محل خلاف فى التلمود أبقى فقط على الرأى الذى ينبغى الأخذ به، وفقا لرأيه، وأورد فقط الأحكام الشرعية التى كانت متبعة فى خارج

فلسطين بين اليهود. ويختلف كتاب ربى موسى بن ميمون "مشنه توراه" (مثانى التوراه) عن كتاب الفاسى، حيث أن هذا المؤلف كان مكتوبا بأسلوب عبرى راقى وبنظام منطقى، رتب من خلاله كل الأحكام، حتى تلك التى كانت متبعه فقط فى فترة الهيكل الثانى، وأسس العقيدة اليهودية. وقد أطلق هلى هذا المؤلف كذلك اسم "يد حزاقا"، لأنه يشتمل على اربعة عشرا جزءا (الياد عشرة والدال أربعة وفقا لحساب الجُمَّل). ومن أحسن الكتب التى ألفت فى هذا المجال بعد ذلك كتاب "هاطوريم" لربى يعقوب بن أشير فى القرن الرابع عشر الميلادى. وقد أصبح هذا الكتاب دليلا لمعظم الاحبار والحاخامات والقضاة اليهود منذ تلك الفترة حتى الآن. وبعد قرنين اتبع منهج "هاطوريم" فى كتاب حمل عنوان "شولحان عاروخ" (المائدة المنضودة) الذى يعتبر الآن الحجة الأولى فى مجال الشريعة اليهودية، وقد ألفه ربى يوسف كارو الذى اعتمد على كل من سبقوه فى هذا المضمار.

(١٤٢) روفيه. الكسندر: "الوصية العاشرة وقوانين "قريبك" فى سفر التثنية" (هادبير هاعسيرى فيحوقى "ريعيخا" بسيفر هادفاريم)، مقال فى كتاب " الوصايا العشر فى مرآة الأجيال"، م.س.ذ، ص٣٥-٣٩.

(١٤٣) جرينبرج. موشيه: م.س.ذ، ص٨٥ - ٨٦.

(١٤٤) روفيه. الكسندر: م.س.ذ، ص٤٢ - ٥١.

(١٤٥) ناصف. عصام الدين حفنى: م.س.ذ، ص٣٤-٣٥.

ملحق لبعض الصور عن الوصايا العشر

(٢) (١)





- فى الصورة رقم (١) حنانيا وعزار ينجوان من قبضة نبوخذ نصر تعبيرا عن الوصية الثانية "لاتصنع لك تمثالا ...... لا تسجد لهم وتعبدهم".

- فى الصورة رقم (٢) يهودى يقسم بكتاب التوراة تعبيرا عن الوصية الثالثة "لا تحلف باطلا".

(٢) (١)





- فى الصورة رقم (١) التضحية باسحق تعبيرا عن الوصية الخامسة "إحترم أباكوأمك".

- فى الصورة رقم (٢) بنياهو بن يهودياع يقتل يوآب تعبيرا عن الوصية السادسة "لاتقتل".

(١)

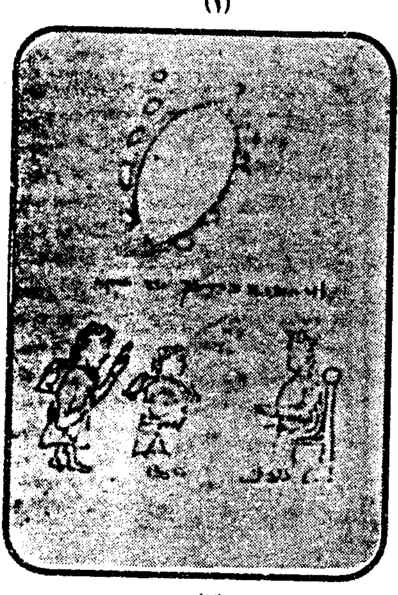


(٢)



- فى الصـورة رقم (١) يوسف يخدم زوجة فوطيفار وصديقتها تعبيرا عن الوصية السابعة "لاتزن".
- فى الصورة رقم (٢) رجل يسرق من الصندوق ويقدم للمحاكمة تعبيرا عن الوصية الثامنة "لاتسرق".





- فى الصورة رقم (١) شهادة كاذبة أمام القاضى تعبيرا عن الوصية التاسعة "لاتشهد شهادة زور".

(٢)

- فى الصورة رقم (٢) آدم أبو البشر تحت شجرة الحياة وحواء تحت شجرة المعرفة والحية بينهما تلقى بسمها في الثمرة تعبيرا عن الوصية العاشرة "لاتشته".

بعض نماذج من الصور التى جسد بها الفنانون المسيحيون موسى عليه السلام وبيده الألواح الحجرية التي عليها الصور.



بعض نماذج من الصور التى جسد بها الفنانون المسيحيون موسى عليه السلام وبيده الألواح الحجرية التي عليها الصور

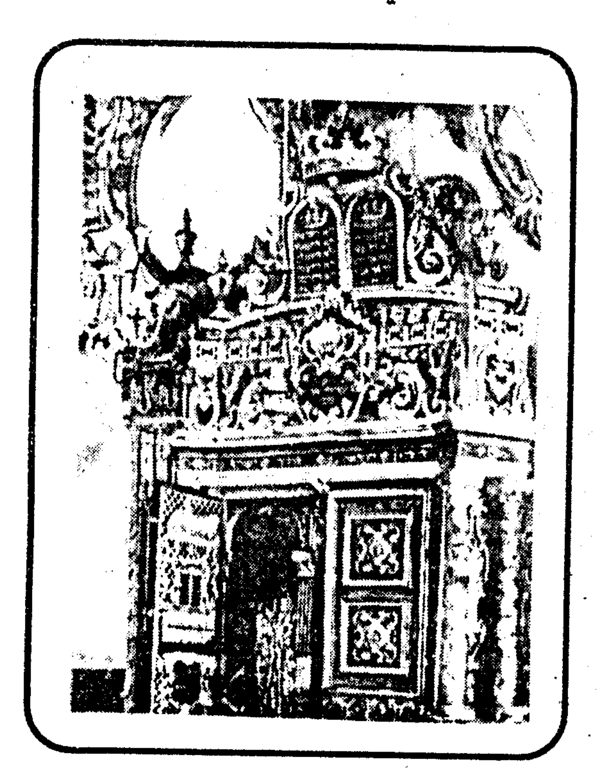




بعض نماذج من الصور التي جسد بها الفنانون المسيحيون موسى عليه السلام وبيده الألواح الحجرية التي عليها الصور



نماذج من تصوير "لوحا العهد" فى صورة مستديرة من أعلى وعلي شكل مستطيل أو علي صورة "الديفتيخون" المسيحى



التابوت المقدس لمعبد كارمانيولا

وعليه "لوحا العهد"

نماذج من تصوير "لوحا العهد" في صورة مستديرة من أعلى وعلي شكل مستطيل أو علي صورة "الديفتيخون" المسيحي



صفحة الغلاف لكتاب لوائح جمعية يهودية في البندقية وفي أعلاه "لوحا العهد"

نماذج من تصوير "لوحا العهد" فى صورة مستديرة من أعلى وعلي شكل مستطيل أو علي صورة "الديفتيخون" المسيحى



" مجمع إسرائيل" تمثال علي واجهة كنيسة نوتردام بباريس

نماذج من تصوير "لوحا العهد" فى صورة مستديرة من أعلى وعلي شكل مستطيل أو علي صورة "الديفتيخون" المسيحى



ألواح العهد علي التابوت المقدس لمعبد كونيليانو فينيتو وهو موجود الآن في القدس

هذا الكتاب

هذا الكتاب دراسة نقدية علمية فى أصول العقيدة اليهودية كما تجسدت فى الوصايا العشر، مع دراسة مقارنة لهذه الوصايا كما جاءت فى المسيحية والإسلام.

وتعتبر هذه الدراسة هى الأولى من نوعها فى مجال علم الأديان المقارن بالعربية يقدمها أستاذ متخصص فى الدراسات اليهودية بعمق بحثى ومعرفى فى أصول الديانات الثلاث، إسترشاداً بما جاء فى كتابنا المحكم من قوله تعالى ﴿ لكلٍّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم، فاستبقوا الخيرات، إلى الله مرجعكم جميعًا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ صدق الله العظيم

والله الموفق

الناشر

أحمد كمال زكى يوسف

المؤلف :

دكتور رشاد عبد الله الشامى

أستاذ ورئيس قسم اللغة العبرية بكلية الآداب - جامعة عين شمس

صدرت له المؤلفات التالية :

١ - إنشاء وتطوير سلاح الطيران الإسرائيلى (١٩٧٢)

٢ - جولة فى الدين والتقاليد اليهودية (١٩٧٨)

٣ - قواعد اللغة العبرية للمبتدئين (١٩٧٩)

٤ - لمحات من الأدب العبرى الحديث (١٩٧٩)

٥ - تاريخ وتطور اللغة العبرية (١٩٧٩)

٦ - الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية (١٩٨٦)

٧ - الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب فى الأدب الإسرائيلى (١٩٨٨)

٨ - عجز النصر - الأدب الإسرائيلى وحرب ١٩٦٧ (١٩٩٠)

٩ - الشخصية اليهودية فى أدب إحسان عبد القدوس (١٩٩٢)

١٠- الواقع الدينى فى إسرائيل (تحت الطبع)

١١- الأصوليون اليهود فى إسرائيل (تحت الطبع)